الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique Et Populaire
وزارة التعليـم العـالـي والبـحـث العـلمـي
Ministère De l'Enseignement Supérieur Et De La Recherche Scientifique
كليـة العلـوم الإنسانيـة والعلـوم الإسلاميـة
Faculté Des Sciences Humaines Et Des Science Islamiques
قسم الحضارة الإسلامية



أطروحةمقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية موسومة بـ:

المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي . سنغاي)

ق 7 . 10هـ /13. 16م

من إعداد الطالب: تحـت إشراف الأستاذ:

- مقاديم عبد الحميدأ.د- بن نعمية عبد المجيد

لجـنة المنــاقشــة:

أ.د-بوركبة محمد	جامعة وهران - أحمد بن بلة1	رئيســا
أ.د- بن نعمية عبد المجيد	جامعة وهران - أحمد بن بلة1	مشـرفا ومقررا
د. بحري أحمد	جامعة وهران - أحمد بن بلة1	مناقشــا
د. بن سدات نصرالدين	جامعة وهران 2	مناقشــا
د. باعثمان عبد الرحمان	جامعة أدرار	مناقشــا
د- خلوفي بغداد	المركز الجامعي البيض	مناقشــا

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2017-2018م.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله في العالمين ، محمد بن عبد الله الأمين الكريم وعلى أصحابه الأخيار البررة الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله وبلغوا رسالة الإسلام إلى كل الأقطار حتى علت كلمة الله، وتحررت البشرية من براثين الشرك والوثنية. أما بعد .

جاء هذا البحث لإبراز دور السياسي والثقافي للمدارس العلمية في دولتي مالي و سنغاي (628 ـ1000 هـ/ 1230ـ 1591م) حيث كان لهذه المدارس دورا مهما في بلاد السودان الغربي، وقد بدأ هذا الدور فترة دولة مالي واستمر حتى دولة سنغاي، وخصوصا في الميدان السياسي والثقافي، وقد تمثل هذاالدور في جهود أولئك العلماء والمفكرين والفقهاء والقضاة والدعاة، في نشر الإسلام واللغة العربية. والملاحظ للقارة الإفريقية بين الماضي والحاضر يتبين لنا الدور المهم الذي لعبته هذه المدارس في إحياء هذه القارة من جديد .

وهذا ما اعترف به الكاتب الفرنسي جويلي حين قال:"إن العصر التاريخي لإفريقيا السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام، وأنه بالإسلام وحضارته ولغته تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأوا كبيرًا في المدنية". وبهذا شكلت بلاد السودان الغربي حلقة فريدة من حلقات الحضارة الاسلامية، لما تميزت به من طبيعة بشرية وجغرافية جعلها تكتسب هذه الخصوصية وتبلغ الريادة في فصولها. بفضل جهود علماء المسلمين الذين حملوا على عاتقهم نشر الاسلام وتكريس مبدأه السمح ونهجهم في ذلك سيرته صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً. ولأن المبدأ الأساسي لهذا الدين السمح لا إكراه في الدخول إليه وحجتهم في ذلك قوله تعالى "لا إكراه في الدين "ويرجع الفضل الأول في إرساء قواعد هذه الدعوة إلى الدولة المرابطية التي اتخذت من حلقات التعليم في هذه البقاع ورفعت رايته.

وقد تزامن هذا مع توسع مراكز التجارة التي كانت ملتقى لنشاط التجار من بلاد المغرب الاسلامي ومصر مع تجار بلاد السودان الغربي. ثم تحولت الى حواضر تشترك في الأهمية التجارية الى جانب

الحركة العلمية مثل تنبكتو وجني وغاو، وقد أسهمت هذه الحواضر في تأسيس لحركة علمية في هذه البلاد، بحيث انطلقت لتكون إحدى قلاع الحضارة الإسلامية وهذا بفضل جهود علمائها وما أنتجوه من تراث علمي بقي شهداً عليهم إلى يوم الناس هذا.

كما تكشف لنا هذه الدراسة عن عمق الصلات بين بلاد السودان الغربي والشمال الإفريقي والمشرق العربي في ظل ازدهار مملكتي مالي وصنغاي الإسلاميتين وخصوصا بعد الرحلة الحجية الهامة التي أداها كل من منسا موسى سلطان مالي والأسكيا محمد الكبير سلطان سنغاي .

كما أدت اتصالات حكام الدولتين مع الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والزيانية بالمغرب الأوسط إلى توثيق العلاقات مع الشمال الإفريقي، وقد نجم عن تلك الاتصالات في مجملها قدوم العديد من الفقهاء والعلماء وفي كل التخصصات، بما فيها الهندسة المعمارية من الأندلس والشمال الإفريقي ومصر والحجاز ، وقد امتدت هذه المرحلة التي شهدت نهضة ثقافية حتى أواخر القرن العشر الهجري السادس عشر للميلاد .

وبما أن محور هذه البحث سيركز على دور المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي وتأثيرهما على مجتمع بلاد السودان الغربي ،فإن الباحث رأى دراسة هذا الموضوع من خلال الاشعاع الثقافي الذي أحدثته إسهامات بعض أعلام الفكر والمعرفة في النهضة الثقافية والذين عاشوا في فترة هذه الدراسة وأثروا الحياة الثقافية بمؤلفاتهم وفتواهم وإسهاماتهم العلمية المختلفة ومن هؤلاء الاعلام :

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (790 ـ909 هـ/ 1388 ـ 1503م) الذي زار المنطقة وعاش بها ردحا من الزمن وساهم في إثراء بنيتها الثقافية بدراساته وفتاواه وكتاباته المتعددة.

ومن علماء المنطقة الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصميالمسوفي كان حيا في عام 950هـ/1543م، والقاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (868 ـ 955هـ/1463ـ 1548م)، والقاضي محمود بن الحاج المتوكل كعت (873ـ 1002هـ/1468 ـ 1593م)، والفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري (

930 ـ1002 هـ/ 1524 ـ 1593م). وهؤلاء كلهم من المنطقة، وساهموا في إثراء حياتهم الثقافية ،كما كان لهم الدور الفعال في الحياة السياسية والاجتماعية ، وبالتالي تأثرت بنية مجتمعات المنطقة في تطورها بأفكارهم وأفعالهم .

والاشكالية المطروحة فتدور حول كيف ساهمت هذه المدارس العلمية في إثراء الحياة العلمية في هذه البلاد؟ وما مدى ارتقاء العلوم في ظلها، وكيف أثرت وتأثرت الحركة العلمية على الخصوص والحياة الثقافية على العموم من خلال ما قدمته هذه المدارس بين بلدان العالم الإسلامي، وبلدان السودان الغربي.

لتنبثق من خلال هذه الاشكالات تساؤلات تتمثل في :

ـ ماهي أهم العلوم والمقررات التي كانت تدرس في بلاد السودان الغربي؟

ــ أهم الأعلام ومؤلفاتهم والذين كان لهم الأثر في الحياة العلمية من خلال هذه المدارس

ـ ما الجديد الذي أحدثته الحركة العلمية في ظل وجود هذه المدارس في بلاد السودان الغربي (مالي ـ سنغاي) .

لأجل الإجابة على هذه التساؤلات قام الباحث بخطة مقترحة للدراسة، فقسم بحثه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. ففي الفصل الأول تناول الباحث بالدراسة التعريف ببلاد السودان الغربي دولتي مالي وسنغاي، وكيف تغير مفهوم واسم السودان الغربي عند المشارقة ليصبح بدلا منه اسم التكرور ، وهذا في الرحالات الحجية.وأيضا مناقشة أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام المبكر في المنطقة، وجهود العلماء والفاتحين في إيصال هذا النور إلى بلاد السودان. أما من الناحية الجغرافية فتكلم الباحث عن الظروف الصعبة للمنطقة وخصوصا المسالك الصحراوية التي تتميز بها

المنطقة مما صعب الوصول إليها. إضافة إلى إعطاء صورة عن التركيبة السكانية للمجتمعات السودانية أثناء فترة الدراسة .

وفي الفصل الثاني تناول الباحث في هذا الفصل مفهوم المدارس العلمية وكيف تطورت من خلال تلك المؤسسات التعليمةالمختلفة ، وكذلك مراحل التعليم من الابتدائي إلى التعليم العالي وماهي المواد التي يدرسها الطالب وكيفية دراستها وأماكن دراستها إضافة إلى أهم المراكز الحضارية التي ازدهرت في هذه الفترة من الدراسة بفضل نخبة من العلماء والفقهاء.

وفي الفصل الثالث تطرق الباحث إلى دور المدارس العلمية في الحياة السياسية لبلاد السودان الغربي ممثلة في مملكتي مالي وسنغاي، وكيف كان لهم بالغ الأثر في رسم سياسة البلاد من خلال التأثير على حكامها ودفعهم إلى الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية كما هو الحال مع الأسكيا محمد الكبير والاستعانة بالإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في تقريبه منه للاستفادة من علومه في أحكام الدين

وفي الفصل الرابع تطرق الباحث إلى دور هذه المدارس في الحياة الثقافية لبلاد السودان الغربي مملكة مالي وسنغاي، وماهي الجهود التي بذلها هؤلاء العلماء والفقهاء في تعليم وتوجيه أبناء المنطقة من خلال الرحلات الحجية التي اشتهر بها أهل السودان الغربي حكاما ومحكومين وتأثير هذه الرحالات على الحياة الثقافية للمجتمع السوداني، وكذا هجرة العلماء إلى هذه البلاد واستفادة الناس منهم .

وفي الفصل الخامس تناول الباحث بالدراسة والبحث إلى حركة التأليف التي عرفتها بلاد السودان الغربي فترة مملكة مالي وسنغاي، وكيف ازدهرت هذه الحركة من خلال نخبة من العلماء وقد تعددت مواضيع الكتابة والتأليف من تفسير وحديث وفقه ولغة وغيرها من العلوم،إضافة إلى التعرف

على العلماء الذين قاموا بهذا الجهد المتمثل في التأليف ، وقد تطرق الباحث إلى جملة من المؤلفين في مملكتي مالي وصنغاي .

والخاتمة تناول الباحث أهم النتائج التي توصل إليها مع بعض الاقتراحات .

أما عن المنهجية المتبعة في إعداد هذا البحث فقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي القائم على توخي الدقة في تحليل ونقد مصادر ومراجع أحداث الفترة والموضوع والمؤرخ لهما، بعد موازنتها ونقدها وتقييمها بطريقة تضمن تسلسل المعلومات وتماسكها وصولا إلى استنباط علمي تبرز فيه شخصية الباحث وتكتمل فيه الصورة التاريخية للموضوع، واعتمد في ذلك على المنهج التحليلي .

أما الصعوبات التي واجهت الباحث فهي كثيرة نذكر منها :

اختلطت الحقيقة التاريخية بالأسطورة الشعبية في تاريخ بلاد السودان عموما ومملكتي مالي وسنغاي على وجه الخصوص، وهذا يدفع الباحث إلى الكثير من الجهد في سبيل الوصول إلى الحقيقة التاريخية خالية مما علق بها من الموروث الشعبي الإفريقي ومن الخرافة التي تحمل الكثير من الترهات .

صعوبة الحصول على المصادر المخطوطة التي تناولت فترة البحث، التي تؤرخ للحركة العلمية في هذه الفترة .

ومن أهم المصادر التي تم الاستعانة بها في هذا البحث والتي كانت مهمة نذكر منها:

ابن حوقل النصيبي (ت 367هـ / 977م) كتابه: صورة الأرض الذي تكلم فيه عن بلاد السودان الغربي وقد استاق معلوماته من خلال رحلاته الى هذه المنطقة التي كان يجوبها منشغلا بالتجارة، حيث طاف أقاليم المغرب حتى وصل إلى أودغشت من بلاد السودان الغربي وتحدث عن الصحراء الكبرى والطرق التجارية التي تربط بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي من الجهة الغربية والشرقية، ويعتبر وصفه خاليا من التفاصيل، فنجده بعد دخوله أودغشت وصف النشاط التجاري

بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي ودور البربر فيه . وقد سجل ابن حوقل معلومات غنية عن التجارة في هذه الأماكن، خاصة بين أودغشت ومملكة غانة فجاءت معلوماته مفيدة للبحث .

المقدسي أبوعبد الله محمد بن أبي بكر المقدسي (ت 390هـ /999م) كتابه: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. حيث تحدث عن أسفاره ومصادره وانتقد ممن سبقوه لعدم مراعاتهم الدقة في ذكر الأقاليم، خاصة اقليم الصحراء التي تربط بلاد السودان الغربي مع بلاد المغرب، حيث تكلم عن الحواضر مثل سجلماسة وزويلة وفزان و أودغشت والتجارة التي كانت تربطها بمماليك السودان الغر بي، ويعد المقدسي ناقلا معلوماته عمن سبقوه مثل البلخي والإصطخري .

البكري أبوعبد الله بن عبد العزيز البكري الجغرافي الأندلسي (ت 487هـ / 1094م) كتابه: المسالك والممالك . الذي يعد موسوعة جغرافية شاملة حيث استفدت من كتابه هذا فيما يخص مسالك افريقيا وممالكها وأخبارهم فضلا عن ذكره لبعض أنظمتها الادارية والقضائية والمالية، ويبدو أن الكتاب كان أول مسح شامل لمناطق السودان الغربي ومدنه والمسافات بينها، وعلى الرغم من أن البكري لم يزر المنطقة إلا أن معلوماته القيمة عنها جاءت عن طريق التجار العرب المسلمين الذين وفدوا إلى المراكز التجارية في السودان الغربي، ولقد أمدنا كتاب المسالك والممالك بمعلومات غزيرة حيث كان الكتاب مصدرا مهم للبحث في معظم فصوله .

الإدريسي أبوعبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف (ت 564هـ / 1160م)كتابه: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. والذي أمدنا بمعلومات وافرة عن بلاد السودان الغربي خاصة مملكة مالي وعن الصحراء التي كانت لها علاقات تجارية واجتماعية وثقافية بينها وبين بلاد السودان الغربي وتكمن أهمية هذا الكتاب في الإشارات التاريخية التي زودنا بها عن بلاد السودان الغربي.

ياقوت الحموي أبوعبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ / 1228م) كتابه: معجم البلدان. وهو من المصادر الجغرافية العربية الهامة، وقد حازا هذا المؤلف على مكانة مرموقة نتيجة

لسعة أفقه وغزارة علمه وتنوع اهتمامه، أما المادة التي تضمنها معجم البلدان عن السودان الغربي فهي تأتي من اهتمام مؤلفه بالمواقع الجغرافية التي كان لها أهمية سياسية واقتصادية وتاريخية في هذه البلاد بشكل عام، حيث عرف ياقوت في معجمه بما يزيد عن عشرة مراكز سياسية وحضارية واقتصادية في السودان الغربي، جلها استقى مادتها من مصادر معروفة مثل ابن حوقل، والبكري. في حين أن بعض الروايات لابن حوقل كانت من مصادر لا نعلمها وقد تكون من مصادر مفقودة أو لم تصل الينا. فنجد من رواته أحد المعاصرين لزيارة أمير زافون للمغرب فاعتمد على شهادته لأنه كان ممن رأى موكب الأمير السوداني يوم دخوله مدينة مراكش.

لذا انفردت بعض مواد معجمه ببعض الإضافات التي لم ترد في مصادر سابقة، لأنها كانت مستقاة من مصادر معاصرة وكان بعضها شاهداً للحدث، ولعل أهم ما تفرد به ياقوت ما أورده عن مدينة ومملكة زافون واصفا اياها بأنها مملكة منتقلة وذات شأن في السودان الغربي بالإضافة إلى وصفه لعلاقاتها القوية والمتميزة بالدولة المرابطية وما يتمتع به زعماؤها من أفضال لهم على هذه الدولة، كما أنه قدم وصفا لمقابلة تمت في عاصمة المرابطين مراكش بين أمير مرابطي وامير زافون أثناء رحلة الأخير لأداء فريضة الحج ومروره بمدينة مراكش مع تلميح ياقوت إلى أن هذا الأمير السوداني بربري الأصل وليس من أهل السودان الغربي. كما تفرد في كلامه عن جناوة (كناوة) والتي تردد في كثير من المصادر العربية الأخرى على أنها مدينة في السودان الغربي، غير أن ياقوت خالف كل ذلك وأكد بأنها قبيلة بربرية أقامت في السودان الغربي، ومن ثم نسب المكان الذي تقيم فيه إليها بيد أنه لا توجد إضافات أخرى تفرد بها معجم البلدان غير اهتمام مؤلفه بضبط الأسماء وهي مزية شملت جميع المواقع الجغرافية التي عرف بها ياقوت في معجمه بل انها كانت أحد العوامل التي دفعته لتأليف المعجم لما لا حظه من اختلاف في ضبط الأسماء.

وفي المقابل فإنه يؤخذ عليه أنه لم يعط للسودان الغربي مساحة توازي ما منحه للمراكز والأقاليم السياسية والحضارية والاقتصادية الأخرى من المناطق الافريقية جنوب الصحراء، فقد كانت معرفته

بالمناطق الافريقية الأخرى أغزر من معرفته بالسودان الغربي. وان كان فقر مادته عن بعض المناطق تشترك فيه أقاليم أخرى حتى وان كانت داخل العالم الإسلامي.

ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749 هـ/ 1348م) كتابه: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . يعد هذا الكتاب موسوعة عربية تتألف من اثنين وثلاثون جزءا، استفدت من القسم الثاني من الكتاب الذي يشمل من الباب الثامن إلى الباب الرابع عشر وخصوصا الباب التاسع منه الذي حمل عنوان (ممالك مسلمي السودان على ضفة النيل إلى مصر) ومن هذه الممالك التي ذكرها العمري مملكة مالي الذي سجل العمري حدودها وأقاليمها وجيشها وأرزاقها، فكانت معلوماته قيمة ومفيدة للبحث. وقد اعتمد العمري في جمع مادته العلمية على من سبقوه مثل البكري والإدريسي وابن سعيد وغيرهم، والذي ميز كتاب العمري ويزيد من قيمته هي تلك المعلومات التي أوردها عن المنطقة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين والتي استقاها بشكل مباشر من بعض الشيوخ والثقات الذين عاشوا في السودان الغربي.

ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللوتي الطنجي (ت 770 هـ / 1368م) كتابه: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المشهور برحلة ابن بطوطة . الذي يعتبر خلاصة تجربة رحلاته وسياحته في المعمورة حيث جاء في هذا الكتاب جزء من رحلاته تكلم فيه عن بلاد السودان الغربي والذي زارها في سفارة من قبل أبو عنان المريني حاكم دولة بني مرين في المغرب الأقصى والتي أوفده فيها إلى مملكة مالي، حيث رصدت هذه الرحلة وصفا دقيقا لحياة المجتمع السوداني ونمط عيشه وعاداته وسياسة ملوكه، وهذه المعلومات لم تتوفر في أغلب المصادر السابقة كيف لا وهو يعتبر شاهد عيان معاصرا للأحداث التي كتبها. مثل مقابلته للسلطان منسا سليمان سلطان مالي واحتك

ببلاطهواطلع على الوظائف الادارية فيه، وقد أفادت هذه الرحلة الباحث في معظم فصول البحث خاصة فيما تعلق بمملكة مالي .

ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ /1405م) كتابه: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . وهو من المصادر التي لا غنى للباحث عنها، حيث بدأ كتابه بمقدمة تناول فيها منطقة الصحراء والسودان الغربي في الاقليمين الأول والثاني، فتكلم عن غانة ومالي وكوكو وعن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء وعن القبائل التي ساهمت فيها خاصة قبائل صنهاجة وزناتة والتي قصورهم في الصحراء مثل ورقلان وتوات وفزان. كما استفاد الباحث من المعلومات التي قدمها ابن خلدون عن ممالك السودان وعلاقتهم بدول المغرب، وذلك في الجزء السادس والسابع من كتابه، وعن هجرة القبائل العربية الهلالية إلى المغرب والصحراء وبلاد السودان، وجاءت معلومات ابن خلدون عن بلاد السودان الغربي غزيرة ومتنوعة خاصة عن مملكة مالي الاسلامية بعد أن تكلم عن غانة وكوكو، الى بداية الوجود المرابطي في غانة، ثم بدأ بالحديث عن القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي وتاريخ تأسيس مملكة مالي حيث دون تاريخ الأسر الحاكمة وتحدث عن ثمانية عشر من ملوكهم حتى نهاية حكم منسا ميغا الذي تولى السلطة عام 792هـ /1390م . وقد اعتمد في جمع مادته عن هذه المنطقة عن أهل تلك البلاد أومن زار هذه الأقاليم وأقاموا بها، ونذكر منهم الشيخ عثمان فقيه أهل غانة وقد لقيه في مصر أثناء زيارته لها في رحلته الحجية سنة 779هـ/1377م، وكذا الفقيه القاضي أبوعبد الله بن واسول الذي تولى القضاء في مملكة مالي وكان مقرب من بلاطها .

القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م)كتابه: صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ويعد مؤلفه موسوعة حيث استفاد الباحث من الجزء الخامس و السادس اللذان تضمنا معلومات كثيرة عن بلاد السودان الغربي وما بها من ممالك مثل مالي وكانو وأقاليمها ومدنها . وجاء

بالشرح المفصل عنها، كما ألقى الضوء على الجانب المعماري، وقد اعتمد القلقشندي على كتاب العمري مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وكذا ابن سعيد، وابن خلدون . وقد استفاد منه الباحث في النواحي السياسية والحضارية لكل من مملكة مالي وسنغاي. كما بين الصلات التي كانت تربط بين الممالك السودانية والبلاد المجاورة لها .

المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ /1442م) كتابه: السلوك لمعرفة دول الملوك. وكذا الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك . استفاد الباحث من هذين الكتابين فيما يخص حج ملوك بلاد السودان الغربي خاصة رحلة منسا موسى ملك مالي، وعن وفود حجاج بلاد التكرور وما تركته من آثار وصدى في العالمين العربي والاسلامي، بدء من مصر التي كانت له وقفات مع علمائها وحكامها، وصولا الى بلاد الحرمين الشرفين وعلاقته أهلها. وتعتبر معلومات المقريزي مأخوذة من ابن خلدون، وان كان المقريزي لا يشير لذلك بصراحة، ويلاحظ على المقريزي في كثير من مؤلفاته عدم الاهتمام بذكر مصادر أخباره وهذه الملاحظة تنطبق على مادته المتعلقة ببلاد السودان الغربي في مؤلفيه.

اهتم المقريزي في مؤلفيه السابقين بحجاج السودان الغربي وقدم مادة غنية بالمعلومات الجديدة عنهم، وكذا عن عدد الحجاج . بالإضافة الى تقديمه في الذهب المسبوك لملوك مالي الذين حجوا، فقد أورد أربعة مراكب حجية تخص السودان الغربي وذلك خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي .

الحسن بن محمد الفاسي الوزان الشهير بليون الافريقي (ت 960هـ /1552م) كتابه: وصف افريقيا. والذي يعتبر من أهم كتب الرحلات التي كتبت عن بلاد السودان الغربي، حيث يعد مصدرا أساسيا باعتبارها تنم عن رحلات ومشاهدات شخصية للمؤلف، فقد أتيحت له الفرصة لزيارة المنطقة مرتين سنة 919 هـ / 1513م والثانية 921هـ / 1515م حيث تزامنت هاتين الرحلتين مع ظهور دولة إسلامية في السودان الغربي ألا وهي مملكة سنغاي وازدهارها في عهد الأسكيين، وقد أورد الوزان في

كتابه الكثير من المعلومات الهامة عن أبرز المراكز الحضارية مثل تنبكتو وجاو وجني وغيرهم، وقد تكلم عنهم مطولا حيث اعتبر تنبكتو مركزا تجاريا هاما في قلب افريقيا وما تحويه من الحوانيت ، والأهم من ذلك أنه أمدنا بمعلومات هامة عن الحياة الثقافية والاقتصادية، ونظم التعامل وجوانب من الحياة الاجتماعية وما يرتبط بها من عادات وتقاليد لهذه المدن. والواقع أن الوزان في نهاية مؤلفه حدد لنا المنهج الذي اتبعه في إخراج و تأليف ذلك الكتاب. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب في إبراز الحركة التجارية في تنبكتو وجني وثراء أهلها وكذا الحالة العمرانية لمدينة جاو و تنبكتو وثراء أهلها ووصفه للحركة العمرانية في المدن مثل غاو و تنبكتو، حيث أسدى للباحث هذا المؤلف الكثير من المعلومات حتى أنه يعتبر رؤية واضحة لتلك الفترة، فيعتبر بحق مصدر غزير المعلومات والوصف الدقيق لإفريقيا فتناولها بوضوح ودقة من كافة الجوانب .

محمود كعت الكرمني (ت 1002هـ /1593م) كتابه: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار. وهذا من أبرز المصادر التي تكلمت عن بلاد السودان الغربي حيث أن محمود كعت من علماء هذه المنطقة، وأحد أبرز الوجوه القضائية فيها. بدأ في تأليف كتابه عند بلوغ سن الخمسين ويعد هذا الكتاب من المصادر التاريخية الهامة والتي لا غنى للدارس عن مملكة مالي وسنغاي عنها، حيث عاصر المؤلف حكام دولة سنغاي واحتك بملوكها خاصة الأسكيا محمد الكبير الذي حج معه في رحلته الحجية سنة 902هـ / 1496م، ويحتوي الكتاب على عرض لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه الدولة، ولكن هذا المصدر رغم ما عليه من الأهمية فقد شابه بعض المؤثرات التي تثير الشك فيما أورده من روايات مثل التفكك الحاصل في ادراج الروايات التاريخية في كثير من الصفحات، وكذا الحاصل لعدد من الجمل وانعدام وحدة الأسلوب، إضافة إلى الأسلوب المتباين في الكتاب باعتبار أن المؤلف قد توفي ولم يكمل كتابه بل أكمله ابنه وحفيده، وهو ما يعتبر إثراء للمادة

الخبرية واسهام علمي يؤكد اهتمام الأبناء بإرث الآباء والحس المعرفي لدى علماء هذه البلاد وهو ما يعطي أهمية كبرى لهذا الكتاب .

أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ /1627م)وكتابيه: نيل الابتهاج بتطريز الدباج، وكفاية المحتاج من ليس في الدباج. ويعد من المصادر المحلية التي ترجمت لكثير من الشخصيات العلمية من داخل بلاد السودان الغربي ومن خارجه من علماء المالكية، وهو ما أفاد الباحث عن حياة الكثير من العلماء المالكية ممن كانت لهم علاقات مع بلاد السودان الغربي، وتراثهم الفكري والعلمي وأماكن دراستهم وتنقلاتهم .

عبد الرحمن السعدي (ت 1066هـ /1655م)كتابه: تاريخ السودان.الذي يعتبر من المصادر البالغة الأهمية في تاريخ هذه البلاد نظراً لشهرة صاحبه، ووظيفته التي كان يشغلها باعتباره مقرب من دواليب الحكم، وقد قدم مادة تاريخية شمل جميع الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية لهذه البلاد وقوفا عند حوادث 1065هـ /1654م. نجده نقل عن كتابات أحمد بابا التنبكتي، وعاصر حفيد محمود كعت ابن المختار، إضافة إلى خبرته الاجتماعية التي سوقت له الأحداث باعتباره عمل كإمام في المساجد بالإضافة إلى المناصب الرسمية التي شغلها السعدي سواء ككاتب أو موثق في ظل الحكم السنغي، هذا مما جعل المعلومات التي ينقلها تتميز بالدقة والتوثيق حيث أمكننا التعرف على مجموعة من الأسباب التي توصل إليها السعدي أثناء تحليله لها خاصة أحداث القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي وانهيار مملكة مالي وقيام سلطنة سنغاي في عهد سني علي ثم الأساكي بعده .

البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق (1219هـ / 1804م)وكتابه: فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور. وهو من كتب التراجم الهامة التي اعتنت بترجمة علماء، وفقهاء بلاد السودان الغربي، وتعد قيمة كتاب البرتلي بأنه حلقة تكميلية لما لم يرد ذكره عند أحمد بابا من تراجم لبعض العلماء الذين

ورد ذكرهم في بعض النوازل، كما أنه قدم معلومات مهمة عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية لبعض الفقهاء .

المراجع المعتمدة في البحث.

وقد جاءت المراجع المعتمدة في هذا البحث كثيرة ومتنوعة منها ما استفدت منه بطريقة رئيسية وأساسية ومنها ما كان ثانويا لكن لا غنى للباحث عنه وسأقتصر على ذكر نماذج من هذه المراجع .

عبد القادر زبادية .كتابه: مملكة السنغاي في عهد الأسكيين 1493م ـ 1591م.
استفدت من هذا الكتاب في الجانب السياسي والحضاري والاقتصادي وترجع أهمية هذا الكتاب في سرد الحياة الاجتماعية والاقتصادية وعلاقة الشعوب بها ووضح لنا أن هذه المنطقة تثمل عمقاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً، وتعتبر كتاباته شاهدا على مدى الاستقرار الامني . وهذا ما انعكس على الحياة الاقتصادية في المجال التجاري لهذه المنطقة مع المناطق المجاورة، وخاصة تجار الشمال الافريقي، كما تكلم عن تطور نظام الحكم في سنغاي في ظل الأساكي والذي انعكس على جميع مناحي المملكة خاصة الحياة الثقافية والعلمية التي شكلت قفزة نوعية شملت ميادين التأليف والاجازة ناهك عن تطور التعليم وتعدد مراتبه . ويعتبر هذا المؤلف من الذين انتقدوا الدراسات التي شملت بلاد السودان الغربي والتي اقتصرت على العموميات وما اعتراها من الحيف مؤكداً أنه لو انصرفت إلى الجزئيات لأمكن رؤية الأشياء كما هي.

الباز أحمد السيد كتابه: الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وسنغاي القرن 07 إلى 10 هجري / 13 إلى 16 ميلادي . وقد استفدت من هذا الكتاب في جميع فصول البحث خاصة ما تعلق بالمؤلفات وحركة التأليف، إلا أنه ما يؤخذ على هذا الكتاب أنه جاء مختصراً للغاية فلا يكاد يذكر فكرة إلا وقد جمعها في جزئيات واكتفى بالتلميح بدل شرح والتحليل .

ميقا أبوبكر اسماعيل كتابه: الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي . وقد أورد هذا الكتاب معلومات مهمة عن دولة غانة الإسلامية ثم دولة مالي ثم دولة سنغاي متتبعا الترتيب الكرونولوجي للأحداث، وقد استفدت منه في الجوانب العلمية وتراجم العلماء وأهم الكتب التي درسوها .

سحر عنتر محمد أحمد سرحان كتابها : فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي . وقد استفدت من هذا الكتاب الذي يبين أحد أوجه الحياة الثقافية والعلمية في مالي وصنغي مترجماً لأهم الفقهاء الذين أثروا فيها، والمذهب السائد في المنطقة والمتمثل في المذهب المالكي، مما يترجم لنا مدى التأثر الذي حدث في منطقة السودان الغربي وغيرها من البلاد الإسلامية كمصر وبلاد المغرب بصفة أكبر، مما شكل وحدة فقهية جعلت من هذا المذهب موجها لحياة الناس، كما بين دور الفقهاء وما حظوا به من مكانة لدى السلاطين نظراً لتزعمهم الإفتاء والإمامة والقضاء وهو ما كانت حاجة الناس إليهم كثيراً، كما أعطى دور ابناء المنطقة في المساهمة العلمية بظهور فقهاء مالكيين من أبناء السودان الغربي بعد ما كان للوجود المغربي والمصري رمزية السبق وبالتالي فيعتبر هذا الكتاب من المراجع الأساسية التي لا غنى عنها.

أمطير سعد غيث كتابه :التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنيين الرابع عشر السادس عشر ميلاديين . ويعتبر هذا الكتاب من الكتب التي وضحت تأثير الثقافة الإسلامية على الثقافة الافريقية ومدى الأثر الكبير الذي تركه الإسلام في نفوس أهل السودان الغربي، والذي غير نمط حياتهم وتفكيرهم فبعدما كانت الوثنية وتقاليدها سائدة في المنطقة أصبح الإسلام هو السائد، وقد عرج الكتاب على مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وترجم لأهم الأعلام وعرف ببعض الحواضر، وبالتالي فالكتاب وان كان عام في معلوماته إلا أنه استطاع أن يفيد الباحث من خلال هذه الأدوار والتمايز الذي أحدثه الإسلام في هذه البلاد .

أحمد الشكريكتابه الاسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي 1230 ـ 1430م ويعتبر من أهم المراجع التي تناولت بالدراسة التاريخية عن دولة مالي من 628 ـ 834هـ / 1230ـ1430م .لقرنيين من الزمن وتناول فيه مؤلفه العديد من القضايا وقام بتحليلها على أساس علمي، متناولا عرضا لآراء الكثير من المؤرخين وكتاباتهم وكافة المادة الاخبارية في هذه الفترة لدول الجوار المعاصرة لمملكة مالي، كما أضاف دراسة جديدة بمقارنة تقييمية للمصادر والمراجع المعتمدة، وقد قام بمجهود جاد في إخراج أعماله وتميز بدقة تناوله لتاريخ دولة مالي الإسلامية .

الهادي مبروك الدالي كتابيه : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ومملكة مالي وعلاقتها بليبيا والمغرب. وتعتبر كتابات الهادي المبروك الدالي مفيدة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، خاصة إذا علمنا أنه يعتمد على المخطوطات والوثائق التي لم يتوصل إليها الكثير من الباحثين، وذلك بحكم علاقته مع أبناء هذه المنطقة، أضف إلى ذلك الزيارات المتكررة التي قام بها إلى هذه المنطقة وهذا ما أمكنه من فهم كثير من الوقائع والأحداث، وهو ما أفاد الباحث في معظم فصول البحث .

إبراهيم علي طرخان . كتبه امبراطورية غانة الاسلامية ، ودولة مالي الاسلامية. من الكتب التي استفاد منها الباحث ففي مملكة غانة التي تكلم عنها في ظل الوجود الإسلامي بها وكيف تحولت حياة الناس في ظل هذا النظام الإسلامي، واتصالاتها بالدول العربية الإسلامية ووصول المرابطين إلى غانة وتقاليد الحكم وحياة الناس الثقافية والاقتصادية وعلاقتها الخارجية، وعلى الرغم من احتوائه على معلومات قيمة إلا أن هناك بعض الثغرات التي يؤاخذ عليها منها أن الملك تنكامينالسوننكي عندما دخل المرابطون غانة التزم بدفع الجزية للمرابطين، وهذا ما يناقضه فيه جل الباحثين لأن مملكة غانة وملكها تنكامينالسوننكي كانوا أهل وثنية وعند دخول المرابطين لغانة أسلم هذا الملك وأصبح حاكماً على المدينة.

أما كتابه دولة مالي الإسلامية فقد تعرض إلى ذكر انتشار الإسلام فيها وتحدث عن السلطان منسا موسى التي وصلت المملكة في عهده ذروة مجدها، ثم تحدث عن نظام ورثة العرش وعن النظام القضائي والمالي والجيش فجاءت معلومات طرخان عن النظم العربية الإسلامية وتطبيقها في مالي قيمة وقد اعتمد في جمع مادته على كل من البكري والإدريسي والعمري وابن بطوطة والقلقشندي. وقد أفاد الباحث في معظم فصول البحث وخصوصا ما تعلق بمملكة مالي.

الفصل الأول

التعريف ببلاد السودان الغربي

المبحث الأول

المصطلح والجغرافية

المبحث الثاني

السكان والقبائل

المبحث الثالث

انتشار الإسلام بالسودان الغربي

المبحث الأول

المصطلح والجغرافية

أ ـ مصطلح السودان الغربي

ب ـ جغرافية السودان الغربي

تطلق كلمة سودان على المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الأحمر شرقا والصحراء الكبرى شمالا وخط عرض 10 جنوبا وشمال خط الاستواء

ويعتبر العرب هم أول من أطلق لفظ سودان على الشعوب والقبائل التي تسكن هذه المنطقة [1]

وأصل التسمية مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة وهو ما ذهب اليه الجاحظ في حديثه عن أهل السودان في كتابه فخر السودان على البيضان [2]، بينما الرحالة والمؤرخين فقد جاءت نصوصهم متفاوتة في الوصف والتدقيق على حسب قراءتهم الزمنية ومصادر معلوماتهم ومن بين هؤلاء نذكر ابن عبد الحكم (ت 257 هـ / 868م) والذي تكلم عن بلاد السودان وخصوصا في حديثه عن الحملة الإسلامية التي جاءت إلى بلاد السوس وجنوب المغرب الأقصى ثم بلاد السودان "وغزا عبيد الله بن عبيدة الفهري السوس وأرض السودان فظفر بهما ظفرا لم ير مثله وأصاب ما شاء من الذهب وكان فيما أصاب جارية أو جاريتان من جنس البربر أجان " [3] .بينما يعرفها الإصطخري (ت 346 هـ ـ957م) وبلدان السودان بلدان عريضة إلا أنها قفرة قشة جدا ولهم في جبال لهم عامة ما يكون في بلدان الإسلام من الفواكه إلا أنهم لا يطعمونه ولهم أطعمة يتغذون بها من فواكه ونبات وغير ذلك مما لا يعرف في بلدان الإسلام .ويقال أنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منه ويمتدون إلى غرب البحر المحيط مما يلي الجنوب ومما يلي الشمال على مفازة تنتهي إلى مفاوز مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة ثم

---

[1] كانت تعرف الاقوام التي تسكن بلاد السودان قبل أن يطلق عليها اسم بلاد السودان من طرف العرب نجيريتا نسبة إلى نهر النيجر وقد أطلق على هذا الإقليم نيل الأجناس السوداء نسبة إلى بشرة سكانها ، وكان ذلك من طرف المؤرخ الروماني بليني سنة 115 م وكان يقصد بلاد السودان الأوسط والغربي ثم جاء العرب وعمموا اسم بلاد السودان على جميع سكان بلاد ما وراء الصحراء .أنظر إبراهيم طرخان ، الإسلام واللغة والثقافة العربية في السودان الغربي والأوسط ، الهيئة العامة للتأليف والنشر القاهرة 1969ص 2. ينظر: قدوري عبد الرحمان ،الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 ،10 هـ/ 15 ،16 م الدوافع والنتائج ،مذكرة ماجستير ،إ ش مبخوت بودوية ،جامعة تلمسان 2011،ص 20

[2] الجاحظ عمر بن بحر ، فخر السودان على البيضان من رسائل الجاحظ ، القاهرة 1906 م ص 64

[3] ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب ، تح ، عبد الله أنيس ، دار النشر الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، 1964 ، ص 22.

على مفاوز بينها وبين أرض الزنج وليس لها اتصال بشيء من المماليك والعمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسلك بينها وبين سائر الأمم "[1].

أما ابن حوقل (ت 367 هـ /977م)فتحدث عن لفظ السودان في كتابه صورة الأرض " وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط وينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب وحدا برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات "[2]. كما وصفه المقدسي (ت 380 هـ /990م) في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم فحدد من خلال بلاد السودان في قوله " وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذه الإقليم الثاني من مصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة وهم أجناس كثيرة "[3].

وقد أطلق البكري (ت 487 هـ/ 1095م) كلمة السودان في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا واعتبر مدينة سلجماسة مدخلا إلى بلاد السودان .[4] والقزويني (ت682 هـ /1283 م) وصفها بأنها بلاد كبيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط .[5]

أما أبي الفداء عماد الدين اسماعيل ابن أحمد (ت 732 هـ / 1331م)بأنها جهة الجنوب وأنها بلاد كثيرة الأجناس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكروروالزيلع [6]. أما القلقشندي صاحب

---

[1] الإصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، المسالك والممالك ،وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة 1961 ص34 .

[2] أبو القاسم بن حوقل ، صورة الأرض ،دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، 1979 ص 15.

[3] المقدسي شمس الدين أبوعبد الله ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط 3،مكتبة مدبولي القاهرة ،1991 ص 314

[4] أبو عبد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب ، وهو جزء من المسالك والممالك . دار الكتاب الاسلامي بيروت لبنان ص180

[5] القزويني محمد بن زكريا أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت لبنان ص 24

[6] أبي الفداء عماد الدين بن اسماعيل بن أحمد ، تقويم البلدان ،دار صادر بيروت لبنان ، ص ص 2 ،3

كتاب صبح الأعشى (ت 821 هـ/1418م)أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم يقابل بلاد اليمن وله من الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد العرب المغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط [1]. أما ابن خلدون فيقول و السودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة يليهم الزغاوة و يليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط الى غانية [2].

وأورد عثمان بن فودي [3] عن طول أرض السودان نقلا عن القسطلاني في شرح البخاري على أن ... كتاب القصد والأمم إلى معرفة أنساب الأمم قال إن مقدار المعمور من الأرض مائة حزام وعشرون سنة وتسعون ليأجوج ومأجوج واثنتا عشرة للسودان وثمانية لروم وثلاثة للمغرب وسبعة لسائر الأمم [4].

ومن خلال هذه التعاريف لمصطلح السودان ورغم تباينها إلا أنها اتفقت على تحديد المدلول اللفظي لكلمة سودان التي تطلق على الأقوام الذين يقطنون الحزام السوداني جنوب الصحراء الكبرى ومن هذا التعريف الجامع لمدلول بلد السودان تم تقسيمها إلى ثلاثة اجزاء رئيسة وهي :

---

[1] القلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر القاهرة 1963 ص275

[2] ابن خلدون عبد الرحمان ،ديوان العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،دار صادر بيروت لبنان 6/ 410

[3] هو عثمان بن محمد فودي (معنى فودي هو الفقيه بلغة الفولاني) بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد غورطو ينتمي إلى قبائل الفلان في إقليم الهوسا ،ولد بإمارة غوبر شمال اقليم الهوسا سنة 1169 هـ /1754م .قاد عثمان بن فودي حركة اصلاحية في بلاد السودان الغربي والاوسط متأثرا بفكر محمد بن عبد الكريم المغيلي توفي سنة 1253 هـ /1837م . وهو أب المؤرخ السوداني محمد بللو صاحب كتاب انفاق الميسور في أخبار علماء التكرور .أنظر بلعراف التكني ، ازالة الريب والشك والتفريط من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ،تح الهادي الدالي ،مركز جهاد الليبيين طرابلس ليبيا ،ط 1 ،2000،ص 181.أنظر المليان عائشة المسعود، الدور الديني والسياسي لقبائل الفولاني في السودان الغربي خلال الفترة من القرن الخامس عشر الى نهاية القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ أكاديمية الدراسات العليا مدرسة العلوم الإنسانية ليبيا ،2007 ، ص115

[4] محمود مبروك فاطمة ،العمائر الإسلامية في امبراطورية السنغاي زمن الأسكين 898 - 1000هـ/1492 ـ 1591م اطروحة دكتوراه ، معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة 2008 ص 04 .

1 ـ السودان الشرقي [1]: ويشمل مناطق وبلاد النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة ويعرف عند العرب ببلاد الزنج وهذا القسم كان له ارتباط وثيق ببلاد العرب والمسلمين بين القرن الثالث والسادس الهجريين .

2 ـ السودان الاوسط [2]: ويشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في افريقيا الوسطى

3 ـ السودان الغربي [3] : ويشمل حوض نهر السينغال والمناطق المحيطة به وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الاوسط (نيجيريا).

ويمكن القول أن مصطلح السودان الغربي هو ذلك المصطلح الذي أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الاطلسي غربا وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقا وجنوب الصحراء الكبرى شمال خط الاستواء بين خطي عرض 11 و17 درجة شمالا وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى.

وبذلك فإن هذه المنطقة تمتد بين خط الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا وهي منطقة شبه استوائية مرتفعة الحرارة تكثر بها الامطار ويجري بها نهري السينغال والنيجر . [4] وتبلغ هذه المنطقة في مساحتها حوالي سبعة ملايين كيلومتر مربع ، وقد شهدت قيام ثلاث دول هي مملكة غانة ثم تلتها مملكة مالي ثم مملكة سنغاي، وهي تمثل اليوم عدة جمهوريات هي مالي، النيجر، السنيغال،

---

[1] الشيخ الأمين محمد عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى و السودان الغربي في عهد السلطتين الاسلاميتين مالي وصنغاي ، دار المجمع العلمي، جدة ط1979،1 ،ص 41.

[2] زبادية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الأسقين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، (د ت)، ص15.

[3] زبادية عبد القادر ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا جنوب الصحراء ، دراسات ونصوص ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1989، ص11.

[4] فرياني بطل شعبان محمد ، العامة في صنغي (869 ـ 1000هـ /1464 ـ 1591 م) مذكرة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ،2011، ص ص 3 ، 4.

غامبيا،غينيا بيساو، وغينيا كوناكري، سيراليون ليبيريا، ساحل العاج، بوركينافاسو، الطوغو، بنين ،وجزء من نيجيريا، وجزء من موريتانيا.[1]

أما مصطلح بلاد تكرور [2]ورغم اختلاف المصادر العربية في تحديده أهو جزء يشمل مدينة أو قبيلة أو جهة من بلاد السودان الغربي، أم هو نفسه اسم من أسماء بلاد السودان الغربي، فنجد النصوص متفاوتة فيما بينها في ذلك. وأول نص الذي ذكر فيه اسم تكرور يرجع إلى البكري (ت487 ه/1095م) الذي أشار إليه واعتبره مدينة من مدن بلاد السودان الغربي تقع قرب نهر السينغال، كان أهلها على الشرك يعبدون الأصنام وملكهم يسمى وارجابي بن راسين (ت432ه/1040م) والذي أسلم وحمل أهل التكرور على الإسلام وأقام شرائع الدين الإسلامي [3]. وحذ حذو البكري القزويني (ت ق 7ه /13م) والذي ذكر التكرور على أنها مدينة لا سور لها وأهلها مسلمون وكفار والملك فيها من المسلمين وذلك في القرن السابع الهجري [4].واعتبرها ياقوت الحموي (ق 7ه/ 13م) التكرور يرجع إلى قبيلة من قبائل السودان في أقص جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج،[5] وهذا الوصف يخرج التكرور من بلاد السودان الغربيويرجعه إلى بلاد المغرب، وأن هذه القبيلة هي من قبائل السودان تسكن جنوب المغرب، وهناك من حصره على الجهة مثل ابن سعيد المغربي الذي أورد أن لفظ التكرور يشمل نهر السنغال والذي سماه النيل [6]. ولم يحدد الجهة

---

[1] شترة خير الدين ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر و فكره الاصلاحي في توات والسودان الغربي ، دار ابن طفيل ، الجزائر، 2012 ، ص 258 .

[2] تكرور وهناك مسميات أخرى للتكرور ومنها تكاريروتكارنة ومفردها تكروني ، انظر ولد البراء يحي ، مجموعة الفتاوى الكبرى ، المكتبة الوطنية ، نواكشط ، 2009 ، مج 1/ 49

[3] البكري ، المصدر السابق ص 268.

[4] القزويني ، المصدر السابق ص26

[5] الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، تح فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 ، 1990، ص376

[6] أطلق البكري على نهر النيجر والسينغال النيل وأشار أنه يصب في لبحر المحيط .ويصف الطريق من غانة القديمة وهو الطريق الشرقي بان المسافر يقابل النيل الذي يخرج من أرض السودان ، وهنا يقصد منطقة انحناء نهر النيجر ولا يميز البكري في تعريفه ومصطلحاته بين نهري النيجر والسينغال

بالضبط بل نسبه إلى نهر السنغال فقال وأما في عصرنا فما على شاطئ النيل من بلاد تكرور مدينة إلا وقد دخلها الإسلام وجميعها لسلطان تكرور وقاعدتها على جانبي النيل وأسمها تكرور وبها عرفوا[1].فقد أطلق التخصيص والمراد من بلاد التكرور إلا أنه لم يحدد أي جانب يقصد من جو انب نهر النيل والمعروف أن بلاد التكرور على الحافة الشمالية لنهر السنغال، وبالتالي يعتبر ابن سعيد مطابق للصواب نوعا ما .بينما ميز البعض الأخر لفظ السودان الغربي عن لفظ التكرور ومنهم ابن فضل الله العمري صاحب كتاب مسالك الأبصار الذي أورد نص في هذا عند حديثه عن سلطان مالي منسا موسى ورحلته المشهورة للحج في قوله ويغلب على سلطان مالي عند أهل مصر سلطان التكرور ولو سمع هذا أنفا منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته والأحب إليه أن يقال صاحب مالي لأن الإقليم الأكبر وهو به أشهر.[2] ويفهم من كلام ابن فضل الله أن التكرور هو إقليم من أقاليم بلاد السودان الغربي مثله مثل إقليم مالي قاعدة الملك، وإقليم كوكو واقليم كوكيا، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال، لماذا عرفت هذه المنطقة ببلاد التكرور عند المشارقة بدل بلاد السودان الغربي .

كما نجد هذا الاسم في بلاد الحرمين ومنه إلى مصر ولعل ذلك راجع لركب الحجيج الذي كان يمضي من بلاد التكرور ويمر بجميع جهات بلاد السودان الغربي فأطلق الجزء على الكل وأشيع باسم التكرور وهناك من يرجع المصطلح (التكرور) إلى الذين كانوا يتوجهون للحج عدة مرات

لذلك أوقع الجغرافيون الذين تبعوه في مغالطات ، وأصبحوا يرون ان النيل هو أم البحار الافريقية حتى أن ابن بطوطة عندما وصل نهر النيجر ظن أنه أحد روافد النيل المصري ولهذا وقع عليه الالتباس . للمزيد أنظر فرياني بطل شعبان ، المرجع السابق ، ص 40

[1] ابن سعيد ابو الحسن علي ابن موسى المغربي ،كتابه الجغرافيا ،تح ، اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت لبنان ، 1970،ص 19.

[2] العمري ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في مماليك الأمصار ،معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية ن فرانكفورت ، 1988، ص 34

فتسموا بالتكرور لتدليل على تنقيت قلوبهم وأعمالهم. [1] وهذا نتيجة تكرارهم للحج عدة مرات وبالتالي يكون المصطلح لا يطابق بلاد التكرور .

كما نجد هذا الخلط عند ابن خلدون في كتابه بين المعنى الجغرافي لتكرور وبين المعنى البشري للمصطلح، وقد وطن التكرور في منطقتين مختلفتين أحدهما شرق كوكو والأخرى غرب كوكو [2].

بينما نجد البرتلي يضع تعريفا لبلاد التكرور يعد الأوسع حيث اعتبره هو ذاك الإقليم الواسع الممتد شرقا إلى أدغاغ ومغربا إلى بحر بني الزناقية وجنوبا إلى بيط وشمالا إلى أدرار [3] . إلا أن التعريف الذي يعد كافيا ومعبرا عن بلاد التكرور هو الذي أفرده محمد بللو بن عثمان فودي صاحب كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور إذ يقول أعلم أن هذا الاسم الذي هو التكرور هو الإقليم الغربي من الجنوب السوداني على ما فهمنا من تعبيرهم في التواريخ وهذا الاسم شائع في الحرمين ومصر والحبشة .[4]

---

[1] حسن عبيد عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني من مطلع القرن الثاني عشر هجري حتى القرن التاسع عشر الميلادي، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية المملكة العربية السعودية ،1981،ص 37.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ،199/6

[3] البرتلي محمد بن أبي بكر الصديق ، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور ، تح محمد حجي و محمد ابراهيم الكتاني ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت لبنان 1981،ص 26

[4] بللو محمد بن عثمان بن فودي ، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تح بهيجة الشاذلي منشورات معهد الدراسات الافريقية ، الرباط المغرب،1996، ص47.

المبحث الثاني

سكان السودان الغربي و قبائله

أ ـ سكان السودان الغربي

ب ـ قبائل السودان الغربي

سكنت منطقة السودان الغربي شعوب وقبائل هاجرت إليها من جهات وأماكن مختلفة عبر فترات متعددة حيث يذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب أن أولاد نوح عليه السلام تفرقوا في فجر التاريخ، وكان منهم أولاد كوش بن كنعان الذين ساروا نحوا الغرب حتى عبروا نهر النيل في مصر ثم تفرقوا بعد ذلك حيث سار جزء منهم ناحية الجنوب بمحاذة نهر النيل وكان منهم النوبة والبجة والأحباش، وسار فريق ناحية الغرب حيث تابعوا سيرهم نحوا الشمال الغربي والبعض الأخر نحو الجنوب الغربي فكان منهم الزنوج الذين انتشروا في جميع أجزاء السودان الغربي [1].

ومن بين هذه القبائل الزنجية هناك المانجيوا، والولوف،والسنغاي ، والموشي، إضافة الى القبائل العربية والصنهاجية .

أ . قبائل الماندیجو (**الماندي**)[2]: ويعتبر من الشعوب ذات الغالبية في السودان الغربي حيث استوطنوا في المناطق الواقعة بين روافد على ثلاث أنهار رئيسية هي نهر السنغال، ونهر جامبيا، نهر النيجر أي جنوب دولة السنغال حاليا إلى أعالي النيجر ووسط نيجيريا ،وقد تفرعوا إلى عدة قبائل وبطون أهمها البمبارةوالديولا و الكاسونكيوجولتكيوالسوننكة [3] والمالنكي[4]. وقد تميزت قبائل البمبارةوالديولا بنفس الخصائص والمميزات الاجتماعية من حيث طريقة عيشهم ومساكنهم التي

[1] المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ص 120

[2] ـ ماندي أو ماندیجوا أو مانكا أو ماينِنج أو مانديجا أو ماندیج كلها تسمية واحدة لهذه القبائل ذات الأصل الواحد وقد أطلق البرتغاليون هذه التسميات عليهم ، لكن الفلانيونوالتكاررة والفرنسيون أطلقوا عليهم المالنك . أما قبائل الهوسا فقد أطلقت عليهم وتقارة . ابراهيم طرخان ، دولة مالي الاسلامية ، الهيئة العامة المصرية للتأليف القاهرة ،1973 ،ص 26

[3] ـ السنونيكي : هم الفرع الشمالي من قبائل الماندي ويتكلمون اللغة السنونيكية و يوجدون بالأساس في المنطقة الحدودية بين مالي والسنغال وموريتانيا على حافة الصحراء ومنطقة غامبيا وساحل العاج ، وقد كان لهذه المجموعة دورا كبيرا في نشر الاسلام خاصة بعد ما امتزجت واختلطت مع القبائل العربية المهاجرة من بلاد المغرب ، وقد اطلق عليهم اسم السراكول اي الرجال الحمر . أنظر :يحي ولد البراء ،المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب الصحراء ،المكتبة نواكشط ، المجلد الأول ط 1، 2009 ، ص 49 . أنظر كذلك :عبلة محمد سلطان لطيف ،العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغاي ،الدولية الافريقية لنشر و التوزيع ، القاهرة ط 1 2013، ص ص 25 ،26

[4] عبد الرحمان زكي الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا ،مطبعة يوسف ، عمان الأردن القاهرة ،1965 ، (ب ط) ، ص 102

كانت عبارة عن أكواخ مستديرة الشكل تسقف بالقش ويرأس كل جماعة من جماعتهم شخص يتولى السلطتين الدينية والزمنية، وتختلف هذين القبلتين من خلال الدين بحيث أن قبيلة الديولا تدين بالإسلام والبمبارة بالوثنية. أما المالنكيوالكاسونكيوجولتكي فهي تختلف عن البمبارةوالديولا من حيث نمط العيش وطريقة السكن وامتهانهم لحرفة الصيد والزراعة. كما كان لهذه القبائل الشأن الكبير في التجارة حيث كانوا أرباب التجارة ما بين المحيط الأطلسي غربا وما بين النيجر الأعلى شرقا وتجارتهم الملح، ويعود الفضل إلى هذه القبائل في تأسيس دولة مالي التي مارست سلطتها على السودان الغربي فيما بين السابع والتاسع الهجريين والثالث عشر والخامس عشر الميلاديين خصوصا على عهد منسى موسى الذي عمل على نشر الإسلام بين قبائلها [1].

ب . قبائل الصنغاي[2]:هي من القبائل الزنجية الواسعة الانتشار على طول نهر النيجر إلى حدود الغابات الاستوائية التي تعتبر مواطنهم الأولى ثم شرعوا في التوسع والامتداد نحو شمال نهر النيجر حيث استوطنوا في كل من مالي والنيجر وجزء من بوركينافاسوا [3]حاليا . وهم يمتهنون الصناعات اليدوية والزراعة إضافة إلى الصيد، وتنقسم قبائل الصنغاي إلى عشيرتين هما السركول الصيادون والسركول الزراع حيث عرفت هذه الفئة سيادة الأرض أما الصيادون عرفوا سيادة المياه[4]. هذا وقد أقام الصنغاي مملكة حول نهر النيجر الأوسط اتخذت من كوكيا الواقعة شرق غاو عاصمة لها [5]. وهذا قبل الميلاد بحيث أنهم أقاموا علاقات تجارية مع شرق إفريقيا ومنها الى فراعنة مصر، أما إسلام هذه القبائل

---

[1] زمان عبيد وناس ،الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة جاو ، مجلة كربلاء العلمية المجلد الرابع العدد الثالث جوان 2006 ، ص 104

[2] هناك من يرجع أصل الصنغاي إلى أصول مشرقية من السامريين الذين طردهم موسى من مصر فهاجروا إلى منطقة كاو في السودان الغربي ، لكن معظم الآراء ترجع أصلهم الى السلالة الزنجية وان كانوا تأثروا باختلاطهم بالقبائل العربية والبربرية المهاجرة الى هذه المنطقة . انظر :يحي ولد البراء ، المرجع السابق ، ص 50.

[3] الفيتوري عطية مخزوم ،دراسات في شرق افريقيا وجنوب الصحراء ، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ، 1998، ب ط ،ص 24

[4] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص10

[5] استقرت قبائل صنغاي في هذه المنطقة نتيجة لهجمات قبائل لمطة البربرية مما اضطرها الى النزوح لمدينة دندي قرب نهر النيجر ثم أسسوا كوكو التي اتخذوها عاصمة لهم وكانت أسرة تحكمهم تسمى " ديا " التي استمرت حتى مجييء الاسلام . أنظر :البكري ، المصدر السابق ، ص 177

فيعود إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نتيجة امتزاجهم واحتكاكهم بالقبائل الوافدة من الشمال الافريقي وخاصة قبائل صنهاجة. مما أدى إلى إسلام ملكهم زاكسي [1]والذي عمل على نقل العاصمة من كوكيا إلى مدينة غاو وذلك لتوسع النشاط التجاري لقبائل الصنغايوكثرة معاملتهم مع قبائل الشمال، وهو ما تبلور في الأخير من تأسيسهم للإمبراطورية كبيرة عرفت بمملكة سنغاي، والتي وصلت إلى قمة الازدهار في ظل حكم الأسكيا [2]خاصة مؤسسها محمد بن أبي بكر التوري الشهير بالأسكيا محمد الكبير أواخر القرن التاسع والعاشر الهجريين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين .

ج . قبائل الولوف: من القبائل الزنجية الأصلية التي امتدت على طول الضفة اليسرى للحوض الأدنى لنهر السنغال،[3] وتوجد مجموعة منهم على ساحل المحيط الأطلسي، حيث يمثلوا الحد الفاصل بين المنطقة الزنجية وسكان الصحراء، وشعب الولوف يسكن في أغلب دولتي (السنغال وغامبيا) حاليا ويتكلمون اللغة الولوفية التي تكتب بالحرف العربي، ولهم مميزات عن باقي الشعوب الزنجية وتتمثل في طول القامة والذكاء المتوقد والشعر الأسود القاتم والبشرة السوداء والثقافة الواسعة، ويعتبر شعب الولوف من أكثر الشعوب المتكون من خمس ممالیك هي : السالوم ، والحجور و البنولوالوالووالجولوق[4] . الذين أسسوا مملكة في بحر القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي تعرف بمملكة جولوق [5] . تعتمد حياة الولوف على الزراعة والرعي والتجارة ، انتشر الاسلام بين قبائل الولوف بشكل محدود

[1] وهو أحد ملوك الأسرة الأولى الذين حكموا قبل الإسلام ثم أسلم طواعية وأصبح يسمى مسلم دم .أنظر : عبد الرحمان السعدي ،المصدر السابق ، ص03. و محمود كعت ، تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص15

[2] زمان عبيد وناس ، مرجع السابق ، ص 102

[3] النايي ولد الحسن ، المرجع السابق ، ص 13

[4] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص 09

[5] يحي ولد البراء ، المرجع السابق ، ص 49

رغم احتكاكهم المبكر ببعض القبائل العربية والصنهاجية المسلمة، ويعود سبب ذلك إلى الانغلاق والعزلة التي تميز حياتهم [1].

د . قبائل الفولان : من قبائل بلاد السودان الغربي تنتشر على طول الشريط الممتد من المحيط الأطلسي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا، ويعد الفلانيين من الرعاة الرحل الذين يقومون بتربية الماشية ولهم قطعان كبيرة من الأبقار والأغنام، وهم ينتقلون من مكان إلى أخر طلبا للماء والكلأ، ولكنه مع مرور الزمن استقرت مجموعات أخرى واتجهت إلى التجارة والصناعة .وينتشرون بنسب متفاوتة في معظم دول غرب افريقيا بدء من موريتانيا والسنغال غربا وانتهاء إلى جمهورية السودان شرقا، ويميلون إلى سواد البشرة وتوسط القامة . اختلف في نسبهم فالبعض يرى بأنهم من سلالات يهود سيرنيكا [2] الذين انتشروا في الصحراء بعد مطاردة الرومان لهم، وقيل أنهم من أصل هندي أو فارسي [3] نزحوا من أوساط أسيا، وهناك من يرى أنهم من أصول مصرية انتقلوا أو هاجروا من حوض النيل في عهد الفراعنة إلى شمال افريقيا حتى وصلوا ساحل المحيط الأطلسي، ثم رحلوا إلى الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى فوتا سنقومايو حوالي القرن الرابع الميلادي. ويؤكد هذا الرأي فيجي مؤرخ فرنسي الذي أشار الى نزوح هذه القبائل من حوض النيل، ثم أخذت تتدفق وتنتشر غربا إلى بلاد المغرب وانحدرت جنوبا حتى نهر السنغال عندما أجذبت أرضهم، ثم أخذوا بعد ذلك في النزوح نحو نيجيريا (بلاد

---

[1] عائشة مسعود المليان ن المرجع السابق ، ص 10. وأنظر : مطير سعيد غيث ، المرجع السابق ، ص 42

[2] حيث أفرد هذا الرأي الباحث الانجليزي لافوس بأنهم من اليهود هاجروا الى مملكة غانة الوثنية القديمة وأصبحوا حكامها من القرن الرابع الى القرن الثامن وبالتالي تزاوجوا مع أهل المنطقة ثم طردوا أخيرا ولجؤوا الى شعب التكرور الذي أخذ لغتهم . أنظر : مهدي رزق الله أحمد ، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب افريقيا ، المرجع السابق ، ص 248

[3] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص 21

الهوسا) حيث أقامت بين قبائل الهوسا وهناك استقر البعض منهم بالمدن وانشغل بالتجارة وبعضهم أثار حياة التنقل وراء المراعي للحيوانات[1] .

ومنهم من يرى أن أصلهم من صعيد مصر نظرا للملامح النفسية والاجتماعية الظاهرة على الشعب الفلاني والتي تشبه الملامح المصرية . ويقول في ذلك عبده بدوي " إذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول أصل الفلانيين فإن هناك ما يشبه الإجماع على أنهم قدموا من صعيد مصر بالرغم من القول بأنهم من أصل هندي أو فينيقي أو يهودي، ولعل القول بأنهم من صعيد مصر يدل دلالة واضحة على أنهم كسبوا أشياء كثيرة من مصر فالذين كتبوا عنهم يوردون فيما يكتبون عن ملامح نفسية واجتماعية تشبه من قريب أو بعيد الملامح الموجودة في مصر، ويذكرون بأنهم قوم مسالمون هادؤون بارعون في زراعة القطن والقمح، ذو كرم و عطف يشبهون التماثيل المصرية القديمة [2]. بينما الرأي الأكثر شيوعا عن أصل الفلانيين وهو من الروايات المحلية لشيوخ هذه القبيلة ترجع أصلهم إلى الجنس العربي و بالضبط إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري الذي فتح بلاد المغرب زمن عمر بن العاص وإلي مصر [3] . حيث وصل إلى التوردو من بلاد ماسينا في فوتا فعلم التوردو الدين الإسلامي وتزوج بامرأة منهم تسمى "بج مع" وهي بنت ملكهم أنجب منه أربعة أولاد وهم[4] :

. روبيا ويعرف بلقبه باه واختار الزراعة كمهنة له

- واني ويعرف بلقبه صو واختار تربية الأبقار

- بوطوال ويعرف بلقبه جلو واشتغل بالعلم

---

[1] فيجي جي دي ، تاريخ غرب افريقيا ، ترجمة وتعليق وتقديم ، السيد يوسف نصر ، دار المعارف القاهرة ، 1982، ص ص 78 ، 79

[2] عبده بدوي ، حركة الاسلام في افريقيا الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر القاهرة ، 1970 ب ط ، ص 171

[3] مصباح الدين الجنيد ، المرجع السابق ، ص 19

[4] محمد المحجوب ولد بيه ، موريتانيا جذور وجسور ، مكتبة القرنين 15 و20 للنشر والتوزيع نواكشط موريتانيا ،ط 1 ،2016، ص ص 126 127

ـ داتو ويعرف بلقبه بيري واشتغل بالملك

وتكلم هؤلاء لغة لم تكن معهودة من قبل وهي لغة الفلان (البولاري) والتي هي خليط من المفاهيم والألفاظ كما أن هناك رواية قريبة من هذه تقول أن رجلا من العرب المسلمين يدعى يعقوب تزوج من امرأة من السودان تسمى باجومانجو وانجبت طفلا وتركته في رعاية أخيه الأكبر وعندما عادت وجدت الطفل يبكي وأخيه يواسه بلغة غريبة لا تعرفها فاستدعت أحد الشيوخ يشرح لها ما يقول لكن الشيخ لم يفهم هو الأخر هذه اللغة ،فقال لها بأن هذا الطفل سيكون من الذين يدافعوا عن الاسلام[1] . ويذكر محمد السامبو الكلوي [2] أيضا أن فلان ينحدرون من قبيلتين جهينة وتميم العربيتين اللتان هاجرتا قبل الإسلام من الجزيرة العربية إلى افريقيا عن طريق الشام وسيناء وعن طريق اليمن حتى وصلتا إلى منطقة ليبيا ومن هناك واصلت جهينة طريقها الى الجنوب وواصلت قبيلة تميم رحلتها غربا حتى بلغت أودغشت التي كانت جزء من مملكة غانة والتي تقع بين مالي وموريتانيا[3] .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات المتضاربة فيما بينها فإننا لا يمكن أن نرجح إحداها عن الأخرى ، ولكن يمكن أن نخرج بتصور عام مفاده أن الفلانيين من الشعوب السامية التي نزحت طلبا للمراعي في العصور القديمة إلى جنوب الصحراء وامتزجت بكثير من الشعوب خاصة السودانية ن كما يتضح لنا من خلال هذه الروايات أن الفلان كانوا يحسون بنوع من الغرابة في محيطهم وهو ماترمي إليه غرابة لغتهم، مما دفعهم إلى الاعتزاز بالإسلام والذين ارتبطوا به ارتباطا وثيقا،وجعلهم يقيمون روابط ضاربة الجذور مع العرب والبربر والزنج وتعززت بشكل كبير في منطقة السودان الغربي

---

[1] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص 22

[2] نسبة الى مدينة كلوى في السودان الشرقي قرب اثيوبيا واريتيريا توفي سنة 1820 كان عالما فقيها مؤرخا ألف كتاب سماه كنز ا الأولاد في تاريخ الذراري والأجداد

[3] محمد المحبوب ولد بيه ، المرجع السابق ص ص 127 ، 128

يقول في ذلك عثمان برايماباري " إن الفلان هم الجنس الجسر الوحيد الذي يربط بين أجناس العرب والبربر والزنج من سكان الشمال الافريقي وصحراء افريقيا الكبرى "[1] .

بدأ الشعب الفلاني يهاجر بأعداد كبيرة الى مناطق منحى نهر النيجر في تاريخ مبكر ودفعت هجراتهم السلمية ومعهم قطعانهم من الماشية الى الوصول الى بلاد الهوسا [2] .وقد أسسوا خلال القرنين (13/11 هـ .17 /19 م) عدة مماليك اسلامية سيطرت على أغلب دول السودان الغربي مثل مملكة أل فودي[3] في بلاد الهوسا ومملكة أل باري[4] في مالي ومملكة أل تال[5] في فوتاجور .

هذا وقد أطلق على الفلانيين عدة أسماء مختلفة ومتعددة تبعا لمقر إقامتهم [6] فسماهم الولوف ،وأطلق عليهم الماندي اسم فولا foula ونادهم الهوسا باسم فولاني foulani وبهم تأثر الانجليز فقالوا فولاني foulani وسماهم الموشي بسيلمقا silmiga للمفرد وب سيلميسا للجمع silmissa واستخدم كانوري لفظة فلاتا fellata بينما أطلق عليهم سكان الصحراء كالطوارق اسم الفلان fullon فجارهم في ذلك بعض العلماء الفلانيين أنفسهم أمثال الشيخ عثمان بن فودي (1168 ـ1233 هـ / 1754 ـ1817م) وأخيه عبد الله .أما الفلانيون فيطلقون على

---

[1] عثمان بريماباري ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الملايين القاهرة ، 2000 ، ب ط ن ص ص 13 14

[2] مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 249

[3] نسبة الى عثمان بن فودي الفقيه المصلح الذي أقام حركة إصلاحية في بلاد الهوسا في إقليم غوبر واستمد أفكارها من فكر المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي زار المنطقة في القرن التاسع الهجري وترك أثر في نفوس أهلها توارثته الأجيال . أنظر :حسن عيسى عبد الظاهر ، الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفلاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية المملكة العربية السعودية ، 1981، ب ط ، ص ص 126 132 .

[4] نسبة الى أل باري في مالي الذين ينسب اليهم الشيخ حمد أوحمدو الذي قام بحركة الجهادية تدعو الى نبذ البدع واصلاح المجتمع والجهاد ، أنشأ عدة مدارس في مدينة جني وتنبوكتو . أنظر : محمد جاكيتي ، المرجع السابق ، ص ص 29 30.

[5] نسبة الى مؤسسها الحاج عمر تال الفوتي الفلاني وقد أقامت هذه الدولة في فوتاتور قرب بلدة حلوار في السنغال وهي تنتسب الى الطريقة التيجانية التي كانت منتشرة هناك أعلن جهاده ضد الوثنيين من شعب البمبارة وكذا طلائع الفرنسيين التي بدأت في الدخول الى المنطقة . أنظر : مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص ص 559 560.

[6] محمد جاكايتي ، المرجع السابق ، ص 14

أنفسهم اسم بولو poullo للمفرد وفولبي fullbe للجمع وعلى لغتهم فولفودي fulfulde وأطلق قسم أخر من الفلانيين في موريتانيا والسنغال اسم التكلور toucleur[1] فزعم الذين أطلقوا هذا الاسم عليهم بأنهم فلانيون السود .

هـ ـ قبائل الموشي : من الشعوب الوثنية في السودان الغربي يسكنون المنطقة المحصورة بين نهر النيجر في الشرق إلى نهر فولتا في الغرب ، أقاموا مملكة وثنية على منحنى نهر النيجر جاورت المماليك الكبرى بالمنطقة (غانة ومالي وصنغاي)[2] وانقسموا في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي الى مملكتين هما الوجادوجووالوهيجوبا [3] ،وظلت هذه القبائل منعزلة عن التأثيرات الخارجية التي صاحبت دخول الإسلام وما شملته من مظاهر حضارية، إلى أن جاء ملك الصنغاي الأسكيا محمد الكبير (899ـ 935 هـ /1493 ـ 1528 م) الذي حاربهم وكان نتيجة لذلك أن انتشر الاسلام فيهم بصفة قليلة، تعتمد قبائل الموشي على حرفة الزراعة، حيث يزرعون الذرة الرفيعة والدخن ولا يقومون بتربية الحيوانات إلا قليلا مع اعتمادهم على الخيول والحمير كما أنهم يزاولون مهنة الصيد وقطع الاخشاب[4] .

و ـ قبائل الصوصو : وهي خليط بين قبائل الفولان وقبائل الصنغاي وتمتد هذه القبائل غرب نهر النيجر يعتمدون على الزراعة وصيد الأسماك عند نهر النيجر وهم من الشعوب المكونة لمملكة غانة وينقسمون الى قسمين الصوصو المزارعون والصوصو الصيادين [5] .كما كانت لهم حروب

---

[1] ربما هي كلمة تكرور وما أدري ان كان بينهما اختلاف لكن معظم المصادر تذكر التكرور وربما هو تحريف فأضيف الألف للتكرور فجاء هذا الاسم التكلور .

[2] عبلة محمد سلطان لطيف ، المرجع السابق ، ص 27

[3] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص 15

[4] السعدي المصدر السابق ، ص 74

[5] امطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 40

وهجمات على مملكة غانة اثر خضوعهم لحكم المرابطي مما رغبهم في الطموح في الاستلاء على الحكم خاصة زعيمهم سومنكارو الذي تبدد طموحه في معركة كيرنا عام (633 هـ /1235 م)على يد قبائل الماندينجو[1].

قبائل اليوربا : تتوزع هذه القبائل في الجنوب الغربي والاقليم الشمالي لنيجيريا ، واختلف الباحثين حول المكان الذي جاءت منه ، فيرى البعض أنها جاءت من صعيد مصر بينما يرى البعض الاخر أنها جاءت من الشرق من مكة [2].ويرى فريق أخر أن مصدرها غرب افريقيا بعد أن تم طردهم منقبل عرب قحطان[3].بينما يرجع حسن ابراهيم حسن الرأي الذي يقول بأنها جاءت من صعيد مصر وذلك لتشابه الطرفين في العادات والتقاليد وخاصة في طريقة دفن الموتى [4].ودخل الاسلام الى هذه القبائل عن طريق قبائل الفولان الذين استقروا في بلاد الهوسا أوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وكان لهذه القبائل حضارة عريقة حيث أنشأوا مدنا كبيرة مثل إيفةوألايو وكانت تتميز بنسقها العجيب، كما كانت لهم أسواق مزدهرة ومستقرة، حتى زمن الحروب مع غيرها من القبائل[5] .

.

قبائل الطوارق : اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم فمنهم من يقول أنهم سموا بالطوارق نسبة إلى طارق بن زياد [6]، ومنهم من يرى أن التسمية جاءت لخوضهم في طرق الصحراء العميقة ، كما اختلفوا في أصولهم فمنهم من يرجعهم إلى صنهاجة ومنهم من يرفع نسبهم إلى قبائل

---

[1] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص 15

[2] الفتيوري عطية مخزوم ، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام) ، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ط 1، 1988، ص 27.

[3] عائشة مسعود المليان ، المرجع السابق ، ص14

[4] حسن ابراهيم حسن ،انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2، 1964، ص 125

[5] الفيتوري عطية مخزوم ، المرجع السابق ، ص 27.

[6] الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء ، المرجع السابق ، ص 216.

حمير اليمنية ، وقد انتشرت قبائل صنهاجة في الصحراء وهي بطون كثيرة أشهرها لمتونة ومسوفة وجدالة ،لا يستقر بهم مقام وهم على دين الاسلام وليس بينهم وبين العرب المغاربة نسب الا الرحم وقد خرجوا من اليمن وارتحلوا الى الصحراء فسكنوا المغرب تارة ثم ارتحلوا الى بلاد السودان[1] . كما أن هناك من يرجع نسبهم الى قبيلة تاركا أو تريكة من البربر التي كانت تسكن من الشرق في نواحي الهقار في مقابلة عرب بني سليم ويذهب أندري جوليان على أن أصل الطوارق من قبيلة ملثمة أخرى هي نزغة ومن الممكن جمعها على توارقوتوارغ[2]، ويذهب البعض أن الطوارق خليط من الحاميين والبربر والزنوج[3] .

والطوارق أقسام عديدة ينتشرون في مساحات واسعة من الصحراء ما بين توات وفزان شمالا الى تنبكتوا وزندر جنوبا ، أي ما بين الحدود الشمالية لجمهورية مالي ومع موريتانيا وجنوب الجزائر وشمال النيجر وبوركينافاسو وشمال تشاد وجنوب غرب ليبيا [4] . ويتكلم الطوارق لغة مشتركة تعرف باسم تماهك إحدى فروع لغة البربر ،وينقسمون الى مجموعتين رحل يرعون الإبل ويعيشون في جبال أواسط الصحراء وهؤلاء يسكنون الصحراء شمالي منحنى النيجر، وقد تغيرت خصائصهم الطبيعية و أساليب معيشتهم وعاداتهم لأنهم يعيشون في بيئة مختلفة عن البربر ويختلطون بالسود ولقد اكتسبوا لونا أسودا حتى أصبح من الصعب تمييزهم عن قبائل الصنغاي والهوسا، وهم يعيشون فيما يشبه الاتحادات القبلية تحت حكم زعيم يعرف باسم أمينوكال له سيادة اسمية في داخل نطاق طبقي يقسم القبيلة الى

---

[1] قدوري عبد الرحمان ، الوجود المغربي في السودان الغر بي ، المرجع السابق ، ص 20.

[2] شاري أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ،ترجمة ، محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2011. ص 220

[3] اسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتب ،الجزائر ، 1983 ، ط 1 ، ص ص 176 177

[4] زاهر رياض ، المماليك الاسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى مكتبة المصرية ، القاهرة ، ب ط ، 1968، ص 72

شرفاء وتوابع وعشائر وأصحاب الحرف، كما يقتنع الطوارق بالزواج من امرأة واحدة، وللمرأة في مجتمعهم حظوة ومكانة كبيرة[1].

أما هجرتهم إلى بلاد السودان الغربي فكانت مع بداية الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، وقد امتد انتشارهم إلى الغرب عند منعطف نهر النيجر واستولوا على منطقة أهير من يد السودانيين من أهل غوبر[2] .

كما أدى الطوارق دورا مهما في نشر الإسلام وثقافته ببلاد السودان الغربي، كما كان لهم دور في تجارة القوافل الصحراوية وبها انطلقوا في تأسيس أكبر حاضرة تجارية في المنطقة، وهي مدينة تنبكتو التي تحولت فيما بعد إلى مقصد الكثير من العلماء والفقهاء منذ القرن الخامس الهجري وحتى التاسع الهجري ، الحادي عشر إلى الخامس عشر الميلاديين ،وبذلك دخل قبائل الطوارق في صولات وجولات مع حكام بلاد السودان الغربي عرفوا من خلالها بالشجاعة والبأس [3].

---

[1] زكي عبد الرحمن ، الاسلام في غرب افريقيا ، مطبعة يوسف القاهرة ، ب ط ، ب ت ، 100/2

[2] حسن عيسى عبد الظاهر ، المرجع السابق ، ص 46

[3] قدوري عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص21

المبحث الثالث

انتشار الاسلام ببلاد السودان الغربي

1 ـ الفتوحات الاسلامية

2 ـ التجار

3 ـ الدعاة

4 ـ الهجرات

لقد استطاع الإسلام أن ينتشر في بلاد السودان الغربي في وقت مبكر إذ كانت بعض المناطق في العالم الإسلامي قد وصلها الإسلام وثقافته عبر وسائل محددة كالفتح والهجرات، فإن القارة الإفريقية قد تمثلت فيها معظم الوسائل تقريبا غير أن وسيلة الفتح قد تميز بها الشمال الافريقي ولمدة محدد من الزمن، أما مناطق ما وراء الصحراء ومنها السودان الغربي فإن انتشار الإسلام بها كان سلميا ويرجع ذلك إلى طبيعة العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها والتي تمثلت في تلك المعاملات التجارية التي كانت بينهما منذ فترات طويلة أي قبل وصول الإسلام إلى بلاد المغرب، وتعززت تلك العلاقات ابان الفترة الإسلامية . وبالتالي وجب علينا التطرق إلى كيفية وصول الإسلام إلى بلاد المغرب ومنه إلى بلاد السودان الغربي .

1 ـالفتوحات الاسلامية : دخل الإسلام إلى مصر بجيش يقوده عمر بن العاص عام 20هـ/ 640م وبعد الاستلاء على الإسكندرية وهزيمة القوات الرومانية في عدة معارك أصبحت مصر القاعدة الأساسية التي انطلقت منها الفتوحات الإسلامية إلى بلاد المغرب مثل برقة وطرابلس والمغرب، ولقد وجد الفاتحون مقاومة من البربر سكان الشمال الافريقي، وجرت عدة معارك معهم وأشهرها معركة سبيطلة عام 30هـ /650م ثم توغل عقبة بن نافع الفهري ومعه بشر بن أرطأة وشريك بن سجم المرادي فنزلوا بغدامس، ثم سار مع جيشه إلى ودان [1] ففتحها ثم مضى فزان ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا ثم مضى إلى كوار بعد مسيرة خمسة عشرة ليلة إلى الجنوب ودعاهم إلى الإسلام وهي على مقربة من بلاد السودان[2] .

---

[1] ودان هي مدينة في الطريق بين غدامس وفزان من أعمال جنوب ليبيا الحالية أنظر :الشامي ابراهيم علي يوسف ،الحج وأثره في دولة مالي وصنغاي ، المرجع السابق ، ص9

[2] ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ب ط ، ب ت ، 421/3

أما المرحلة الثانية فكانت في ولاية عقبة بن نافع الفهري الثانية والتي وصلت إلى جنوب المغرب الأقصى عام 62هـ /682م[1]. والتي تتبع فيها شواطئ البحر المتوسط غربا حتى وصل مدينة طنجة ومنها أراد فتح سبة والعبور إلى الأندلس ولكنه لم يستطيع وغير وجهته إلى الجنوب حيث قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة .يقول ابن خلدون " ...وأذعن له يليان أمير غمارة ولا طفه وهاداه ودله على عورات البرابرة وراءه أبولبلة والسوس وما والاهما من مجالات الملثمين فغنم وسبى وانتهى إلى ساحل البحر وقفل ظافرا "[2]، ثم واصل السير في محاربة قبائل مسوفة ومطاردتها حتى وصل إلى مدينة تارودات التي فتحها وهزم جموع البربر بها يقول ابن خلدون " ...ثم جاز بلاد السوس يقاتل بها من صنهاجة أهل اللثام وهم يومئذ على المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فأثخن فيهم وانتهى إلى تارودنت وهزم جموع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس وسبى منهم وقفل راجعا .." [3]ويفهم من كلام ابن خلدون أن قبائل صنهاجة كانت في وجه عقبة وجيشه إذ لم تذعن له، بل شكلت تحالفا فيما بينها لتدافع عن كيانها ووحدتها، كما أن هناك نصوص تشير إلى توغل عقبة في بلاد الملثمين حتى وصل موضعا أطلق عليه اسم أطار[4] .وهو موقع يفهم من سياقه أنه قريب من بلاد السودان يقول ابن عذارى متحدثا عن عقبة " ...ثم رجع من دكالة إلى بلاد هسكورة إلى موضع يقال له أطار فوجد فيه أقواما فدعاهم للإسلام فامتنعوا فتقاتل معهم حتى فروا أمامه فلم يقاتله بعد ذلك أحد من أهل المغرب.. "[5].

كما أن بعض المصادر تحدثت عن وصول عقبة الى قبائل صحراوية تسكن مدينة قريبة من بلاد السودان تدعى أنبية و أن بها قبائل من صنهاجة يقول ابن عبد الحكم " وأهل السوس بطن من

---

[1] ابن عبد الحكم ،المصدر السابق ،ص29

[2] ابن خلدون ،كتاب العبر المصدر السابق ، 297/6

[3] المصدر نفسه 6/ 298

[4] أطار :هي مدينة في موريتانيا الحالية

[5]ابن عذاري ، المصدر السابق 128/3

بطون البربر يقال لهم أنبية تجول في بلادهم لا يعرض له ولا يقاتله .."[1]ودام هؤلاء مسالمون فهذا يقيم فرضية دخول جمع منهم إلى الإسلام وتسرب عناصر منهم إلى بلاد السودان خاصة إذا علمنا أنهم على حافة الطريق التجاري الرابط بين سجلماسة وبلاد السودان وهو ما يؤكده اليعقوبي عند حديثه عن أنبية موضحا الطريق التي تفصلها عن سجلماسة وبلاد السودان الغربي "...ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان يسير في مفازة والصحراء مقدار خمسين رحيلة ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة الصحراء ليس لهم قرار شأنهم كلهم أن يتلثموا بعمائمهم سنة فيهم ولا يلبسون قميصا إنما يتشحون ثيابهم ومعاشهم من الإبل ليس لهم زرع ولا طعام ثم يصير إلى بلد يقال له غسط ..."[2].

كما أن مدينة درعة التي كانت تمثل علاقة تجارية بينها وبين بلاد السودان، وهي منطلق طريق على طول المسافة بينهما يربط بلاد المغرب ببلاد السودان خاصة في عهد مملكة غانة، وقد حفرت على طوله عدة آبار والفضل في ذلك لجيش عقبة على روية الكثير من المصادر، ومن خلال رصدنا لهذه النصوص التاريخية التي لا تحسم في فرضية وصول جيش عقبة إلى بلاد السودان، وحتى أنها لا تحسم في طبيعة وسيرورة الإسلام لدى قبائل صنهاجة، نجد أن أصداء الدعوة الإسلامية قد وصلت لدى قبائل صنهاجة ومنه إلى بلاد السودان الغربي وهذا منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي[3].

تابع خلفاء عقبة بن نافع جهوده في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين فقد بلغ موسى بن نصير وادي درعة وتافيلالت وأنشأ مسجدا في مدينة أغمات [4]، هذه المدينة التي ستصبح من أهم مراكز الإسلام والثقافة الإسلامية في بلاد المغرب الأقصى فيما بعد، كما ينسب إلى حبيب بن أبي

---

[1] ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 58

[2] اليعقوبي احمد بن يعقوب بن جعفر ، البلدان ، مطبعة بريل ليدن 1890، ص 111

[3]الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ن ص186

[4] قدوري عبد الرحمان ، الوجود المغربي في السودان الغربي ، المرجع السابق ، ص 26

عبيدة المتوفى سنة (124هـ/ 741م) الذي بعثه عبد الله بن الحبحاب إلى المغرب غازيا في حدود سنة 116هـ/ 734م حيث فتح بلاد السوس الأقصى وأرض السودان [1]، وخلال هذه الحملات قام بحفر سلسلة من الآبار على الطريق الصحراوي بين تامدلت [2] و أودغيشت[3] وهي من بلاد السودان الغربي، مما سهل حركة التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي[4] .

وعلى العموم فقد أدت جهود الولاة بعد عقبة إلى استقرار عدد كبير من البربر المسلمين في بلاد المغرب الأقصى فانتشر بوجودهم الإسلام في تلك المناطق ، وهذا ما أدى إلى فتح الطريق أمام القبائل البربرية المسلمة نحو الصحراء والأطراف الشمالية لبلاد السودان فأضحت تلك المنطقة امتدادا للمغرب المسلم وأصبح نشر الاسلام والدعوة له في المناطق الى الجنوب منها من مسؤوليتهم.

أما من جهة الصحراء الشرقية فقد وصل العرب المسلمون في ذات الوقت إلى قلب الصحراء في منطقة فزان وكوار ، وبإسلام أهل الصحراء بطرفيها الشرقي والغربي يعد الخطوة الأولى لانتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي، حيث تميزت هذه المرحلة بانتشار الإسلام سلميا مما فتح المجال للتجار والدعاة للعمل هناك. إلى أن ظهرت دولة المرابطين على مسرح الأحداث ببلاد السودان الغربي في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، فقد كان لها الدور الريادي في نشر الإسلام في هذه المناطق والقضاء على الوجود الوثني هناك. مما أدى إلى إسلام كثير من شعوب بلاد السودان الغربي، إضافة إلى توحيدهم على المذهب المالكي واندثار بقايا المذاهب الخارجية التي عملت على نشر الإسلام وفق مذهبها منذ البداية.

---

[1] ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 71

[2]تامدلت: هي إحدى المدن الصحراوية جنوب المغرب وهي قريبة من المنافذ الأولى لبلاد السودان الغربي .

[3] أودغيشت هي احدى المدن التجارية التي كانت لها دور حيوي في تجارة الصحراء الرابط بين سجلماسة وغانة وكانت تابعة لحكم مملكة غانة ودخلها الإسلام منذ القرون الأولى ، وهي الأن تسمى تيغداوسن من مدن موريتانيا الحالية . أنظر بوبة ولد محمد نافع مدن القوافل في موريتانيا وأوضاعها الحالية ، المؤتمر السابع عشر للأثار والتراث .ملتقى 22 . 27 ديسمبر 2003،نواكشط موريتانيا .

[4] البكري ، المصدر السابق ص 162.

2 ـ التجار: كان للعلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان دورا مهما في انتشار الإسلام بين شعوبه وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، حيث تؤكد الكثير من المصار هذه الصلات. وبانتهاء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بدأت القوافل التجارية تتجه إلى بلاد السودان في أواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني للهجرة. انتظمت التجارة العابرة للصحراء وسارت في طريق الازدهار وذلك لاقتران الإسلام دائما بالتجارة[1] .

وبقيام الدول المستقلة في بلاد المغرب متمثلة في دولة الأغالبة (184ـ 296هـ/801 ـ 908م) في المغرب الأدنى ودولة بني رستم (160 ـ 296هـ / 777 ـ 908 م) في المغرب الأوسط ودولة بني مدرار في المغرب الأقصى (140 ـ 296هـ/ 757 ـ 908م) حيث لعبت هذه الدول دورا بارزا في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان .ففي سنة (140 هـ/757م) تم بناء مدينة سجلماسة عاصمة الدولة الصفرية المدرارية ، والتي تشير بعض المصادر الى أن العديد من زنوج السودان شاركوا في بنائها ، مما يدل على اعتناق بعض الجماعات من بلاد السودان الإسلام على مذهب الخوارج الصفرية. كما كان لسجلماسة الفضل في أن تكون همزة وصل بين بلاد المغرب من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى ، وذلك لموقعها الجغرافي. [2]وبهذا أصبحت مركزا تجاريا هاما، كما يشيرإلى ذلك ابن حوقل إلى هذا الدور في قوله "كانت مركزا تجاريا هاما وبها أرباح متوافرة "[3].

---

[1] الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ص 223 224.

[2] الناني ولد الحسن ، صحراء الملثمين ، المرجع السابق ، ص 43

[3] ابن حوقل صورة الارض ، المصدر السابق ، ص ص 91 96

وبهذا أصبحت سجلماسة من أهم المحطات التجارية التي ارتبطت بشكل كبير ببلاد السودان الغربي عامة وبمدينة غانة بصفة خاصة،يقول الحريري في ذلك "وغانة بلد من بلاد السودان وإليها ينتهي التجار والمدخل إليها من سجلماسة "[1].

كما شارك التجار الإباضيون الذين استقروا على أطراف الصحراء في واحات فزان وورجلان، منذ القرن الثاني للهجرة في التجارة العابرة للصحراء واتسع نشاطهم بقيام الدولة الرستمية، التي أشرفت على التجارة الصحراوية واهتمت بها، وحفرت الآبار للقوافل وأرسلت الجنود بصحبة التجار لتأمينهم ، والكثير من التجار ببلاد السودان الغربي في عهد الدولة الرستمية كانوا يتجهوا إلى مدينتي غاوا وغانة السودانيتين[2].

وتعد إمارة الرستميين من أولى الكيانات السياسية في بلاد المغرب الاسلامي التي ارتبطت بعلاقات سياسية ودينية وتجارية رسمية مع الممالك السودانية خاصة مملكة غانة في السودان الغربي، حيث كانت القافلة التجارية تخرج من العاصمة تيهرت إلى ورجلان ومنها إلى بلاد السودان الغربي[3] .

لم تقتصر التجارة على العامة من الناس بل تجاوزتها الى أمراء الدولة الرستمية مع بلاد السودان الغربي، فكان الامام عبد الوهاب من كبار التجار وخاصة تجارة الذهب التي نشطت في عهده حيث عد نفسه أحد الموارد الرئيسة لبيت المال الامارة الرستمية، كما كان الامام أفلح ابن عبد الوهاب شغوفا بالتجارة مع بلاد السودان الغربي نظرا لما رآه من ثروات أبيه من هذه التجارة فطلب من أبيه التوجه إلى بلاد غاو في السودان الغربي [4]، كما اشتهرت عنه وفوده لسفارة إلى ملك السودان، وقد أعجب

---

[1] الحريري ، المقامات ، نقلا عن نعمة عبد السلام الحسين ، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي ، دكتورة في التاريخ ، جامعة أم درمان ، السودان 1999 ، ص 79

[2] الفانوس ، دور حكام السودان في نشر الاسلام في الغرب الافريقي ، المرجع السابق ن ص61

[3] ابن سعيد المغربي ، الجغرافية ، تح اسماعيل العربي ، دار احياء التراث ، بيروت ،1970،ب ط ،ص 45

[4] ابن الصغير المالكي ، أخبار الائمة الرستميين ، ت ابراهيم بحاز ن دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1986، ب ط ، ص 27

الملك السوداني بعظمة هذا السفير الرستمي الذي جاء يحمل إليه الهدايا من الإمام أفلح بن عبد الوهاب. يقول ابن الصغير في ذلك " فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته وقال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال "[1].

وظل الإباضيون يمارسون تجارتهم مع بلاد السودان الغربي حتى بعد سقوط دولتهم على يد الفاطميين حيث تركوا تيهرت ورحلوا إلى ورجلان التي أصبحت بفضل نشاطهم التجاري مع السودان الغربي من أكثر المراكز التجارية في بلاد المغرب الأوسط .

كما شجع الاغالبة الذين أسسوا دولتهم (184هـ ـ 800م) رعاياهم في مدن بلاد السودان الغربي على المشاركة في التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها، وقد ساعدت حيوية التجارة المغاربية الى المنافسة بين دويلات المغرب في التجارة إلى هذا الإقليم، وقد وصل حجمها إلى مائة جمل بأحمالها وأعوانها، وكانت مدينة أودغشيت احدى المراكز التجارية ببلاد السودان الغربي هي الأكثر علاقات تجارية مع دولة الاغالبة[2] .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري وتحديدا بين عامي (296 ـ 297 هـ /908 ـ 909م) نجح الفاطميون في القضاء على دولة الأغلبية ودولة الخوارج الصفرية بسجلماسة والدولة الاباضية بتيهرت، مما أتاح لها الفرصة للسيطرة والتحكم في طرق التجارة الصحراوية، وبذلك احتكروا الوارد والصادر مع بلاد السودان الغربي، إضافة إلى عقد بعض التحالفات بينهم وبين زعماء القبائل الصنهاجية، وعن طريق هذه المعاملات التجارية استطاع الفاطميون الترويج ونشر أفكارهم ومعتقداتهم الشيعية الباطنية تحت غطاء الدعوة إلى الإسلام [3].مما دفعهم إلى السيطرة على الكثير من المراكز التجارية ومن أهمها

[1] ابن الصغير، المصدر السابق ص35

[2] المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تح البشير البكوش ، دار الغرب ، بيروت ط 2، 1994، 122/1

[3] الناني ولد الحسن ،صحراء الملثمين ، المرجع السابق ، ص204

سجلماسة رغبة منهم في السيطرة على تجارة الذهب والتي كانت من وراء ثراء الكثير من الفاطميين، فشرعوا في صبغ أودغشت بالصبغة الشيعية وذلك زمن عبيد الله المهدي [1]. فأصبحت من أودغيشت تدين بالمذهب الشيعي، وهذا ما يبين لنا مدى ارتباط التجارة بالدعوة الاسلامية .

وبقيام دولة المرابطين في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري واجتهادهم في توحيد بلاد المغرب الأوسط والأقصى ووصولهم إلى الأندلس وبلاد السودان الغربي تحت راية المذهب المالكي، مكن من بسط نفوذهم على مساحات واسعة من الصحراء، وبهذا النفوذ استطاعت أن تقضي على المذهب الشيعي الذي تركه الفاطميون .كذلك ساعدها هذا النفوذ على تنشيط الحركة التجارية من والى بلاد السودان الغربي وإقامة علاقات ودية مع امارة التكرور ومملكة غانة [2]. كما اهتم المرابطون بتأمين الطرق التجارية التي تربط أجزاء مملكتهم بحيث كانت تصهر على حماية قوافل التجار وخاصة تلك القوافل المحملة بالذهب، مما سهل نزوح جماعات كبيرة الى هذه المناطق من قبائل صنهاجة (مسوفة ،وجدالة ،و لمتونة)[3] .

من كل هذا تبين لنا أن التجارة كان لها دور كبير وفعال في دخول الإسلام وانتشاره في الكثير من مناطق السودان الغربي، فانتشر الإسلام ووقر في القلوب وتغلغل في نفوس شعوب السودان الغربي وتأثرت المجتمعات بذلك الدين القيم وظهر ذلك جليا فيما كان من أمر مدينة غانة التي كانت على الوثنية[4]. وسرعان ما تحولت إلى مدينة إسلامية بفضل التجار الذين كانوا مسلمين قبل أن يكونوا تجارا فلما لاحظ السكان تلك الأخلاق السامية تأثروا بهم ودخلوا في الاسلام. وكذلك مدينة جني التي تقع على نهر النيجر إلى الجنوب من تنبكتو حيث أسلم ملكها يقول السعدي " أنه عندما

---

[1] النابي ولد الحسين ، المرجع السابق ،205

[2] ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، دار رشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2000، ص 157/1

[3] مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 44

[4] البكري ، المصدر السابق ، ص 36

أراد أن يدخل في الإسلام أمر بإحضار من فيها من المسلمين، الدعاة والتجار والعلماء الذين دخل بعضهم مع القوافل التجارية وتم احصاؤهم فكان عددهم يقرب أربعة الاف ومئتان من المسلمين، فأسلم على أيدهم وأمرهم أن يدعوا إلى الله فدخل الجميع في دين الله "[1].

وبهذا يمكن القول أن التجار العرب والمسلمين كانوا يرتادوا بلاد السودان الغربي بغرض التجارة، ولكنهم في نفس الوقت قاموا بالدور المهم في حياتهم وهو نشر الإسلام بين أفراد المجتمع السوداني، من قبائل الفولان والهاوسا والمانديجووا وغيرهم من تجار التكرور وأخذت التجارة العربية السودانية الإسلامية مكانتها المرموقة في ظل الإسلام، كما أن استقرار التاجر العربي المسلم في بلاد السودان الغربي جعله يحتك بإخوانه السودانيين مما أدى الى التزاوج والتصاهر فيما بينهم ، فكان السودانيون يرحبون بهذا التصاهر لما فيه من ترابط بين المسلمين يقول الحسن الوزان "إن ملك تنبكتو قد زوج ابنتيه إلى تاجران من أغنياء العرب "[2] العرب يقصد التجار المغاربة .

كل هذا أدى في الأخير إلى انتشار واسع للإسلام في تلك المناطق الإفريقية بقيت تحافظ عليه إلى يومنا هذا.

3 ـ الدعاة : بدخول الإسلام لبلاد المغرب واستقراره به قامت طلائع الدعاة والمعلمون لنشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد السودان الغربي ، ومن أول الاشارات التي تؤكد توغل الدعاة في ديار السودان الغربي ما ذكره البكري في وصف مملكة غانة "... وفيها فقهاء وحملة العلم"[3]. وكان الدعاة والفقهاء المسلمون حيثما حلوا كانوا دعاة إلى الله سلاحهم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ينشرون الإسلام فرادى وجماعات ، وأكبر نشاط قام به هؤلاء الأفراد في ميدان الدعوة هو الدور التعليمي وأدل على

---

[1] السعدي ، المصدر السابق ، ص 21

[2] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 37

[3] البكري ، المصدر السابق ، ص 112

ذلك من تلك الألقاب التي تداولت كمفهوم يطلق عليهم مثل المعلم والفقيه. مما جلب لهم التقدير والاحترام بأعظم مظاهره يصف توماس هؤلاء بقوله " هؤلاء المعلمون الدينيون كما يطلق عليهم بحسب اختلاف اسمائهم يحظون بأوفى نصيب من التقدير وفي بعض قبائل افريقيا الغربية تضم كل قرية دارا لاستقبالهم ويعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير " [1]. ولقد واكبت الدعوة الإسلامية حركة الفتوح والتجارة حتى أن بعضهم كان تاجرا يؤدي الوظيفة التجارية إلى جانب الوظيفة الدعوية، وكان لوجود تلك الأفراد والجماعات في الأوساط الوثنية ببلاد السودان الغربي دورا كبيراً في تغيير المعتقدات الفاسدة إلى عقيدة صحيحة .لذلك فان الدعاة استقروا في المدن وظلوا ملتزمين بتطبيق تعاليم دينهم وأداء الواجبات التي فرضها الله عليهم فكانوا حريصين على الصدق في أقوالهم والنزاهة في معاملتهم التجارية، كما كانوا يداومون على ممارسة شعائرهم الدينية بشكل منتظم من صوم وصلاة وزكاة، مما استدعى انتباه السكان المحليين، هذا وقد قصد بلاد السودان الغربي الكثير من الدعاة على اختلاف مذاهبهم فالمذهب الإباضي وما قام به دعاته في بلاد السودان الغربي لمذهبهم حيث يذكر الشماخي عند حديثه عن أحد العلماء الإباضيين وهو ميمون بن محمد أبو عمر الذي قدم عليه ركب من التكرور من بلاد السودان الغربي وكانوا في تجارة فاستمعوا إلى علمه واعجبوا به أيما اعجاب وقدموا إليه هدية عبارة عن مبلغ من المال قدره أربعمئة دينار فأبى قبولها تورعا. [2]وهذا ما يؤكد وجود علاقات وثيقة بين السودان الغربي ومناطق جنوب الصحراء الكبرى التي استوطنها الإباضيون. كما رحل إلى بلاد السودان الغربي عالم إباضي يسمى أبو يحي الفرسطائي (تقرن 2هـ /8م)فوجد ملكهم رقيق الجسم خائر القوى وسأله عما به فقال الخوف من الموت فأخبره الشيخ عن الله وصفاته سبحانه وكلمه عن الجنة والنار والحساب ولكن الملك لم يصدقه فيما قال ولكن الشيخ ظل يدعوه إلى

---

[1] توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، تر حسن ابراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ، ط 3، 1970، ص 392.

[2] الشماخي ، سير المشايخ ، المصدر السابق ص 433

الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه ودعا رعيته إلى الإسلام فأسلمت بإسلامه [1]. كما كان للداعي علي بن يخلف النفوسي أحد مشايخ جبل نفوسة الذي سافر إلى داخل غانة داعيا وكان له عند ملكها مكانة مميزة، فأكرمه غاية الإكرام بالرغم من أنه مشركا، فبدأ علي بن يخلف يدعوه للإسلام وذلك بعد حادثة عام القحط الذي حل بغانة فاشتكت الرعية إلى السلطان ، فطلب الملك من الشيخ أن يدعوا ربه ليغيثهم، فخرج مع الشيخ إلى كدية فصار الشيخ يصلي به ويتبعه السلطان على ما يفعله واذا دعا قال أمين فلما أصبح عظم المطر وحالت السيول بينه وبين المدينة، فلما رأى الملك ذلك دعا أهل بيته ووزرائه ثم أهل المدينة فأجابه الجميع لدين الاسلام، وأخذا يعلمهم الصلاة وفرائض الدين والقرآن[2] .

ويروي البكري مجموعة من الدعاة الذين وصلوا إلى بلاد السودان الغربي وإلى مملكة غانة خصوصا ونذكر منهم العربي أبوعبد الله المكي ومنهم الفقيه المغربي أبو محمد عبد الملك ، كما ترجع المصادر التاريخية الفضل للدعاة العرب في اسلام الكثير من ملوك السودان الغربي ومنهم ملك صنغاي (400هـ /1010م) والذي أسلم طواعية دون اكراه وأعطى لنفسه اسم (مسلم داه) ومعناه في لغتهم اسلم طواعية دون اكراه[3] .

وبعد الفتح المرابطي لغانة سنة (469هـ /1036م)دخل الكثير من الدعاة الى المنطقة نذكر منهم الفقيه الجنحاني والفقيه أبي الربيع الذي كان يجوب بلاد السودان الغربي إما مدرسا أو مفتيا

---

[1] الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد ، طبقات المشايخ بالمغرب ، تح ابراهيم طلاي ، قسنطينة ، ب ط ، ب ت ، 517/2.

[2] الشماخي ، السير المشايخ، المصدر السابق ، ص 457. أنظر: مهدي رزق الله ، المرجع السابق ، ص 78.

[3] البكري ، المصدر السابق ، ص 183

وكذلك أبي يحيى بن أبي بكر الصنهاجي المعروف بأبي يحيى السائح الذي كان له دور كبير في دعوة الكثير من الناس في بلاد السودان الغربي[1] .

وبالنظر للمكانة البارزة التي كان يتمتع بها العلماء والدعاة والفقهاء في مجتمع السودان الغربي فقد تميزوا في ملابسهم حيث لاحظ الوزان وسجله بقوله " إن الفقهاء في بلاد السودان الغربي كانوا يتلثمون بلثام أبيض خلافا لبقية الأهالي الذين كانوا يتلثمون بلثام أسود أو أزرق " [2].هذا دليل على تلك المكانة التي وضعت لهم، لكن رغم الدور التعليمي والثقافي الهام الذي قام به الفقهاء والمعلمون والأئمة في تطوير حياة مجتمعات المنطقة نحو الأفضل، واهتمامهم بنشر قيم الخير والعدالة والمساواة التي تبشر بها العقيدة الإسلامية، إلا أنهم ظلوا يحافظون على تلك الرواسب الوثنية القديمة في مجتمعاتهم من ناحية التقاليد الموروثة رغم انتشار الإسلام بين فئة عريضة من قبائل السودان .

4ـ الهجرات : عرفت بلاد السودان الغربي عبر تاريخها الطويل هجرات جماعية وفردية لقبائل بربرية وعربية أثرت في تركيبتها السكانية وفي ثقافتها الدينية وكانت لعدة أسباب تبلورت في ذلك الحراك الاجتماعي الذي يعتبر من السنن الكونية، وكانت هذه الهجرات ظاهرة واضحة منذ القرون الأولى الميلادية غير أنها لم تكن تتجاوز الانتقالات الموسمية لتلك القبائل البربرية من بلاد المغرب عند أطراف الصحراء، وبعد دخول الإسلام لبلاد المغرب وبسط العرب نفوذهم عليه تغير طابع هذه الهجرات وأصبحت هذه القبائل تتحرك من أجل الاقامة الدائمة .

وفي العهود الإسلامية بدأت الهجرات العربية إلى بلاد المغرب لا سيما بعد تحريره من سيطرة الرومان،فكان أول اتصال للعرب بتلك المناطق يرجع إلى تلك الحملة التي قادها عقبة بن نافع

---

[1] القزويني ، المصدر السابق ، ص35

[2] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 167

الفهري إلى إقليم كوار من السودان الأوسط [1] .والتي يعتبرها كثير من الباحثين أنها وصلت إلى بلاد السودان الغربي وتركت بقايا من الجيش الأموي الذي ذكرهم البكري عند حديثه عن غانة " إن ببلاد غانة قوما يسمون بالهنيتهين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه إلى غانة في صدر الإسلام ..." [2] ومعظم الروايات التاريخية تتضارب بشأن هذا الجيش وإمكانية وصوله إلى هذه المناطق. ومهما يكن فإن هجرات العرب المسلمين وصلت إلى هذه الأراضي بنية الفتح وإيصال كلمة الحق لهذه المناطق، كما هاجرت جماعة من العرب عند محنة بني أمية مع العباسيين واستقروا بين زويلة وبلاد الكانم والتي منها إلى بلاد السودان الغربي[3].

وكان سكان الصحراء الأمازيغ الذين أدو دورا مهما للغاية في إقامة العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي بفرعيهما صنهاجة وزناتة،وكانت هذه القبائل رحل يحترفون تربية المواشي . وقبائل صنهاجة بفروعها المختلفة (مسوفة ، جدالة ، لمتونة ..) كانت في مقدمة القبائل المهاجرة إلى بلاد السودان الغربي، حيث ساهمت في تمهيد الأرضية لتدفق الإسلام ومؤثراته لا سيما في القرن الثاني للهجرة، الثامن الميلادي، وقد شكلت هذه الهجرات ترابط بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي في جوانب ثقافية واقتصادية مما ادى بها إلى تأسيس مراكز تجارية مهمة مثل تنبكتو في القرن الخامس الهجري وقبلها ولاتة التي سكنتها قبائل مسوفة وجدالة ولمتونة. كما هاجرت بعض القبائل العربية والبربرية إلى مدينة جني واستقروا بها، كما تمت هجرات أخرى إلى مدينة نياني عاصمة مالي واستقروا هناك متخذين لأنفسهم حيا خاصا بهم يعرف باسم حي البيضان وكانوا قريبين من ملك مالي منسا موسى ، وهذا على رواية ابن بطوطة[4].

---

[1] ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 52

[2] البكري ، المصدر السابق ، ص60

[3] البكري ، المصدر السابق ، 177

[4] ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 452

كما أن أعدادا كبيرة من هؤلاء العرب دخلوا مدن مالي ومن ثم بدأ اختلاطهم بطبقات المجتمع السوداني مما زاد تأثير هؤلاء العرب على ثقافة ولغة الماليين يقول العمري " وهم في غالب أحوالهم كأنهم منهم"[1] وظلت أعداد العرب الداخلة الى السودان الغربي تزداد بصورة مضطردة واستقرت منهم أعداد كبيرة أخرى من جهات عديدة حتى بلغ أقصى وجودهم زمن دولة صنغاي وأصبح تأثيرهم الثقافي قوي والدليل على ذلك هو انتشار الواسع للغة العربية التي أصبحت لغة تعليم وإدارة، ممادفع بالسلطان أسكيا محمد الكبير بالقول " إن الكثير من قراء القرآن في بلاد السودان تعلموا العربية من القبائل التي هاجرت إلى السودان الغربي "[2].

---

[1] العمري ، المصدر السابق ، ص 118

[2] عز الدين موسى ،انتشار الاسلام في غرب افريقيا ن ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الاسلامية ، المرجع السابق ، ص 71

الفصلالثاني

المدارس العلمية والدور التعليمي في السودان الغربي

(628ـ 1000هـ / 1231 ـ 1591م)

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية

1ـ الكتاتيب

2ـ المساجد

المبحث الثاني مراحل التعليم

1 ـ المرحلة الأولى (التعليم الابتدائي)

2ـ المرحلة الثانية (التعليم العالي)

3ـ التعليم الحرفي

4ـ الإجازات العلمية

المبحث الثالث: الحواضر العلمية

1ـ تنبكت

2 ـ غاو

3 ـ جني

شكلت بلاد السودان الغربي حلقة فريدة من حلقات الحضارة الإسلامية، لما تميزت به من طبيعة بشرية وجغرافية جعلها تكتسب هذه الخصوصية وتبلغ الريادة في فصولها.بفضل جهود علماء المسلمين الذين حملوا على عاتقهم نشر الإسلام وتكريس مبدأه السمح متخذين من التجارة سبيلا لذلك. ويرجع الفضل الأول في إرساء قواعد هذه الدعوة إلى الدولة المرابطية التي اتخذت من حلقات التعليم التي عقدها عبد الله بن ياسين الجدالي حول رباطه قرب نهر السنغال حيث انتشر التعليم في هذه الأماكن ورفعت رايته، وقد تزامن هذا مع توسيع مراكز التجارة التي كانت ملتقى لنشاط التجار من بلاد المغرب الإسلامي ومصر مع تجار بلاد السودان. ثم تحولت إلى حواضر تشترك في الأهمية التجارية إلى جانب الحركة العلمية مثل تنبكتو وجني وغاو، وقد أسهمت هذه الحواضر في تأسيس لحركة علمية في هذه البلاد، بحيث انطلقت لتكون احدى قلاع الحضارة الإسلامية بفضل جهود علمائها وما أنتجوه من تراث علمي تمثل في تلك الاجازات والسماعات ناهيك عن التأليف والتدريس فكونوا بذلك مدارس اشتهرت بها المنطقة وأصبح لها تأثير وصدى في العالم الإسلامي.

والجدير بالذكر هنا أن تناول المدارس من خلال مفهومها أو بالأحرى هل المدارس التي نقصدها هي تلك المدارس التي عرفتها بعض أقطار العالم الإسلامي أم هي شيء أشمل يمكن أن نتحدث عنه من خلال الخصوصية التاريخية والحضارية للمنطقة، وللتعرف على هذا لابد أن نعرج على محطات من خلالها نعرف المدرسة ونشأت المدارس في الحضارة الاسلامية والأدوار التي قامت بها.

فتعريف المدرسة: هي تلك المؤسسة التعليمية ذات المستوى العالي التي يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية معينة ذات مستوى معين على أيدي أساتذة مخصوصين. [1] وقد اختلف المؤرخون في ظهور المدارس، فمنهم من يرجعها إلى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي [2]، ومنهم من اعتبر أن مدارس نظام الملك الوزير السلجوقي في بغداد منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر

[1] محاسنة محمد حسين، اضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين الامارات العربية،ط1، 2001، ص145.

[2] السامرائي حسام الدين، المدرسة مع التركيز على النظاميات ج2، مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن 1989، ص335.

الميلادي هي أول المدارس [1] . غير أنه وبالرجوع إلى المصادر ومقارنتها نجد أن أول مدرسة بنيت هي المدرسة البيهقية[2] في نيسابور، [3] ثم تلتها المدرسة السعدية التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين (ت 412هـ /1021م) لما كان والياً على نيسابور ثم تلتها المدرسة الإسماعيلية نسبة إلى العالم اسماعيل بن المثنالاسترابادي أحد الوعاظ الصوفية. ثم بناء مدرسة رابعة للشيخ أبي اسحاق الاسفرايني[4].

وبعد انشاء هذه المدارس نشطة حركة بناء المدارس في بخارى وفي بلاد المشرق الإسلامي خاصة في العهد الساماني[5]، ويبدوا أن ذلك راجع إلى تشجيع أمراء الدولة السامانية لذلك، فأقيمت المدارس في بخارى وبلخ، ونيسابور مثل المدرسة التي أقامها الإمام أبو حاتم محمد بن حبان (ت354هـ /965م) في نيسابور عندما حول داره إلى مدرسة وحول إليها كتبه التي أوقفها على أهل العلم ورواد المدرسة[6] .

شهدت فترة أواخر القرن الرابع الهجري بداية الخامس الهجري نشاطاً ملحوظاً في استحداث دور العلم وهي المدارس التي كانت تستقبل طلاب العلم، انتشرت من بلاد ما وراء النهرين إلى باقي أنحاء العالم الإسلامي خاصة بغداد التي أنشأ فيها ابو علي بن سوار الكاتب سنة 372هـ/ 982 م دار للكتب في مدينة البصرة كان ينفق على من يقصدها للقراءة والنسخ . وكان فيها شيخ يدرس علم الكلام على مذهب الاعتزال. [7] ومما يلاحظ على هذه المدارس أنها كانت ذات طابع شخصي تتفرد بتدريس مذهب واحد وتهتم بعلوم الدين والفقه بالدرجة الأولى، لتظهر فيما بعد المدارس

---

[1]ابن خلكان، وفايات الأعيان ، المصدر السابق ص129.

[2]المقريزي، المصدر السابق ج3 ص199.

[3]نيسابور بفتح أوله وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء. ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق ج5 ص331.

[4]المقريزي، المصدر السابق ج3 ص200.

[5]الدولة السامانية قامت في بلاد ما وراء النهر خرسان ما بين(261 هـ ـ 381هـ) ويرجع نسبهم إلى احدى الأسر الفارسية العريقة التي كانت تدين بالديانة الزرداشية حتى أسلم جدهم سامان خده. وقد برز نجمهم أيام الخليفة العباسي المأمون .ينظر: ابن الأثير المصدر السابق ج6 ص503.

[6]ياقوت الحموي ، المصدر السابق ج1 ص 418.

[7]المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المصدر السابق ص 413.

النظمية في بغداد سنة 457هـ/ 1065م.[1] وفي مصر بنى الفاطميون مدارس خاصة بهم مثل مدرسة دار العلم بالقاهرة والتي بناها الحاكم بأمر الله الفاطمي[2]، كما بنى الخادم مسرور أحد خدام القصر في نهاية الدولة الفاطمية مدرسته عرفت بالمدرسة المسرورية[3] .

وسار نور الدين زنكي [4] في طريق مماثل من حيث الاهتمام بإنشاء المدارس في بلاد الشام فقرب إليه العلماء وأنشأ مدرسة كبرى تسمى المدرسة النورية سنة 563هـ/ 1168م حيث أدارها الرحالة ابن جبير حيث أعجب بها وبنظامها [5]. وفي عهد صلاح الدين الأيوبي بنى عدة مدارس في كل من مصر وبلاد الشام منها المدرسة الناصرية بجوار مسجد عمر بن العاص في الفسطاط سنة 566هـ /1171م عندما كان وزيرا للخليفة للعاضد [6]، وبنى المدرسة الصلاحية في مصر بجوار قبر الامام الشافعي وكانت تدرس الفقه على مذهب الشافعي.

ومن هذه الفترة ازداد عدد المدارس في كل من الشام ومصر وبغداد، وقد ميز هذه المرحلة التنافس المذهبي والفقهي حيث أصبحت كل مدرسة تابعة لمذهب من المذاهب سواء كان فقهياً كمذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة والحنبلي أو عقدياً، كالشيعة وأهل السنة. إضافة إلى اختصاصاتها في شتى العلوم كعلوم القرآن والحديث والنحو وعلم الكلام والطب وغيرها.

وفي بلاد المغرب عرفت هي الأحرى نظام المدارس لكن بصفة مختلفة عما في المشرق إذ يرجع أول ذكر لها في هذه البلاد في العهد المرابطي، حيث اشتهرت مدرسة الصبارين بفاس التي يناها الأمير

---

[1] ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، 1966، ص 06.

[2] المقريزي، الخطط ، المصدر السابق، ج4/ص ص 122 193 .

[3] فكري أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، ط2 القاهرة، 2008، ج4 / ص51.

[4] هو نور الدين زنكي ابن عماد الدين محمود زنكي الذي أسس الدولة الزنكية في الشام والموصل في العهد السلجوقي في الخلافة العباسية، كان له دور كبير في محاربة الصليبيين، ولقد ازدهرت الحضارة الاسلامية في عهده .ينظر: إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط 1، 1989، ص ص 195 196 .

[5] ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، الرحلة، دار صادر، بيروت، ط1، 1964 ص 265.

[6] فكري أحمد، المرجع السابق، ص 52.

المرابطي يوسف بن تاشفين (452 ـ 499هـ/1060 ـ 1105م)[1]، وفي العهد الموحدي بنا أبو يعقوب المنصور الموحدي مدرسة المهدية قرب قصره في مدينة سلا، وكانت مختصة في الملاحة البحرية[2].

وفي العهد الحفصي اشتهرت مدارس تونس منها المدرسة الشماعية [3] نسبة إلى سوق الشماعين، وقد أنشئت سنة 647هـ /1249م بإضافة إلى مدرسة سوق القلعة التي أنشأها الأمير الحفصي أبو عبد الله المنتصر سنة 839هـ / 1435م[4].

وفي المغرب الأقصى اشتهر نظام المدارس أكثر تنظيما واستعمالا حيث نفقت الدولة المرينية أمولاً وحبست أوقافاً على هذه المدارس في كل من فاس ومراكش وسلا ومكناس، وهو ما يعبر بعمق عن احتفاء الدولة بالحركة العلمية التي وصلت اليها، فظهر ما يعرف بنظام الكراسي العلمية داخل هذه المدارس، ومن أهم هذه المدارس نجد مدرسة الصفارين [5] في فاس والتي أقيمت قرب سوق الصفارين وقد بنيت في عهد السلطان أبو يوسف سنة 670هـ /1271م، ومدرسة العطارين[6] في فاس بناها السلطان سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 723هـ /1323م قرب جامع القرويين، وكذلك مدرسة الصهريج [7] بفاس التي بناها السلطان أبو الحسن بن سعيد المريني، قرب جامع الأندلسيين.

---

[1]أسكان الحسين، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1 ـ 9 هـ/ 7 ـ 15م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المعرف الجديدة، الرباط، 2004،ص 58.

[2]حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر ط1، 1980، ص 401.

[3] ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1286هـ، ص 127.

[4]المصدر نفسه ، ص146.

[5]السلاوي الناصري، المصدر السابق ج2/ص32.

[6]المصدر نفسه ج2/ص 54.

[7] عبد العزيز عادل محمد، التربية الاسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ص45.

ويبقى أن نشير إلى أن هذه المدارس التي ظهرت في بلاد المغرب كانت بدء لمرحلة التخصص العلمي لمعاهد التعليم حيث نجد أن هناك مدرسة للقراءات السبع، وأخرى للعلوم الطبية وهو ما يفسره كثرة هذه المدارس التي بقيت آثارها مستمرة عبر الأجيال، مما يعني أن بلاد المغرب دخلت مرحلة جديدة في حركتها العلمية بعيدا عن التعصب المذهبي أو العقدي، وهذا ما أشار إليه السلاوي عن سلاطين بنو مرين وكثرة بنائهم للمدارس فيقول " وبالجملة فقد كان لبني مرين جنوح إلى الخير ومحبة في العلم وأهله شهدت بذلك آثارهم الباقية إلى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها "[1].

وإذا كانت البلاد الإسلامية شهدت المرحلية والتخصص والاستقلال في بناء المدارس، فإن بلاد السودان الغربي عرفت المدرسة بشمولية واسعة لمجموعة من المحددات جعلت من الحركة العلمية تنطبع بمستوى التخصص تارة في المساجد وأخرى في المكاتب، ومرة في الساحات العامة مما أعطى رمزية المدرسة كانطباع على جوانب معينة،والمنهج المتبع لمجموعة من العلماء يشتركون إجازات واحدة أو سند واحد ، أو تتلمذوا على أساتذة مشتركين إضافة إلى ذلك التباين بين الحواضر العلمية التي شكلت مفهوم المدرسة ككيان رمزي وليس كحضور فعلي من حيث التقليد المتبع والخصوصية الدراسية.

وهنا نورد كلمة استعمال أو مدرس التي تعني مكان الدراسة أو مجلس العلم وحلقته سواء في المسجد أو خارجه والدليل على ذلك ما ذكره السعدي عند ترجمته للفقيه عبد الله بن الفقيه محمود بن عمر بن محمد آقيت حيث نجده استعمل كلمة مدرس فقال " وأما عبد الله فهو عالم فقيه مدرس"[2]. وكذلك استعمل كلمة مدرسة في ترجمته للفقيه عبد الرحمان بن القاضي محمود بن عمر آقيت فيقول " وكان ذا مكاشفات وأصحاب مدرسته يحكون عنه حكايات كثيرات" [3]. ويبدو أن

---

[1] السلاوي الناصري، المصدر السابق ج2/ ص54.

[2] السعدي المصدر السابق ص 34.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

المدرسة استعملت للدلالة على مكان الدراسة أو مجلس العلم وحلقته سواء في المسجد أو خارجه، يقول السعدي في هذا المجال " فلما صلى بالناس الظهر جلس في مدرسته قال بالله لتسمعن في هذا العام ما لم تسمعوا بمثله قط"[1].

وأصحاب المدرسة الذين يعنيهم السعدي هم الذين يتحلقون حول العالم لتلقي العلوم الدينية، وكلمة مدرس تعني العالم الذي يلقي الدروس على طلاب العلم في مختلف الأعمار من غير مكان مخصوص، وقد وردت إشارات كثيرة عند السعدي بهذا المفهوم مثل ترجمته للفقيه يحيى بن عبد الرحيم " وروي أنه كان في مدرسته ذات يوم تحت الصومعة من خارج يقرأ وحوله عصبة من الطلبة" [2] وفي قوله " وروي أن الفقيه عبد الرحمان بن الفقيه محمود حكى هذه القصة في مدرسته في المسجد" [3] وقوله " فتكلم الشيخ في مدرسته وقال ". وهذه النصوص تفيد أن المدرسة تعني الحلقة والشيخ والمكان، وقد وردت هذه الكلمة في كتابات الرحالة [4]، وهم يعنون بذلك التعليم في الكُتّاب والزوايا والمساجد والحواضر، ولا أظن أنهم يعنون تلك المدارس التي تدرس العلوم العقلية والعلمية بجانب الدراسات الاسلامية والعربية مثل ما كان سائد في الشرق والغرب الاسلاميين .

---

[1] السعدي، المصدر السابق ص 47.

[2] المصدر نفسه ص 51.

[3] المصدر نفسه، ص47.

[4] يقصد بالرحالة الذين زاروا بلاد السودان الغربي ومنهم :ترمنجهام، يوركهارث، هنري بارث، ابن بطوطة، الحسن الوزان، ينظر: حنفي مصطفى، ثقافة الصحراء والعمق الافريقي للهوية الثقافية العربية الاسلامية، ندوة التواصل الثقافي، ليبيا ماي 1998،ص35.

المبحث الأول

المؤسسات التعليمية في السودان الغربي

1 ـ الكتاتيب

2 ـ المساجد

1. الكتاتيب :

لقد عرف الكتاب عند العرب منذ الجاهلية على الرغم من قلته ثم بدأ ينتشر بانتشار الإسلام وقد قام المسلمون الأوائل من أهل الحجاز والشام والعراق ومصر بدور كبير في إيجاد هذه الكتاتيب وخصوصا حينما انتقلوا إلى البلاد المفتوحة في خرسان والشرق الإسلامي وبلاد المغرب ليعلموا أولادهم القراءة وليلقنوا أبناء المسلمين من أهل تلك الديار آيات كتاب الله وتبيينها ، وهكذا وجدت الكتاتيب وانتشرت في عواصم الأمصار الاسلامية[1] .

والكتاتيب في بلاد السودان الغربي تشبه جميع الكتاتيب الموجودة في العالم الإسلامي، بحيث أنها لا تعدو أن تكون حجرة صغيرة مجاورة للمسجد، أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل شيخ أو فقيه مفروشة ببعض الحصير.[2]

وقد كانت مخصصة للصبيان لتعليمهم في المراحل الأولى من التعليم ، فيذهب الطفل في العادة إليها مبكرا ، حيث يبدأ يومه بتعلم الحروف الهجائية ثم مرحلة التهجي الى مرحلة القراءة ثم الكتابة ، ثم مرحلة الأجزاء الأولى من القرآن الكريم . إلى أن يحفظه كاملا وتكون مدة بقاء الطفل في الكتاب خمسة أعوام إلى ستة أعوام على الأكثر وتكون في الغالب من السنة الخامسة أو السادسة من عمره إلى السنة الحادي عشر ، حيث يحفظ خلالها الطفل القرآن الكريم كاملا كما يتعلم الكتابة والقراءة وفنون اللغة العربية .

وقد اهتم حكام بلاد السودان الغربي في دولة مالي وسنغاي بحركة التعليم فشجعوا على تعليم القرآن الكريم ، حيث يتجسد هذا الاهتمام في زيادة عدد الكتاتيب وهو ما سجله المؤرخ محمود كعت عن مدينة تنبكتو " وفيها مدارس الصبيان الذين يقرأون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين

---

[1]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ص 281.

[2]ـ الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، ص 67.

مكتبا"[1] . ويدل هذا على أهمية التعليم بالنسبة لهؤلاء الحكام ، والمكانة التي بلغتها تنبكتو كحاضرة علمية ومدى تطور حركة التعليم بها .ومن الأمثلة على ذلك أيضا زيارة العالم الشيخ محمد بن أحمد مكتب المعلم علي تكاريا في مدينة تنبكتو[2] فرأى صبيان المكتب يأتون لشيخهم علي تكاريا ويعطونه ودعا بعضهم يعطيه خمسة ودعات والبعض الأخر يعطيه عشر ودعات على عادتهم المسماة الأربع (الأربعاء) حتى حصل على ألف وسبعمائة وخمسة وعشرين ودعة (1725) .

وقد أورد محمود كعت هذه الرواية أذ قال " وعنده من المتعلمين نحو خمسين وعند بعضهم سبعين إلى مائة وفيها مدارس معلم الصبيان الذين يقرأون القرآن ..... على ما ذكره الشيخ محمد بن أحمد، ذكر أنه حضر مكتب المعلم تكاريا يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر وجعل الصبيان ... تحصل قدامه ألف وسبعمائة وخمسة وعشرون ودعة". [3]ثم قال "استرحت بنظري إلى ألواح الصبيان المتخذة في عرضة داره وعددت منها مائة وثلاثة وعشرين لوحا". [4] أما السعدي فهو بدوره تحدث عن هذه الكتاتيب وسماها محضرا وقد ورد هذا اللفظ عند حديثه عن الفقيه أبا القاسم التواتي الذي سكن تنبكتو وكان أحد علمائها وأئمة مسجدها الكبير فقال " وقد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينها وبين داره إلا الطريق العتيق النافذ بعدما ابتنى محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها وفيه يقرئ الأطفال، وبعدما توفي خلفه فيه تلميذه السيد منصور الفزاني وبعده السيد الفاضل الصالح الخير الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه ابراهيم الزلفي"[5] ".

كما عرفت بلاد الهوسا هذا النظام من التعليم (الكتاتيب) والتي سمها الباحث النيجري عبد الله آدم الآلوري بالمدارس القرآنية عندما تكلم عن التعليم في هذه المنطقة قائلا " أما القراءة والكتابة

---

[1]ـ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 180.

[2]ـ الفانوس عمار صليح ، المرجع السابق ، ص 212.

[3]. محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 181.

[4]ـ المصدر نفسه ، ص 190.

[5]ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 82.

فكانت تتعلمان مع القرآن في المدارس القرآنية التي يرتادها أطفال المسلمين ليدرسوا كلام ربهم إلى جانب ما يضيفون إليه من معرفة فروض الدين الإسلامي من عقائد وعبادات ثم يندمج من شاء منهم بعد ذلك في ميدان الحياة الصناعي أو التجاري وهم الأكثرون أو يلتحق من شاء منهم بمدارس العلوم ليتنور بالثقافة الإسلامية التي تعتمد على تفسير القرآن والحديث والفلسفة والعقائد التوحيدية والتي تقوم على قواعد النحو والصرف والشعر العربي وعلوم النقد والتاريخ والفلك والمنطق ويقل الذين يثابرون على التعليم حتى يصلوا إلى هذه المرحلة"[1]. وقد انتشرت في هذه البلاد عدة كتاتيب منها ما بناها العاهل الكانوي (نسبة إلى كانو من بلاد الهوسا) محمد رمفا(ت 973هـ/1565م) لتعليم القرآن الكريم وسماها ـ جورونبوغاشي[2] ـ بلغة الهوسا وتعني الكتاتيب وقد حرص أهل السودان الغربي على تعليم أطفالهم تحفيظ القرآن الكريم انطلاقا من هذه الكتاتيب والتي كانت عامل مشجع على هذا .كما أنها تعتبر المكان المناسب لعمر الصبي في التعليم إضافة إلى ذلك الجو التنافسي الذي تخلقه بين الصبيان من أجل الحفظ والتعلم ، وتقتصر على الصبيان دون غيرهم من الفئات العمرية الأخرى . ولقد كان من عادة أهل السودان الغربي عقاب أبنائهم الذين لا يحفظون القرآن الكريم في هذه الكتاتيب.

وهذا يتجلى من خلال ما أورده ابن بطوطة أثناء رحلته لمملكة مالي في(ق 8هـ/14م) " ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم ، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون ، فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ، ومررت يوما بشاب وفي رجليه قيد ثقيل فقلت لمن كان معي ما فعل هذا فقال إنما قيد حتى يحفظ القرآن"[3] .

[1]ـ الآلوري آدم عبد الله ، موجز تاريخ نيجيريا ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، 1965،(ب ط) ص 94.

[2]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 288.

[3]ـ ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 312/2

ونص ابن بطوطة يؤكد لنا حرص الآباء على تعليم أبناءهم حفظ القرآن الكريم ، وبهذا انتشرت الكتاتيب التي منها يتدرج الطفل في التعليم وينطلق ليتابع دراسته في باقي المراحل التعليمية ،كذلك اهتمام الحكام بالتعليم عموما والتعليم القرآني على وجه الخصوص . ولم يقتصر نشاط طلبة الكتاتيب على الجانب التعليمي فحسب بل تعداه إلى نشطات اجتماعية أخرى كإحياء للحفلات المتعددة كحفلات الزواج وغيرها فكانوا يدعون إلى المنازل ويرتلون القرآن جماعيا وكذلك في الجنائز فكان لهم ذات الدور في قراءة القرآن حتى أخر الليل و لعدة ليالي[1] .

2 ـ المساجد : انتشر الدين الإسلامي في السودان الغربي بطرق مختلفة ، وفي أوقات مختلفة، وبدرجات مختلفة من التكامل بالطرق السلمية، وتفرد الدين الإسلامي بخاصية فريدة هي التفاني في العبادة ومظاهرها ، وحثنا الدين الإسلامي على إعمار الأرض ، وارتبط المسجد ارتباطا وثيقا وعضويا بظهور الإسلام . و أول مسجد بني في الاسلام هو مسجد قباء ،والذي يقال له مسجد التقوى لقوله تعالى " **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين**"[2].

وظل هذا الشكل المتعارف عليه في تخطيط المساجد هو اللبنة الأولى التي شيدت على غرارها كافة المساجد الإسلامية .

ـ المسجد الكبير بتنبكتو (ويعرف بمسجد جنجوربير) [3] : وهو من أكبر المساجد في تنبكتو وأقدمها ولا يعرف تاريخ بنائه على وجه التحديد ، ويرجح أنه بني في القرن السادس الهجري و أعيد

---

[1]ـ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 130.

[2]ـ سورة التوبة الآية 107.

[3]ـ اختلفت الأسماء التي أطلقت على الجامع الكبير بين من يسميه جانكوبر ، و جنجوبر وبين من يسميه الجامع الكبير ، وجانكوبر تعني في لغة السنغاي المسجد الكبير . أنظر : عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ص 152.مهدي رزق الله ، المرجع السابق ، ص 311.

بناءه في القرن الثامن الهجري في عهد السلطان منسا موسى ملك مالي [1] بعد عودته من رحلة الحج وكلف بهذه المهمة البناء والمهندس الأندلسي أبو اسحاق إبراهيم الساحلي الملقب بالطويجين (ت 747هـ / 1346م)الذي اصطحبه معه . وقد أقيم هذا المسجد على أثر بقايا مسجد قديم ن ويحتوي المسجد من الداخل على خمسة أروقة ، وتمتد من الاتجاه الشمالي الى الجنوبي على ثمانية صفوف ممتدة، وكذلك من الاتجاه الشرقي إلى الاتجاه الغربي[2]. وللمسجد صحنان، صحن كبير متسع وصحن صغير متصل بالمئذنة ، وبالصحن عدة قبور عليها بعض النقوش وذات زخارف مؤرخة، وللمسجد خمسة أبواب مختلفة الأحجام، ثلاث أبواب من الجهة الجنوبية وبابان من الجهة الشمالية، أما مادة بناءه فكانت من الحجارة والجير[3].

وقد مر المسجد بعدة إصلاحات ابتداء من دولة صنغاي علي عهد القاضي العاقب بن عمر (ت 991هـ/1583م)، حيث اضيفت إليه زيادة كبيرة وكان هذا سنة 976هـ/1568م[4] . وقد كلفت هذه التوسعة سبعة وستين مثقال من الذهب على نفقة القاضي العاقب رحمه الله [5]، كما شارك في بناء هذا المسجد السلطان الأسكيا داوود ببعض المواد والتي تمثلت أساسا في مادة الخشب. قد تعاقب على إمامة المسجد العديد من الفقهاء ممن اتصفوا بالورع والصلاح . يقول السعدي " فأول من تولى إمامته الفقهاء السودانيون في دولة أهل مالي وفي طائفة من دولة الطوارق[6] وأخر الأئمة فيه الفقيه القاضي كاتب موسى مكث في الإمامة أربعين سنة ....وعندما رحل إلى فاس بأمر منسا

---

[1]ـالسعدي ، المصدر السابق ص 56.

[2]ـ فاطمة محمود مبروك ، العمائر الإسلامية في إمبراطورية السنغاي زمن الاسكيين (898ـ1000 هـ/ 1492ـ1591م)معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ، 2008 ، ص ص 98 99.

[3]ـ الهرامة عبد الحميد ، تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الاسلامي ، مجلة كلية الدعوة ، العدد 04 ، ليبيا ، 1987، ص 228.

[4]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 314.

[5]ـ السعدي ، المصدر السابق ص 121.

[6]ـ الطوارق : قبائل بربرية تعود في أصولها الى صنهاجة ، وقد أسلموا في عهد دولة الأدارسة ، وقد قامت هذه القبائل بدور كبير في نشر الاسلام في غرب افريقيا .السعدي ، المصدر السابق ص39

موسى خلفه في الإمامة سيدي عبد الله البلبالي وهو أول البيضان صلى بالناس في أواخر دولة الطوارق واوائل دولة سني علي ولم يتعرض لأي أذى من سني على الذي عرف باضطهاده للعلماء حيث احترمه وقدره كونه من عباد الله الصالحين زاهدا ورعا لا يأكل إلا من عمل يده"[1].

ثم تولى الإمامة من بعده الفقيه أبو القاسم التواتي الذي سكن بجوار المسجد واستر في الإمامة والتدريس إلى أن توفي سنة 935هـ/1528م . فتولى بعده تلميذه منصور الفزاني ثم خلفه الفقيه إبراهيم الزلفي [2]. ثم جاء من بعد ذلك الفقيه علي الجزولي الذي ولاه القاضي محمود بن عمر واستناب (نائب له) الفقيه عثمان بن الحسن التيشيتي وقد مكث بالإمامة ثمانية عشر سنة إلى وفاته[3] . فعين الفقيه الإمام صديق بن محمد تعلي وهو من كابر أصلا وولد في جنجي ثم ارتحل الى تنبكتو اشتهر بالعلم والفضل والصلاح تولى إمامة المسجد الجامع أربعة وعشرون سنة وبعد وفاته تولى الإمامة مكرها نائبه عثمان بن الحسن التيشيتي الذي استمر فيها إلى وفاته سنة 977هـ/1569م. ثم جاء الفقيه كداد الفلاني الذي مكث في الإمامة اثنتا عشر سنة ثم تولاها من بعده الفقيه أبو العباس أحمد ابن الإمام الصديق ومكث فيها خمسة عشر سنة وتسعة أشهر، ويعتبر هذا الإمام أخر الائمة في مسجد تنبكتو الجامع في عهد دولة صنغاي[4] .

ـ مسجد سنكري : هو من أشهر المساجد في تنبكتو وبلاد السودان الغربي ويقع في الشمال من مدينة تنبكتو ، بنته سيدة ثرية فاضلة من قبيلة الأغلال تسمى فاطمة بنت أحمد الأغلالي [5] ، وذلك أيام دولة مالي سنة 726هـ/1325م وقد تم تجديده في عهد دولة سنغاي علي يد القاضي العاقب بن محمود سنة 989هـ/1581م وذلك بعد رجوعه من الحج ، حيث أخذ قياسات الكعبة بحبل

---

[1] ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 57.

[2]ـ المصدر نفسه ص 59.

[3]ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 154.

[4]ـ الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 285.

[5] ـ السعدي ، المصدر السابق ص 62.

وجاء به إلى تنبكتو فعندما شرع في بناء المسجد أخرج الحبل الذي قاس به الكعبة المشرفة وبنى على نفس القياسات وهذا ما أورده محمود كعت " وأخبرني بعض الشيوخ لأنه لما حج وأراد الانصراف والقفول إلى تنبكتو استأذن خدم الكعبة المشرفة أن يحد الكعبة ويكيله بقدمه طولا وعرضا فأذنوا له وكاله بالحبل طولا وعرضا . وجاء بالحبل المكيل فلما أراد بناء المسجد سنكري أخرج ذلك الحبل وكال تلك العرضة التي أراد بناءها فبنا الأوتاد على جهاتها الأربع وبنى عليها وهو على مقدار الكعبة ما زادت وما نقصت عليها شيء"[1].

وقد تم بناءه بالحجر والجبس وقد ظل هذا المسجد من الأثار الدينية في تنبكتو مثله مثل الجامع الكبير ، ومسجد سيدي يحيى التادلسي ، بل فاقت شهرته الاثنين وأصبح جامعة إسلامية يقصدها طلاب العلم ، من جميع جهات بلاد السودان وخارجها وقد ضاهى في مكانته العلمية الأزهر في قاهرة مصر ،وجامع القرويين بالمغرب الأقصى ، وقد أسندت الإمامة والتدريس فيه لعديد الفقهاء ممن كان لهم الباع الطويل في العلم والورع والتقوى، مثل أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد آقيت الذي تولى الامامة بإذن من القاضي حبيب ،ثم تولها بعده ابن خاله الإمام اندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي[2]، وبعد وفاته طلب من ابنه ان يتولى الإمامة فاعتذر بسبب مرضه فعين الإمام عبد الرحمن ابن الفقيه محمود وكان محافظ عليها إلى أن مرض ، وبعد ذلك عين محمد بن محمد كري الذي بقي حتى وفاته وكان أخر إمام في عهد دولة سنغاي[3] .

ـ **مسجد سيدي يحيى التادلسي** : يعتبر من أقدم المساجد في تنبكتو حيث شيد في عهد حكم الطوارق (ق 5 هـ/11م) ليكون جامعا للصلوات الخمس والجمعة [4] . وعند انقراض دولة الطوارق

---

[1]. محمود كعت ن المصدر السابق ص ص 121 122.

[2]ـ البرتلي ، المصدر السابق ص 107.

[3]ـ السعدي ، المصدر السابق ص 63.

[4]ـ المصدر نفسه ص 23.

هدم المسجد ولم يبقى منه إلا بعض الأجزاء ، ليقوم الشيخ محمد نصن وهو فقيه مغربي من قبيلة آجر الصنهاجية وأعاد بناءه ، وجعل الشيخ سيدي يحيى التادلسي إماما ومدرسا فيه إلى وفاته سنة 886هـ/1481م والذي نسب اليه نظرا لبقائه فيه فترة طويلة،ولما قدَمه من علم ومواعظ ودروس للطلاب في هذا المسجد.

ويعتبر هذا المسجد أصغر من سابقيه مسجد الجامع الكبير ومسجد سنكري [1] ، كما تعرض هذا المسجد لتجديد في عهد السلطان الأسكيا داوود، [2] على يد القاضي العاقب بن محمود آقيت سنة 976هـ/1568م .

يقع هذا المسجد في قلب تنبكتو ، وقد تولى الامامة والتدريس في هذا المسجد بعد سيدي يحيى عدة فقهاء، منهم الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري [3] المعروف ببغيغ والذي استمر في الإمامة والتدريس إلى أن توفي سنة 1002هـ/1593م، ثم تولى بعده ابنه الإمام محمود بن محمد بن محمود الونكري الذي توفي 1008هـ/1599م ، ثم الإمام أحمد بن سعيد الذي توفي 1040هـ/1630م .

ـ مسجد جامع جني :يعتبر أول مسجد بني في جني ، وهو مسجد جامع بناه السلطان كنبر عندما اشهر اسلامه في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، [4] وقد اقيم هذا المسجد على أنقاض

[1]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ص 322.

[2]ـ السعدي ، المصدر السابق ص51.

[3]ـ الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ص 288.

[4] ـ يروي السعدي قصة إسلام السلطان كنبر سلطان جني فيقول "ولما عزم على الدخول في الاسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة ، فحصل منهم أربعة آلاف ، ، ومائتا عالم ، فأسلم على أيديهم وأمرهم بأن يدعو الله تعالى بثلاث دعوات لمدينته تلك وهي : إن كل من هرب إليها من وطنه ضيقاً وعسراً أن يبدلها الله له سعة ويسراً حتى ينسى وطنه ذلك ، وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها ، وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة حتى في ذات أيديهم ، لكي يملوا منها فيبيعونها لأهلها بناقص ثمن فيربحون بها " وان كان هناك مبالغة في عدد العلماء الذي قال انهم اربعة آلاف ومائتان ، ربما هو عدد السكان أنذاك وهو دليل على اتساع المدينة ،وازدياد حركة التجارة بها . أنظر السعدي المصدر السابق ص30

قصره الذي هدمه، وتفيد الروايات التاريخية أن الذي صمم هذا المسجد هو رجل عربي يدعى ملوم ادريس وهو الذي علم أهل جني كيف يبنون منازلهم و يزخرفونها بأساليب عربية إسلامية[1] .

وقد ظل هذا قائما حتى مجيئ دولة سنغاي في عهد حاكمها الأسكيا محمد الكبير الذي أعاد بنائه على طراز المساجد الجامعة، ويتكون من قاعة للصلاة فسيحة تمتد على طوله وهي مغلقة ذات سقف مرفوع بواسطة أعمدة ويتاخم هذه القاعة صحن مكشوف تحف به أروقة من جوانبه الثلاث ، وللمسجد ثلاثة أبواب اهمها الباب الرئيسي من جهة الشرق وقد تعاقب على الإمامة والتدريس بهذا المسجد الكثير من الفقهاء منهم محمد بن ساقوالونكري [2] ، ثم من بعده ابنه الفقيه فودي بن محمد ساقوالونكري ، ثم الفقيه محمود بن أبي بكر الونكري ثم من بعده ابنه أحمد ، ثم الفقيه أحمد شرف بن القاضي عمر شرف .

ـ **مسجد غاو** :تعتبر مدينة غاو من المدن الأقل شهرة من تنبكتو وجني، لكن رغم هذا فقد شهدت بدورها تأسيس مسجدين كانا لهما أدوار مهمة في عملية التعليم ، خاصة في عهد دولة الأساكي التي اتخذت من غاو عاصمة لهم، وأول مسجد بني بها هو المسجد الذي بناه السلطان منسا موسى، وهذا بعد رجوعه من أداء فريضة الحج سنة 724هـ/1324م و صحبة المهندس الغرناطي اسحاق الساحلي وهو الذي كلف ببنا هذا المسجد. مثل المساجد الأخرى التي بناها في كل مدينة تدركه فيها صلاة الجمعة على حد قول السعدي " فابتنى مسجدا ومحرابا خارج كاغ وصلى فيها الجمعة"[3].

1ـ فاطمة محمود مبروك ، المرجع السابق ص114.

2ـ الونكري : نسبة لقبائل الونقارة ، وهي قبائل تعيش في منطقة غرب افريقيا وبلادهم تشتهر بأنها بلاد التبر . أنظر : السعدي ، المصدر السابق ص 33.

3ـ المصدر نفسه ص 27.

وهذا المسجد يشبه في تصميمه المسجد الكبير بتنبكتو، وقد أقيم على أعمدة من الحجارة تتوسطها أقواس نقشت عليها الآيات القرآنية [1] . وكان موقع هذا المسجد خارج مدينة غاو، ولعل اتساع العمراني للمدينة وتطورها نتيجة حركة التجارة واستقرار الجاليات المغربية في أحياء عرفت بها، وقع هذا المسجد في هذا الحي المعروف باسم مسجد البيضان ، وهذا ما وصفه ابن بطوطة أثناء زيارته لمدينة غاو[2] .

وفي عهد الأساكي فقد ازدهرت المدينة وأصبحت لها أهمية سياسية فضلا عن أهميتها الاقتصادية والعلمية فقام الأساكي ببناء المساجد فاشتهر منها المسجد الجامع الذي بناه الأسكيا محمد الكبير قرب دار السلطنة،[3] وقد شهد هذا المسجد بدوره تطورا خاصة في عهد الأسكيا داوود، الذي أنفق عليه أموالا كثيرة في عملية التجديد والتوسيع وإلى جانبه كانت مقبرة الأساكي التي يدفن فيها من مات منهم . وأول من تولى فيه التدريس والإمامة الفقيه محمد الفلالي [4] ذي الأصول المغاربية خلال القرن الثامن الهجري .

وكما كان للفقيه صالح محمد اندي الامامة بهذا المسجد إضافة إلى تعليم الناس علوم الشريعة . وكذلك الفقيه صالح جور هو الأخر تولى إمامة الجامع الكبير وكان مستشارا للأسكيا محمد الكبير، والفقيه محمد جغيت الذي عينه الأسكيا داوود [5] خطيبا للجامع الكبير توفي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي .والفقيه محمد هوكار تولى هو الأخر الإمامة والتدريس في هذا الجامع إلى وفاته.

1. ـ محمد الغربي ، المرجع السابق ص 630
2. ـ ابن بطوطة ، المصدر السابق 204/1
3. ـ زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ص44.
4. ـ ابن بطوطة ، المصدر السابق 1/ 205
5. ـ محمود كعت ، المصدر السابق ص 106.

المبحث الثاني

مراحل التعليم في السودان الغربي

1 ـ المرحلة الأولى

2 ـ المرحلة الثانية

3 ـ التعليم الحرفي

4 ـ الإجازات العلمية

1ـ المرحلة الأولى (التعليم الابتدائي) : وهي المرحلة الأولى لتعليم الطفل الكتابة والقراءة، وقد عرفت هذه المرحلة في جميع أنحاء العالم الإسلامي. وهي عادة ما تكون في الكتاتيب والتي كان يختلف في تسمياتها من مكان لأخر ففي المشرق الإسلامي يطلق عليها المكتب القرآني ، وفي بلاد المغرب الإسلامي يطلق عليها المسيد وهو تحريف لكلمة المسجد وفي بلاد السودان الشرقي والأوسط فيطلق عليها (الخلوة) ، أما بلاد السودان الغربي فقد اختلفت تسمياتها باختلاف القبائل . فقبائل الولوف تطلق عليها إسم (دارا) وسماها السعدي (محضرا) وقبائل الماندينغ تسميها (كارا) أما قبائل التكرور فتطلق عليها (ديالجانتي) [1]. وتعتبر هذه المرحلة ضرورية للتلميذ ولا يستطيع أن ينتقل من مرحلة إلى أخرى دون البدء بهذه المرحلة وهذا ما أكده ابن خلدون " إن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعد من الملكات، واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ من ذلك التعليم من ملكات"[2] .

وعادة تضم هذه المرحلة الطلاب الصغار بداية من سن الخامسة حتى مرحلة الصبا ، أي السابعة من عمره، وكانت مدة بقاء الطالب بهذه المرحلة من خمسة سنوات إلى سبعة سنوات، يتعلم فيها القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب إضافة إلى المامه بالعلوم اللغة العربية .

أما طريقة التعليم فكانت في الألواح الخشبية التي يكتب فيها للطالب الحروف الهجائية ويبدأ بحفظها وتعلمها من طرف المعلم الذي يستعمل أدوات الكتابة كالقلم الخشبي والمدواة المملوءة بالصمغ ، فيجلس الطلاب أمامه في شكل حلقة دائرية ويكتب لهم ثم يقول وهم يرددون من ورائه

---

[1]ـ الهادي الدالي ، وعمار هلال ، الإسلام في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب افريقيا ، (1850 ـ 1914) دار حنين للطباعة والنشر بيروت لبنان ، 1996، (ب ط) ص 71.

[2]ـ ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق 506.

وهكذا حتى ينتقل الطالب إلى مرحلة الكتابة والقراءة بنفسه دون معلم . حينها يصبح دور المعلم التوجيه وتصحيح الأخطاء التي يقع فيه الطلاب، إضافة إلى تحفيظ بعض المتون الفقهية واللغوية، يصف حسن الوزان طريقة التعليم الألى في بلاد السودان الغربي بقوله "ويعلمهم المعلم القراءة والكتابة وليس في كتاب معين بل الاستعانة بألواح خشبية كبيرة يكتب عليها التلاميذ ويقتصر درس كل يوم على آية من القرآن ويختم القرآن في سنتين أو ثلاث سنوات ثم يستأنف ذلك عدة مرات إلى أن يجيد الطفل تعلمه بصورة متقنة جدا ويحفظه عن ظهر قلب أو يدرك بعد انقضاء مدة سبع سنين ومن ثم يعلم المعلم الأولاد قليلا من الخط"[1].

وهو ما نقله البريكي كنموذج للكيفية التي يعلم بها أهل السودان الغربي أطفالهم من خلال إعطاء صورة للطريقة التي تعلم بها عبد الله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج المصطفى الغلاوي الشنقيطي بقوله" كان رحمه الله تعالى نجيبا مشى به والده رحمه الله تعالى إلى شيخ الحقيقة والطريقة محمد أحمد بن عبد الرحمن الغلاوي المساوي، يبدأ له في لوحه ولم يكن يكتب التهجي فكتب له في لوحه الفاتحة حتى كتب أمين ، فقالت له أمه رحمها الله تعالى أمح حتى يعرف الحروف والتهجي فقال والده والله لا أمحو ما كتب شيخي فقال منه بركة والحمد لله حتى بلغ سورة الفتح"[2] .

ويؤكد هذا النص على مدى اهتمام الأولياء على تعليم أبنائهم في سن مبكرة ن كما كان للأمهات كذلك دور في تعليم ابناءهم ،أما الأمين الشنقيطي فهو كذلك يعطي فكرة عن مرحلة التعليم الأولي في السودان الغربي فيقول " إذا بلغ الصبي خمس سنين يمتحنونه بأن يعلموه من الواحد إلى العشرة فإن تابعها من غير تقديم ولا تأخير يبدؤون في تعليمه وأكثر من يتولى ذلك النساء ثم معرفة الحروف الأبجدية "[3].

---

[1]ـ حسن الوزان ، المصدر السابق ص 539.

[2]ـ الشيخي حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ص 305.

[3]ـ أحمد الأمين شنقيط ، المرجع السابق ص 517.

وباهتمام أهل السودان الغربي وحرصهم على تعليم أولادهم القراءة والكتابة وتحفيظهم كتاب الله ، انتشرت هذه الكتاتيب التي كانت تضم أعداد من التلاميذ، وأصبحت كل واحدة منها بمثابة مدرسة ابتدائية مستقلة بذاتها، وتنتهي هذه المرحلة بعد حفظ بعض المبادئ الفقهية وبختم القرآن كله أو أجزاء منه [1] ، بهذا تكون مناسبة لتكريم الصبي ، وكذا حفظه للقرآن كاملا حيث تقام له وليمة كبيرة، ويأخذ التلميذ اللوح ويطوف به على بيوت معلميه [2] وأقاربه ، ويصحبه في طوافه هذا زمرة من زملاء الدراسة، ويسمع في كل مزار الجزء المكتوب على اللوحة، كأنه يقنع سامعيه أنه قد أكمل حفظ القرآن وبعد ذلك يعطى الهدايا والدراهم ، ويذبح أبوه الغنم والبقر في بيت الشيخ [3]. كما يقوم والد الطفل الحافظ للقرآن بتقديم هدية ثمينة للمعلم ، كذلك من أساليب التعليم في هذه البلاد وفي هذه السن إعطاء عطلة أسبوعية للأطفال ، تكون عادة الخميس والجمعة وهو ما عبر عنه الوزان " ولهؤلاء الأطفال شأن طلاب المعاهد يومان في الأسبوع للراحة لا يكون فيه تعليم ولا دراسة"[4].

2. ـ المرحلة الثانية (التعليم العالي) : بعد أن ينتهي الطالب من مرحلة التعليم في الكتاب، يدخل مرحلة التعليم في حلقات المساجد ومن بعدها المدارس، والتي لم يكن يراعي فيه سن معينة، كما لا توجد فروق واضحة بين الطلبة في هاته المرحلة لأن التعليم يكون حرا في مسألة الانخراط فيه، عكس المرحلة الأولى التي يكون الآباء يجبرون أبناءهم على التعلم [5] . و تعتبر الدراسة في هذه المرحلة أشد صعوبة وأكثر عمقا من المرحلة السابقة. ففي هذه المرحلة ينتقل الطالب من دراسة المجمل إلى المفصل ومن الاختصاصات إلى الشروح والتعليقات الدقيقة [6] . وكان القضاة أنفسهم يشرفون على

---

[1]ـ زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ص 221،

[2]ـ محمود كعت ، المصدر السابق ص 181.

[3]ـ منى عادل حسين ، الحياة الاجتماعية والثقافية في امارات الهوسا ، رسالة ماجستير ، لمعهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، 2009، ص ص 112 113.

[4]ـ حسن الوزان ، المصدر السابق 264/2.

[5]ـ ابن بطوطة ، المصدر السابق ص 422/2.

[6]ـ مطير سعد غيث ، المرجع السابق ص 222.

هذا النوع من التعليم ، أما فيما يخص المنهج الدراسي المتبع في هذه المرحلة يشمل في تناول الكتب الأكثر وضوحا والتي لا تحتوي كثيرا من التفصيلات بحيث تكون مناسبة لمثل هذا المستوى من التعليم، وكانت مواد الدراسة تشمل الفقه والنحو والفرائض والبلاغة، تدرس في شكل مواد تخصصية وتفصيل واسع إضافة إلى الاستعانة بالكتب نفسها التي كانت تدرس في مؤسسات التعليم العالي بالمغرب الإسلامي ، الأمر الذي يعكس مدى تأثير المؤلفات المغربية في الحياة الفكرية والتعليمية ببلاد السودان الغربي ، ومن الكتب كتب القاضي عياض أو سحنون وشروح ابن القاسم، وكتب المغيلي،والونشرسي، وموطأ الإمام مالك، وتحفة الحكام شرحا وتعليقا سواء عن طريق المشافهة أو عن طريق الكتابة [1] . بالإضافة الى تدريسهم الحديث النبوي من خلال كتب الصحيحان والشفا والقرطبية.

وقد احتلت جامعة سنكري في تنبكتو الريادة في هذا التعليم حيث يقصدها الطلاب من جميع أنحاء بلاد السودان وخارجها ، كما كان لا يجلس فيها إلا العلماء الكبار المتخصصين في جزئيات العلوم الفقهية واللغوية ، وقد امتازت بالحرية التامة في نظام التدريس، [2] حيث أن مدة هذه المرحلة غير محدودة وغير واضحة وانما راجعة الى الشيخ المعلم ، ومدى استيعاب الطالب لعدد من الكتب المقررة عليهم ، والتي تكون دراستها على شكل وقفات يقوم الطالب بقراءة الكتاب [3] والشيخ يشرح ما قرأه الطالب، وقد يدوم بقاء الطالب في كتاب واحد مثل موطأ مالك، وكتب السير والحديث و النحو مدة ثلاث سنوات أو أكثر، ويتم التنافس بين الطلبة من أجل التحصيل والاستيعاب أكثر.

---

[1]ـ الأحمر أسماء أحمد ، المرجع السابق ص 147.

[2]ـ مطير سعد غيث ، المرجع السابق ص 223.

[3]ـ يطلق على ذلك الطالب الذي يقرأ للمدرس من الكتاب فقرة بفقرة ويقوم الشيخ بشرحها " المسرد "فقد أورد السعدي أن أبا عبد الله أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي الذي كان يسرد كتاب الشفا للقاضي عياض بعد وفاة والده الذي كان يمارس المهمة نفسها بجامع سنكري بتنبكتو . أنظر : السعدي ، المصدر السابق ص 33

أما أسلوب الشيوخ والأساتذة في هذه المرحلة فيغلب في تعاملهم مع طلبتهم التواضع واللين والتبسيط في المسائل مع كثرة الشروحات، إضافة إلى صبرهم على المناقشات المختلفة مع طلابهم حتى يتمكن هؤلاء من بلوغ أهدافهم،وكانت الطريقة الشائعة في التدريس أن يملي الأستاذ رأيه في المسائل على طلبته، وبعد ذلك يقرأ الطلبة في الكتاب المقرر بحضور الأستاذ ثم يطلب من كل واحد منهم توضيحا على كل شيء شكل عليهم واثناء ذلك يكتب الطلبة التفسيرات التي يعطيها الأستاذ جوابا على استفساراتهم[1].

ولم يقتصر التعليم في هذه المرحلة على جامع سنكري وحده و لو أنه اعتبر أكثر شهرة، حيث تم التدريس في العديد من المراكز الحضارية مثل جني، وكانو وكاتينا إضافة إلى المسجد الجامع ومسجد سيدي يحي بتنبكتو والجامع الكبير[2] .

3 ـ التعليم الحرفي : ويعتبر هذا النوع من التعليم قليل مقارنة بسابقيه ، ويقتصر على الحرف اليدوية كالخياطة والحدادة والحياكة وبعض المهن كصناعة السيوف والحراب[3] . وقد وصف الوزان هذا النوع من التعليم عندما زار تنبكتو في القرن العاشر الهجري حيث قال " ودكاكين للصناع والتجار ولا سيما دكاكين نساجي أقمشة القطن"[4] . كما ذكر محمود كعت أنه يوجد في تنبكتو وحدها ستة وعشرون بيتا بها ما بين خمسين وسبعين الى مائة تلميذ وأشار إلى وجود مدارس الصناعات التقليدية حيث قال " وأخبرني محمد بن المولود أنه رأى منها ستة وعشرون بيتا من بيوت الخياطين المسماة

---

[1]ـ زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ص 227.

[2]ـ الشيخي حسن ابراهيم علي ، المرجع السابق ص 309.

[3]ـ الأحمر أسماء أحمد ، المرجع السابق ص 149.

[4]ـ حسن وزان ، 2/ 166

بتندا ولكل واحدة من تلك البيوت شيخ معلم وعنده من المتعلمين نحو خمسين وعند بعضهم سبعين إلى مائة"[1].

وكان التدريس والعمل يتم في بيوت ومقر عمل شيوخ المهن، وعادة ما كانت هذه المهن الحرفية تتوارث حيث تنتقل من الأب إلى الابن حتى احتكرت بعض الأسر مهنا معينة، وأحيانا يجتمع أصحاب المهنة الواحدة في مكان واحد، ويكون لهم شيخ يشرف على شؤونهم ويدافع عن حقوقهم[2].

الإجازات العلمية :

الإجازة[3] هيإذن أو رخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها ، يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيه عنه، وتكون الإجازة لهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه [4] .وهي اقرار الأستاذ بأهلية الطالب بعد تحصيله التام لفن من الفنون ويتم النطق بذلك الاقرار ويحرر على ورقة تعطى للطالب المتخرج ، وتنقسم الإجازات العلمية الى نوعين ، إجازة شفهية واجازة كتابية وهي ثلاثة أضرب[5] .

---

[1]ـ محمود كعت ، المصدر السابق ص 180.

[2]ـ مطير سعد غيث ، المرجع السابق ص 226.

[3]ـ الاجازة كما عرفها الزبيدي صاحب كتاب تج العروس : في اللغة بأنها من المجاز (استجاز) رجل رجلا ، وفي الاصطلاح : هي طلب الاجازة أي الاذن في مروياته ومسموعاته واجازه فهو مجاز والمجازات المرويات والاجازة أحد أقسام المأخذ والتحمل وارفع أنواعها اجازة معين لمعين ، كأن يقول : أجزت فلان الفلاني ، وان رأى فلان أن يجيز لفلان جميع مسموعاته من مشايخه واجازته عن مشايخه واجابه الى ذلك ، جاز للمستجيرين ، وان بعض العلماء لم يكن يجيز أحدا الا اذا استخبرهواستمهره . انظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة جوز 16/ 87.

[4]ـ الفانوس عمار صليح سليم ، المرجع السابق ، ص 225.

[5]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ص 622.

شهادة السماع : وتعني أن الطالب تتبع أقوال العا لم وحفظها وهذه الشهادة لا تؤهل صاحبها للعمل في مجال التدريس كون الطالب قلد الشيخ وحفظ عنه لكنه لم يوسع علومه حتى يمكنه التعاطي مع هذا التخصص بشكل واسع .

شهادة العرض : وهي أن يقوم الطالب بسرد بعض النصوص[1] على أستاذه وتحليلها .

الإجازة الكاملة وهي المرحلة التي يصل فيها الطالب إلى ذكر الأسانيد وإرجاعها لمصدرها الأول وذكر الفوارق في الروايات بعد الالمام بعلم معين من العلوم ولكن هذه الإجازة لا تعطى إلا في أحوال نادرة وذلك عندما يتيقن الأستاذ بأن طالبه وصل مرحلة القدرة على التعليق والمناقشة والاجتهاد،[2] وعادة يكلف الأستاذ الطالب بإلقاء درسا أمام أساتذة لتحصل لديه القناعة بحكم إجازته التي سيمنحها للطالب.

وتتضمن الإجازة المكتوبة اقرار من المدرس بأن الطالب حضر عليه مواد متعددة ولكنه برع في مادة خاصة ، ولذلك فهو يجيزه في كل ما يجوز له ، وإن كانت للمدرس كتب من تأليفه فلا يجوز له إجازة الطالب في كتب من تأليف أستاذ أخر، وكانت هذه الاجازات تعطى عادة في حفل كبير وأحيانا تسلم لهم عمائم دليلا على أنهم أصبحوا من العلماء وهذه الشهادة المتحصل عليها، تؤهل صاحبها أن يعمل بإلقاء الخطب أو الإمامة أو كمساعد للقاضي أو نسخ الكتب أو تعليم القراءة .

ومن أمثلة الإجازات التي منحت في مدارس بلاد السودان الغربي تلك التي منحت للفقيه أحمد بابا التنبكتي من طرف شيخه وأستاذه محمد بغيغ الونكري، وقد تحدث عنها بقوله " لا زمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير

---

[1]ـ الشيخي علي إبراهيم حسن، المرجع السابق ص 325

[2]ـ أحمد فتوح عابدين ، الحواضر الاسلامية في غرب افريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر (تاريخ السياسي والحضاري والاقتصادي) أطروحة دكتوراه ، معهد البحوث الدراسات الافريقية ن جامعة القاهرة ، 1989، ص 264.

ختمتها عليه .... وحضرت عليه الموطأ قراءة تفهم وحضرته كثيرا في المنتقى والمدونة بشرح المحلى ثلاث مرات وألفية العراقي في علم الحديث مع شرحها وحضرتهما عليه مرة أخرى .... بالجملة فهو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه رحمه الله ونفعه، وأجازني جميع ما يجوز له وكتب لي بخطه في ذلك.."[1].

كما تحدث السعدي عن الإجازة التي منحت للعالم محمد بابا بن محمد الأمين التنبكتي (ت 1014هـ/1605م) التي كانت في كتاب الشفا للقاضي عياض من طرف الفقيه عبد الله بن أحمد قال " كان مشاركا في الفنون له فيها مجادلة جيدة، برع في العلم و درس وألف وحضر مجالس الفقيه محمد الونكري فقها ونحوا وكلاما ، وكاتبه بالأسئلة وقارنه مع والده الفقيه بالإجازة ولازم الشيخ سيدي أحمد في النحو الى أن أتقنه وقرأ على الفقيه مختصر خليل .... وسمع المدونة والموطأ من الفقيه عبد الرحمن وأجازه عبد الله بن الفقيه بالشفا للقاضي عياض وصحيح البخاري ..." [2]. كما أشار السعدي إلى بعض الطلبة الذين منحوا إجازات بعد أن بلغوا درجة جيدة من التحصيل العلمي جعلت أساتذتهم ينقلون عنهم بعض التعليقات على المسائل واجتهاداتهم فيها، ويدرسونها لطلاب أخرين بحضورهم[3].

وكان السعدي نفسه و عبد الرحمن التواتي (ت ق 11هـ/17م) من بين هؤلاء فقال "وافقته على بعض تواليفي فسر بها وقرظ عليه لي بخطه بل كتب عني أشياء من أبحاثي وسمعته ينقل بعضها في دروسه لإنصافه وتواضعه وقبوله الحق ..."[4]. يستفاد من هذا النص الذي أورده السعدي عن المكانة التي وصل إليها الطالب المجاز ومدى اعتراف الأستاذ بتلميذه ، حيث اعترف محمد بن محمود

1ـ أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ص 602.

2ـ السعدي ، المصدر السابق ص 46.

3ـ الشيخي علي ابراهيم حسن ، المرجع السابق ص 315.

4ـ السعدي ، المصدر السابق ص 46

الونكري بغيغ، بقدرة تلميذه عبد الرحمن السعدي الذي راح يستشهد من أبحاثه و تواليفه في إلقاء دروسه وهو اعتراف من أستاذ لتلميذه .

وقد اهتم علماء السودان الغربي بتلقي الإجازات العلمية من بعض علماء العالم الإسلامي ممن التقوا بهم في مواسم الحج أو عن طريق المراسلة، ومن الإجازات التي منحها علماء المشرق الإسلامي، نجد العاقب بن محمود أقيت الذي تحصل على الإجازة من الشيخ الناصر اللقاني من مصر ، وكذلك الفقيه أحمد بن أحمد أقيت الذي التقى بعلماء مصر والحجاز أثناء رحلته الحجية فأجازوه وأجازهم أمثال الناصر اللقاني والشريف الأرميوني و الأجهوري و التاجوري، أما في الحجاز فلقي الفكهاني وعبد العزيز اللمطيوالميموني، فأجاز بعضهم[1].

أما الإجازات التي كانت تمنح عن طريق المراسلة نجد إجازة أحمد بابا التنبكتي التي أجازه بها من مكة الإمام يحيى بن محمد الحطاب وهو من أهل طرابلس، وقد أشار أحمد بابا إلى تلك الإجازة في معرض حديثه عن إجازته التي منحها للفقيه أحمد المقري صاحب (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، والذي قام بدوره بنقلها إلى مؤلفه روض الآس[2].

كما كان لعلماء بلاد السودان الغربي إجازات لعلماء من أقطار أخرى خاصة بلاد المغرب منها الإجازة بالمراسلة والتي منحها أحمد بابا التنبكتي لتلميذه الفقيه عبد الرحمن الجزولي التمنرتي المغربي، (صاحب كتاب الفوائد الجمة في إسناد الأمة) [3]. أما الإجازات التي منحها أحمد بابا بحضور الأستاذ والتلميذ فتمثلت في تلك الإجازات التي منحها أحمد بابا التنبكتي أثناء ترحيله إلى مراكش على إثر الغزو المراكشي لتنبكتو، ومنها الإجازة التي منحها للخطيب ابن زيدان الوقاد التلمساني في كتاب الشفا للقاضي عياض، والإجازة السالفة الذكر التي منحها للمقري التلمساني .

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي. المصدر السابق ص 181. مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ص 623.

[2]- مطير سعد غيث ن المرجع السابق ، ص 231.

[3]- حجي محمد ، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، الدار المغربي للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1967، 2/ 108.

كما نجد الإجازة التي منحت للفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوبي من طرف مفتي مكة المكرمة الإمام محمد فضل الدين بن أحمد النهروالي، وهي في أسانيد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الترغيب والترهيب للمنذري ، والشمائل المحمدية للترميذي والشفا للقاضي عياض.

أما من علماء فاس فنجد الإجازة التي منحها العالم عبد القادر بن يوسف الفاسي لأبي بكر بن محمد بن محمد التنبكتي وهي في الصحيحين[1] .

[1]ـ الشيخي علي إبراهيم حسن ، المرجع السابق ص 316.

المبحث الثالث

الحواضر العلمية

1 ـ حاضرة تنبكت

2 ـ حاضرة غاو

3 ـ حاضرة جني

الحواضر العلمية

ان توسع الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي نتج عنه ظهور حواضر علمية كانت منارات تضيء درب السالكين والمتعطشين للعلم والمعرفة ، وهروبا من ظلمة الجهل ومن بين هذه المحطات العلمية التي كان له دور بارز في هذا الميدان نذكر منها تنبكت و جني و قاو

1 ـ حاضرة تنبكت [1]:وهي من المراكز الحضارية الكبرى في بلاد السودان الغربي تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري أي سنة 490 هـ / 1096م على يد الطوارق[2] وذلك بعد اضمحلال مملكة غانة، ويعود سبب تسميتها كما يقول السعدي إلى امرأة عجوز تسمى بكتو . والتي كانت تقيم في هذا المكان قبل انشاء المدينة وكان الرحل من بدو الطوارق ينزلون بها في فصل الصيف ويرتحلون بعد ذلك في فصل الخريف، لأنهم كانوا يمتهنون رعي الاغنام في هذه الأماكن، وبعد رحيلهم يستأمنون متاعهم عند هذه العجوز "بكتو" [3] فأصبح الرجل الطارقي يسأل أين خبأ متاعه فيقول عند "تين " ومعناه المكان في لغة الطوارق وبكتو اسم العجوز أي مكان العجوز . ومع مرور الزمن أدغمت الكلمتين فأصبحت الكلمة تنبكت .

وتقع تنبكت في مكان استراتيجي مهم في ملتقى الطرق التي تمر بها القوافل التجارية عبر الصحراء، كما تحظى بموقعها النهري قرب نهر النيجر. وقد حدد حسن الوزان هذا الموقع " ... على

---

[1] اتفقت معظم المصادر التاريخية المحلية على كتابة اسمها "بتنبكت "مثل محمود كعت صاحب الفتاش ، وأحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج ، وكفاية المحتاج ، وعبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان ، والبرتلي في فتح الشكور . بيمنا رسمها الحسن الوزان صاحب وصف افريقيا ، وابن بطوطة في تحفة النظار (الرحلة) "بتنبكتو " . أما بعض المستشرقين امثال :توماس أرلوند في كتابه الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا ، وغيره فقد كتبوها "بتمبكتو" (timbuktu) أو (tombouctou) ومن خلال استعراض هذه النماذج لتسميات هذه المدينة أجد نفسي يتفق مع ما ذهب إليه الباحثان مطير سعد غيث (الثقافة الاسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي) والشيخي حسن علي إبراهيم (تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي)من كون الرسم الصحيح لاسم هذه المدينة هو "تنبكت" استناداً الى الحجة التي اعتمدها الباحثان السابقان كون كعت وأحمد بابا والسعدي والبرتلي هم من أبناء المنطقة لذلك فهم أدرى بالنطق الصحيح لاسم هذه المدينة . وهي تنبكت .أنظر مطير سعد غيث ،المرجع السابق ، ص ص 185 186.

[2] السعدي ، المصدر السابق ، ص 21.

[3] زبادية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493 ـ1591م الشركة الوطنية للتوزيع والنشر الجزائر (ب ط) (ب ت) ص 100.

بعد نحو اثنتي عشر ميلا من أحد فروع النيجر" [1] . وبذلك تكون المدينة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية والنهرية التي تفد إلى بلاد السودان من بلاد المغرب ومصر عبر الطريق الصحراوي ومن أوربا عن طريق المحيط ثم النهر وكان لموقعها الاستراتيجي أهمية في نموها وازدهارها تجاريا وبعد عمرانيا وثقافيا وقد ذكر هذا السعدي في قوله " يأتيها الناس من كل جهة ومكان حتى صارت سوقا عامرة للتجارة يرد إليها الرفاق من الأفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين من أهل مصر وجبل فزان وغدامس ودرعة وفاس والسوس"[2].

لقد خضعت تنبكتو عبر تاريخها بالتبعية للعديد من الملوك والحكام وأولهم الطوارق، وكانوا يعينون عليها زعيما ليس منهم حيث أنهم لا يسكنون إلا البراري لأنهم من البادية، ثم ضمها منسا موسى (ت 737 هـ/1336م) سلطان مالي إلى مملكته في النصف الأول من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وهو أول من أدخل اليها نظام السلطنة وأنشأ فيها مراكز الحكم، وبعد اضمحلال مملكة مالي عادت إلى حكم الطوارق من جديد وبقيت بأيديهم مدة أربعين سنة ثم انتزعها منهم سني علي (ت 898هـ /1492م) وبعد ذلك عاد حكم تنبكت إلى الأساكي والتي ظلت تحت حكمهم لأكثر من مئة سنة من 898هـ/1492م إلى 1000هـ/1591م. وبعد ذلك سقطت في أيدي السعديين المغاربة[3] .

ويعود ازدهار تنبكت الثقافي إلى هجرة الكثير من العلماء إليها وخصوصا بعد خراب مدينة ولاتة[4] من طرف قبائل الصوصو ، وهذا بتشجيع من الأسكيا محمد وابنه الأسكيا داوود لهذه الهجرات ، وخصوصا بتكريم العلماء والصلحاء القادمين إلى تنبكت وبالتالي عرفت نهضة ثقافية

---

[1] الحسن الوزان ، المصدر السابق ص 165.

[2] السعدي ، المصدر السابق ص 21

[3] المصدر نفسه ص 140.

[4] هي إحدى مدن بلاد السودان الغربي تقع في الشمال الغربي من تنبكتو ، ورغم أن تنبكتو نالت أهمية عليها ، لكن رجال ولاتة كان لهم دور هام في ازدهار تنبكتو وذلك راجع لكون جل الأسر العلمية في تنبكتو كانوا من ولاتة .أنظر مطير سعد غيث ، المرجع السابق ص189.

فضلا عن النهضة التجارية مما جعلها تحمل طابعا مميزا وذلك بتنوع الثقافي الذي عرفته، وقد سجل هذا الازدهار الرحالة الحسن الوزان بقوله " وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع الملك اليهم جميعا مرتبا حسنا، ويعظم الأدباء كثيرا وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع" [1]. وبهذا الاهتمام الذي وجده هؤلاء العلماء وطلاب العلم من جانب الدولة التي وفرت لهم المكتبات الزاخرة بالكتب النادرة وبتشجيع المنقطع النظير للعلماء بلغت الحياة الثقافية والفكرية أوجها في مملكة سنغاي وأصبحت تنبكتو قبلة الأساتذة الزائرين من شتى أنحاء العالم الإسلامي كفاس والقيروان وطرابلس ومصر للتدريس في مدارسها [2] حتى بلغ عدد المدارس في تنبكتو في نهاية القرن العاشر الهجري إلى مئة وخمسين مدرسة . وبهذا أصبحت تنبكتو من الناحية العلمية والثقافية تضاهي الكثير من المراكز العلمية العالمية في العالم الإسلامي كالقيروان وفاس ومصر وقرطبة في الأندلس، وهذا ما مكنها من أداء دورها في نشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد السودان الغربي وعمومي إفريقيا خصوصا [3].

2 ـ حاضرة غاو [4] : هي من المدن الكبرى في بلاد السودان الغربي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث يتصل به وادي تلمسي الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء [5] ،تقع حالياً من الشمال الشرقي من العاصمة باماكو (عاصمة مالي حاليا) ، وتبعد عن تنبكتو بحوالي أربعة مئة ميل إلى الجنوب الشرقي [6]. وقد عرفت في المصادر العربية بعدة أسماء هي كوكو، [7] كاغ [8]،كاغو [1]، كما اختلفت

---

[1] الحسن الوزان ، المصدر السابق 167/2.

[2] محمود كعت ، المصدر السابق ص 180.

[3] الأحمر أسماء أحمد ، المرجع السابق ص 126.

[4] غاو: تعرف بفتح الغين وضم الواو وتعني في لغة السونغاي القرية أو المدينة أو عرفت بالمكان الذي يسكن فيه الناس ويضعون فيه أغنامهم ، واذا مزج التعرفين يعني ذلك بأنها قرية أمدينة يسكنها ناس لهم حرفة رعي الغنم

[5] اسماعيل العربي ، المرجع السابق ص 317

[6] الهادي المبروك الدالي ،المرجع السابق ص 309.

[7] ذكرها كل من ابن بطوطة والادريسي والمقريزي

[8] ذكرها السعدي و محمود كعت

اختلفت المصادر في سنة نشأتها فهناك من يرجعها إلى القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي على يد جماعة من بربر شمال افريقيا واستوطنوها . وهناك من يرجعها إلى قبائل السونغاي التي كانت تسكن على ضفاف نهر النيجر في جزئه الشرقي الممتد من الجنوب وحتى مناطق قريبة من مصبه تقريبا في إقليم دندي[2]، وهذا الرأي الراجح لكون هذه القبائل تتألف من بطنيين كبيرين هما قبيلة جيي والسروكو[3]، فكانت الأولى تعمل في الزراعة وفلاحة الأرض والثانية تعمل في الصيد مما أجبرها على التنقل من مكان لأخر على طول نهر النيجر لتتخذ من غاو موقعا لها كميناء ترسوا فيه سفن وقوارب الصيادين من السروكو[4] .

وظلت في التوسع والازدهار منذ أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ،وذلك لنشاط حركة التجارة ووقوعها في نهاية الخط الرابط بين بلاد السودان الغربي ومدن الصحراء، وبهذا تعزز موقعها أكثر فأكثر فأصبحت مقصد للتجار من بلدان المغرب الاسلامي .فكثرت بها الأسواق وافتتحت بها المحلات التجارية، وغدت أسواقاً كبيرة لتجارة الذهب والعبيد ومنطقة تجمع البضائع المحلية ، وبنيت بها المساجد وقصور الحكام والتجار وكثرت المباني العامة، فأصبحت قبلة الكثير من العلماء من مصر وبلاد المغرب ومدن الصحراء وهو ما يدل على وصول الاسلام اليها مبكرا والذي يثبت ذلك ما أورده البكري في وصفها " .....أهلها مسلمون وحواليها مشركون وأكثر ما يتجهز إليها بالملح والودع والنحاس .... وحواليها من معادن التبر الكثير وهي أكثر بلاد السودان ذهباً ..."[5].

---

[1] الحسن الوزان ، المصدر السابق 169/2.

[2] دندي : هو إقليم يقع جنوب العاصمة غاو وقاعدته هي إقليم كوكيا . أنظر زمان عنيد وناس ، المرجع السابق ص 35.

[3] المرجع نفسه ص 33.

[4] السعدي ، المصدر السابق ص05.

[5] البكري ، المصدر السابق ص 177.

ويتضح من هذا الكلام أن مدينة غاو كانت من أقدم مدن بلاد السودان الغربي وبهذا تكون أقدم من تنبكتو التي تأسست في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي .

وازداد اتساع ونشاط غاو بفعل الحركة التجارية بحيث استوطنتها مجموعات افريقية وعربية وبربرية من مدن الصحراء [1]، مما دفع ملوك دولة مالي من محاولاتهم ضمها إلى سلطانهم فكان لهم ذلك سنة 632هـ / 1255م وبقيت تحت نفوذهم إلى جاء السلطان منسا موسى (712هـ ـ 738هـ / 1312 ـ 1337م) ، أين عرفت غاو تطوراً أخر شمل الجانب المعماري والفني وخصوصا بعد عودته من رحلته الحجية المشهورة 725هـ /1325م،والذي اصطحب معه الكثير من العلماء وعلى رأسهم أبو اسحاق الساحلي [2] .فقام ببناء المسجد الجامع وقصر السلطان وبهذا تم ذلك المزج بين الصبغة الأندلسية المغربية والصبغة السودانية ،وأصبح في غاو نمط معماري فريد من نوعه . هذا التماوج الذي أعجب به ابن بطوطة أثناء زيارته لمدينة غاو سنة 754هـ / 1353م فقال عنها " انها من أحسن مدن السودان وأكبرها ..." [3] . كما ازدادت في العمران والنشاط الاقتصادي في حكم سني علي بعدما اتخذها عاصمة لمملكته، ولكنها بلغت أوج ازدهارها السياسي والاقتصادي والثقافي أثناء حكم أسرة الأساكي طيلة القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. كما بلغ عدد سكان غاو زمن الأسكيين خمسة وسبعون ألف ساكن وهو عدد مبالغ فيه بالمقارنة مع تنبكتو وجني اللتان كانتا ذات شهرة علمية وثقافية أكثر من غاو الا انها كانت مقر السلطة الحاكمة [4]. ولكن سرعان ما آلت إلى الاندثار مثل باقي مدن السودان الغربي بعد الغزو المغربي لها، وسقوط دولة سنغاي سنة 999هـ/1591م.وتحولت بعد ذلك إلى خراب وخير ما يصف لنا الحالة التي آلت إليها هذه المدينة هو الرحالة الألماني هنري بارث بالقول عندما زارها سنة 1270هـ| /1854م بأنها مدينة صغيرة

---

[1] ابن بطوطة ، المصدر السابق ص 204.

[2] زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ص 37.

[3] ابن بطوطة ، المصدر السابق ص 405.

[4] زمان عبيد وناس ، المرجع السابق ص 139.

يسودها البؤس وتتكون من ثلاث مئة إلى أربع مئة كوخ من القش ولم يبقى إلا أثر واحد وبقي أنقاضا إنه قبر الملك الكبير أسكيا محمد الكبير[1] .

3 ـ حاضرة جني[2] : وهي احدى المدن الكبرى في بلاد السودان الغربي تقع إلى الجنوب الغربي من تنبكتو عند منحى نهر النيجر الأعلى، وقد اختلف في تاريخ بنائها فمنهم من يرجعه الى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ومنهم من يشير الى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي . غير أن السعدي يؤكد على أن تأسيس هذه المدينة يرجع إلى القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي ولم تكن مدينة إسلامية مثل تنبكتو [3]. أما القبائل التي بنتها فالبعض يرجعه إلى قبيلة الونكار أحد فروع السونيك[4] والذين جاءوا من الجنوب، ويذهب فريق أخر إلى أن بناؤوها كان من طرف برابرة صنهاجة الذين أرادوها أن تكون مركزا تجاريا يلتقي فيه تجار الملح بتجار الذهب[5] .

وتعتبر جني ثالث مدينة من حيث الأهمية التجارية والحضارية بعد كل من تنبكتو وغاو، وقد دخلها الإسلام في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي زمن دولة المرابطين، ثم ازداد انتشارا في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي بعد إسلام ملكها كنبر [6]. الذي جمع العلماء وأسلم على أيديهم وطلب من رعيته الذين لم يسلموا بعد أن يدخلوا في الإسلام وهدم قصره وبنى في مكانه مسجدا جامعا يذكر السعدي في ذلك "أن هذا الملك عند إسلامه ، أسلم أهله معه وطلب من العلماء أن يدعوا الله لجني بثلاثة دعوات أولها : هي أن كل من هرب إليها من وطنه ضيقا وعسرا

---

[1] هنري بارث ، ،رحالات عبر المناطق الساحلية في البحر المتوسط ، 1849 ، ص45

[2] اختلف في أصل اسم جني فذهب البعض الى أنه مشتق من اسم أحد ملوكها وكان يدعى جنور ، ورأى البعض الأخر أنه مأخوذ من كلمة الجنة نظراً لوفرة الخيرات بها . ينظر حاد الله أمين فاضل شريف ، أحمد بابا التنبكتي ،المرجع السابق ص 46.

[3] السعدي ، المصدر السابق ص 12 .

[4] الأحمر أسماء أحمد ، المرجع السابق ص133.

[5] الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ص289.

[6] مولاي محمد ، الحواضر العلمية ببلاد السودان الغربي ما بين 10 /12هـ ،16 /18م مجلة عصور ،مصادر وتراجم ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة ، العدد 36، 2017، ص 203.

أن يبدلها الله له سعة ويسرا حتى ينسى وطنه ذلك. وثانيها :أن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها. وثالثها :أن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة لكي يملوا فيبيعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحون بها"[1] .

ولقد زار ابن بطوطة جني أيام حكم سلاطين مالي فرأى حماسة أهلها في أداء العبادات ودراسة القرآن ووصفه ليوم الجمعة ومكانتها عند أهلها، بأنه يوم عظيم في العبادة إذ لم يسرع الرجل إلى المسجد فإنه لن يجد مكان يصلي فيه من كثرة الزحام [2] . وهذا إن دل على شيء إنما يدل على روح الدين الإسلامي عند أهل جني، والتي تكاثر وعظم عمرانها وأصبحت من المدن المكتظة بالسكان نظرا لمكانتها التجارية والصبغة الإسلامية التي اصطبغت بها، وهو ما جعل السعدي يصفها بأنها مدينة ميمونة وعظيمة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله ذلك في أرضها خلقا وجبلة، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة[3] .

وربما ذلك سببا في انجذاب الناس إليها خاصة القوافل التجارية التي كانت تلتقي فيها من شتى البقاع، حتى صارت من أكثر الأسواق رواجا في السودان الغربي، كما عرفت جني حكم آل كنبر والذين احتفظوا بالحكم تحت ظل مملكة مالي من أيام ماري جاطة 653هـ / 1255م والذي سيطر على المدينة، وأصبحت تحت حكمه رغم مقاومة أهلها له . هذا الذي دفعه ليحولها إلى سوق كبير لقبائل الولوف والفلان تباع فيه القماش [4] .وانتدب آل كنبر كحكام محليين تابعين لإدارته إلى أن سيطر عليها سني علي سنة 885هـ /1480م ومن ثم الولاء لدولة سنغاي وحكم الأسكاي فيما بعد، وقد استقرت الأحوال بها بمجيئ الأسكيا محمد الكبير والذي عمل على تحويلها إلى قطب

---

[1] السعدي ،المصدر السابق ص 13.

[2] ابن بطوطة ،المصدر السابق ص 422.

[3] السعدي ، المصدر السابق ص16.

[4] عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ص 154.

حضاري ذا أهمية تجارية وعلمية، فشجع على هجرة العلماء إليها وبالتالي ازدهرت الحركة العلمية والثقافية، ولقد قدم عليها العالم مورمغ كنكن الذي جاءها من بلاد كابر [1] . والذي اشتهر بغزارة علمه فتوافد عليه عدد كبير من طلبة العلم للاستفادة منه وقد كان ناشطا في أداء رسالته، فكان يخرج من داره في منتصف الليل إلى المسجد الجامع ويجلس الطلبة حوله يتلقون الدروس حتى صلاة الفجر ثم يعودون اليه حتى الزوال، ثم يعود إلى داره لأخذ قسطا من الراحة ثم يعود إلى حلقة الدرس من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر ثم يوصل درسه حتى المغرب ثم العشاء وبعد ذلك يعود إلى بيته وفي منتصف الليل يعود كعادته وهكذا دائما على هذا الحال [2]. وجاءها كذلك العالم القاضي محمد ساقوالونكري في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، الذي ولاه الأسكيا محمد الكبير القضاء ، ويعتبر أول قاضي يفصل بين الناس في جني بعد أن كان الناس يتحاكمون الى خطيب الجامع[3]، وقد خلفه في هذا المنصب الفقيه عباس كب الونكري [4](ت 959هـ /1551م)، والفقيه أحمد شرف بن عمر الذي كان خطيبا اماماً وقاضياً ، وكذلك أسرة أل بغيغ ومنهم الفقيه محمود بغيغ الونكري وابنيه محمد وأحمد الذين اشتهروا بالفقه والعلم والرياسة . وكل هؤلاء العلماء ساهموا في نهضة جني الثقافية والعلمية فأصبحت من المراكز العلمية في بلاد السودان الغربي تضاهي مدينة تنبكتو . وهو ما عبر عليه الحسن الوزان حين زيارته لها زمن الأسكيا محمد الكبير بأنها مركز تجاري مهم وأن أهلها يجبون أرباحاً كبيرة من خلال تعاملهم مع الناس في الأقمشة القطنية، وذكر أن العلماء والأئمة والفقهاء والتجار يسكنون مع الملك في حي واحد[5] .

---

[1] هو إقليم تابع لبلاد الهوسا ،وهو الجزء الشرقي من بلاد السودان الغربي بمحاذاة حدود السودان الأوسط أي بحيرة تشاد . أنظر :الهادي مبروك الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية ،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ط1 2008 ص 51.

[2] السعدي ، المصدر السابق ص 16.

[3] المصدر نفسه ص 16.

[4] نسبة إلى ونكرة احدى القبائل السودانية من فرع السنونيك . أنظر :الشيخي حسن علي ابراهيم ،المرجع السابق ص 291.

[5] الحسن الوزان ،المصدر السابق 164/2.

ولم تزل جني تؤدي ذلك الدور الثقافي والتجاري طيلة حكم الأساكي حيث قال عنها السعدي"... وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكاناً من العلماء الصالحين من غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى ..." [1]، كما بلغت بها المدارس التعليمية الى خمس مدارس ومعهد الى جانب المسجد الجامع كل هذا كان يؤدي الوظيفة التعليمية والدينية لمدينة جني[2] .

---

[1] السعدي ، المصدر السابق ص 35.

[2] الماحي عمر عبد الرحمن ،الدعوة الإسلامية في غرب افريقيا الواقع والمأمول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1989، ص 102.

الفصل الثالث

المدارس العلمية والحياة السياسية

في مملكة مالي وسلطنة صنغاي

(628 ـ 1000هـ/1231 ـ 1591م)

المبحث الاول

الحياة السياسية في مالي

(628 ـ 737هـ/1231 ـ 1336م)

المبحث الثاني

الحياة السياسية في صنغاي

(737 ـ 1000هـ/1336 ـ 1591م)

بعد دخول الإسلام للسودان الغربي 46هـ/ 666م وقيام مماليك في القرن الثاني للهجرة اتجه أهل السودان إلى التعليم وجدوا في طلبه لأن الإسلام يلزم التعليم على كل مسلم ومسلمة بمعرفة شيء من القرآن الكريم بقدر ما تستقيم به العبادة، الأمر الذي أدى إلى فتح باب تعلم القراءة والكتابة بوسائل مختلفة واتخذ السلاطين والأمراء والتجار من الفقهاء والعلماء وحفظة القرآن الكريم مربيين لأبنائهم ، كما أسندوا إلى بعضهم مناصب الإمامة والقضاء والتدريس في المساجد والأماكن العامة.

كما اتخذوهم كتبة أو كتاب في دواوين الدولة ، فأصبح كل من يتطلع إلى تولي منصب عال في الدولة وإدارتها لابد أن يطلب العلم ويتفقه في الدين. ومن هنا صار التعلم ضرورة في المجتمع السوداني. لذا شهدت مملكتي مالي وسنغاي (628 ـ 1000هـ/1231 ـ 1591م) نظاما تعليميا على غرار التعليم الذي كان سائداً في المشرق الإسلامي ومغربه، فأنشئت لذلك دور التعليم وتعددت تلك الدور وتنوعت بفضل جهود كل سلاطين الدولتين، وعلى رأسهم السلطان منسا موسى في مملكة مالي و الأسكيا محمد الكبير في مملكة سنغاي اللذان اهتما أكثر بالعلم والعلماء وخاصة بعد قيامهما برحلة حجية زار فيها بعض أقطار المشرق والمغرب، وما نتج عنه من تأثير في مجال العلم وما وصلت إليه الحركة العلمية في هذه البلدان من خلال تلك المدارس العلمية الرائدة آنذاك. فاهتما ببناء المساجد ودور العلم وتشجيع العلماء وتقريبهم وشراء الكتب وحبس الأوقاف على ذلك.

مما كون مناخاً علمياً في هذه البلاد بلغت بفضله أوج ازدهارها العلمي والمعرفي من خلال تلك المؤلفات المحلية، والاجازات مما سمح بتكوين مناهج أو مدارس ذات خصوصية محلية لها تأثيرها من خلال ما أنتجته من علوم .

المبحث الاول

الحياة السياسية في مملكة مالي الإسلامية

(628 ـ 873هـ /1231 ـ 1469م)

1 ــسلاطين مملكة مالي

2ـ نظام الحكم في مملكة ماليالإسلامية

3ـ السياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية

تقع مملكة مالي بين بلاد كانموالبرنو والهوسا شرقا والمحيط الأطلسي غربا ،ومن غابات السافانا جنوبا إلى الصحراء الكبرى وجبال البربر شمالا[1] ،وأهلها قسمان : أحدهما يسكن المدن والثاني رحل يتنقلون في البوادي . وتعد مملكة مالي أعظم مماليك السودان الغربي الإسلامية ،ويتضح ذلك جليا من خلال زيارة منسى موسى إلى القاهرة وهو في طريقه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، فسأله البعض عن مساحة مملكته فقال تبلغ سنة في الطول. [2] وتشمل على خمسة أقاليم ،كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة تجتمع حول صاحب مالي .ويسميه أهل مصر في العصور الوسطى سلطان التكرور ،ولكنه يعرف باسم سلطان مالي.

1 ـ سلطان مالي وأقاليمه الخمس :

أ ـ مالي : ويتوسط الأقاليم المكونة للمملكة وقاعدتها بنبي

ب ـ صوصو : وتقع إلى الغرب من إقليم مالي

ج ـ غانة ويقع غربي اقليم صوصو ويمتد الى المحيط الاطلسي ،وبه مناجم الذهب واليه يسير المغاربة من سجلماسة [3]يخترقون القفار والمفاوز ،وقد أسلم أهل هذا الإقليم في صدر الإسلام .

د ـ كوكو ويقع شرق اقليم مالي وقاعدته كوكو وبينها وبين مدينة غانة القديمة شهر ونصف .

هـ ـ تكرور يقع شرق اقليم كوكو وقاعدته مدينة تكرور [4].

---

[1]القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الإنشا ،وزارة الثقافة المصرية ،ب ط ،ب ت ،282/5

[2] عطية مخزوم ، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام) ،دار الكتاب الوطنية بنغازي ليبيا ،ط 1 ، 1998م ص 261

[3]سجلماسة : مدينة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة الريساني في مقاطعة تافيلالت على طرف الصحراء بنيت سنة 140 هـ / 757 م وكانت تمتاز بكثرة نخيلها واعنابها وقصورها ،ابن حوقل ،صورة الارض ،ص 34 .البكري ،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،ص 147. ياقوت الحموي ،معجم البلدان 45/3.

[4]حسن ابراهيم حسن ،انتشار الاسلام والعروبة في مالي و الصحراء الكبرى شرق القارة الافريقية وغربها ،القاهرة ، 1957 ، (ب ت) ، ص60

ولقد شكل كل إقليم من الأقاليم الخمسة مملكة شبه مستقلة تتجمع حول سلطان مالي ، ولذلك يمكننا القول بأن مملكة مالي كانت بمثابة اتحاد فدرالي ومما يؤكد ذلك أن إقليم غانا لم يكن يربطه بالسلطة المركزية سوى الولاء الإسمي أو الرمزي [1].

لا يعرف إلا القليل عن نشأة مملكة مالي، على الرغم من أنها تعد من أقوى وأعظم دول السودان الغربي، وكل ما كان يعرف عنها أنها في بادئ أمرها كانت تتكون من مقاطعتين هما مقاطعة دو ومقاطعة كيري. وقد تعاقب على حكمها أسرتان كبيرتان هما أسرة التروريين ومؤسس هذه الأسرة منسا نوفنتارورا وقد اعتنق هذا الملك الإسلام ثم أسرة الكونتيين وأشهر حكامها جورمانداكوناتي وهو أول من أسلم من هذه الأسرة .[2]

ثم جاءت بعد الأسرتين السابقتين أسرة عريقة وهي أسرة كيتا (597ـ 886 هـ /. 1200ـ 1484م) التي استطاعت أن توحد هاتين المقاطعتين في مملكة واحدة هي مملكة الماندنجوا أو المالنكة أو مملكة مالي وهو الاسم الذي اشتهرت به في المنطقة، بحيث أنها كانت في بداية أمرها تابعة لمملكة غانة ثم انفصلت عنها .[3]

كان يحكم مملكة مالي بعد الانفصال عن غانا محارب قوي من أسرة كيتا هو سندياتا المعروف في المصادر العربية بــ ماري جاطة ويقول ابن خلدون أن ماري معناه في لغة الماندنجوا الأمير الذي يكون من العائلة المالكة ،وجاطة معناه الأسد .[4] فاستطاع هذا الملك أن يكون جيشا كبيرا مؤلفا من المشاة والخيالة والإبالة ،وقد جعل قادة هذا الجيش من المالينك الذين كانت لهم دراية كبيرة بفنون القتال .[5]

[1]عطية مخزوم ، المرجع السابق ، ص 263

[2]حسن حلمي ابو الفضل ،السياسة الخارجية لمملكة مالي الاسلامية ،جمعية الماجد للثقافة والتراث مصر ،ط 1 ، 2009 ، ص 6

[3] المرجع نفسه ص 7

[4] ابن خلدون ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،413/6

[5] حسن حلمي ، المرجع السابق ، ص 9

ولما أتم سندياتا استعداداته العسكرية خاض معركة ذات شان كبير في تاريخ مملكة مالي الاسلامية وهي معركة كيرينا 633هـ / 1235م على الضفة اليسرى لنهر النيجر ضد سومانجورو ملك الصوصو الوثني وانتصر سندياتا في هذه المعركة.[1]

وتعتبر معركة كيرينا هي البداية الحقيقية لقيام مملكة مالي الإسلامية لأن هذه المعركة أظهرت قوة مملكة مالي الإسلامية وحسن تنظيمها الداخلي كما أظهرت ما تتمتع به مملكة مالي من قوة عسكرية وجيش منظم، فكانت هذه المعركة دليل على قوتها المؤثرة في منطقة السودان الغربي . ذلك لأن سندياتا بعد ان انتصر على ملك الصوصو في هذه المعركة،مدت مملكة مالي سلطانها نحو الشمال فبرزت هذه الدولة في سماء الحياة السياسية وتطورها على هذا النحو باتخاذها حاضرة جديدة ترمز إلى الدولة و إلى قوتها النامية ونفوذها المطرد .

ويستفاد مما كتبه محمود كعت في كتابه الفتاش إن هؤلاء الملوك كانت لهم عاصمة قديمة تسمى جريبة جاوزوها إلى عاصمة جديدة اتخذت اسم نياني [2]، وكان هدفه من هذا العمل أن يجعل العاصمة تتوسط المملكة، وكذا لما تمتاز به من الحصانة لوجودها في سهل يجاري سهل نهر سنكراني الذي يصلح للملاحة طول العام وتحيط به نصف دائرة من المرتفعات كما أنها متاخمة لمناجم الذهب ومصادر الكولا والزيت وهي منتوجات تدر أرباحا هائلة، إضافة إلى أنها كانت ملتقى الطرق التجارية الهامة في المنطقة .

[1] المرجع نفسه ص 9

[2] حسن أحمد محمود ،الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، دار الفكر ، ب ط ، 1986، ص 221

وبهذا الصراع العسكري الكبير الذي قادته مملكة مالي الإسلامية ضد قبيلة الصوصو الوثنية وبسقوط الكيانات السياسية الأخرى متمثلة في مملكة غانة [1] والتكرور،أصبحت تمثل القوة السياسية الوحيدة في المنطقة.

2 ـ سلاطين مملكة مالي

وبعد هذا التفوق العسكري لمملكة مالي الناشئة يكون سندياتا قد وضع اللبنة الأولى في صرح مملكة مالي الإسلامية في منطقة السودان الغربي ، ثم عمل حكام هذه المملكة الذين جاءوا من بعده على الارتقاء بمملكتهم لتكون سيدت المنطقة بامتياز في تلك الفترة .

ورثة سندياتاأو ماري جاطة

أجمع المؤرخون على أن دولة مالي الإسلامية ازدهرت في عهد خلفاء ماري جاطة الذي توفي سنة (653هـ / 1255 م) بعد حكم دام حوالي ربع قرن ولا يعرف السبب الحقيقي لوفاته ،خاصة إذا عرفنا أن الروايات الشفوية التي استقى منها تاريخ مالي تتضارب حول ذلك فالبعض يقول أنه مات مقتولا في إحدى الحفلات بسهم طائش وعن غير قصد ، في حين يرى البعض الأخر أنه مات غرقا في مياه نهر سنكراني في ظروف يكتنفها الغموض. [2]

وبعد وفاته توقف العمل بالمبدأ الذي كان متبعا منذ القدم في توارث العرش أي مبدأ خلافة الحواش (الأخوة واحدا بعد الأخر) فتولى بعد ماري جاطة ابنه منسا ولي وعرف كذلك بمنسا علي أو منسا أولين عرف هذا الملك بالتقوى والصلاح وحج عدة مرات ،وقد زار مصر وهو في طريقه الى

---

[1] مملكة غانة :كانت قبائل السونينك تسمى "امبراطورية غانا "التي أنشاؤها في تلك الرقعة الهائلة من مناطق غرب افريقيا "مملكة واجادو" وكلمة واجادو كانت اللقب الذي يطلق على كل ملك من ملوكهم القدماء . وفي نفس الوقت الاسم الأول لكبير لألهتهم " واجادو بيدا ". وكانت لمملكة غانا عاصمتان واحدة تسمى "الغابة "وهي المقر الاداري الرسمي للمملكة . والثانية تسمى "كومبي "والتي كانت تعتبر المركز التجاري للامبراطورية أي العاصمة الاقتصادية للمملكة .أنظر :جوان جوزيف ، الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ،ترجمة مختار السوفي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط 1، 1984، ص 57.

[2] عطية مخزوم ، المرجع السابق ص 274

الحج سنة 658هـ/ 1259م في بداية حكم المماليك ،وعدّ هذا الملك من أعظم ملوك دولة مالي الإسلامية .[1]

استفاد منسا علي من خدمات قواد أبيه ومستشاريه ومن هؤلاء موسى سنكروما سيسكو والقائد سرماكيتا والقائد سانى نيانجا وهذا الذي يعود له الفضل في تأسيس مملكة سانجاران وهذا الذي زاد من اتساع مملكة مالي .[2]

وبعد وفاة منسا علي سنة 668هـ/ 1270م تعرضت مملكة مالي لفترة اضطر بات امتدت حتى نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ،لكن هذه الفترة لم تخلوا من بعض الأعمال الهامة والتي كانت سببا في قوة مالي وازدهارها كما اتسعت مساحتها .[3]

في هذه الظروف من الاضطرابات تتالى على العرش عدد من الملوك الضعاف كان أولهم منسى واتي ثم منسى خليفة وهما أخوة منسى علي . وكان منسى خليفة معتوها يسلي نفسه بإطلاق النبال على الناس فثارت عليه الرعية فقتله[4] . ثم جاء من بعده أبو بكر وهو حفيد سونديا‌تا ودام حكمه حتى عام 673 هـ/ 1285 م حين اغتصب الحكم أحد القادة العبيد من العائلة المالكة واسمه ساكورا وامتد حكمه حتى عام 688هـ / 1300م حيث قام في تلك الفترة بغزو منطقة التكرور في السنغال ومنطقة وانقارة ومدينة غاو التي تقع على نهر النيجر،حيث تمتعت البلاد في عهده بشيء من الاستقرار والرخاء،كما عمد الى تقليد الملوك السابقين فقام برحلة الحج عام 688هـ/ 1300م في أيام السلطان الناصر قلاوون وفي طريقه اغتيل على أيدي بعض قطاع الطرق واللصوص .[5]

---

[1] حسن جلال الدين محمد علي، مملكة مالي الاسلامية وأهم مظاهر الحضارة ، ص39 ،1978 ، ب ط /ب دار الطبع

[2] المرجع نفسه ، ص39

[3] المرجع نفسه ،ص39

[4] القلقشندي ، المصدر السابق ، 295/5

[5] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ،المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة .دار الكتب العلمية بيروت ط1 2007 ص 80

انتقلت الخلافة من أولاد سندياتا إلى أولاد إخوته أبي بكر واعتلى العرش أول أولاد أبي بكر سنة 712 هـ /1312م منسى موسى بعد أن مات سوندياتا بنصف قرن من الزمن وقد بلغت مالي أوج قوتها وثرائها في عهد هذا الخليفة منسى موسى ، فقد استطاع قواده فتح تنبكتو و ولاتة ووصلت قواته إلى جاو في منطقة النيجر الأوسط وأخضع لسلطانه أهل الصحراء الرحل الذين كانوا يثيرون الشغب ،كما بسط نفوذه على أورانوتارمكت ووصلت مملكة مالي في عهده درجة عظيمة من التوسع فامتدت من تكرور غربا حتى دندى شرقا وفوتاجالون جنوبا . [1] كما اشتهرت مملكة مالي في أوروبا و الشرق الأدنى وذلك بعد قيام هذا الأخير برحلة الحج المشهورة إلى مكة المكرمة إذ ارتفع اسمه إلى الذروة خصوصا في القاهرة وبعض المدن الأخرى التي شهدت مرور قافلة الحج الفخمة . حيث خرج للحج سنة 725 هـ/1324م في صحبة أهل وانجاراوولات وتوات واختلفت الروايات في الطرق التي سلكها إلى القاهرة،وربما أرجح الطرق التي سلكها هو طريق ورجلان ثم تتبع شاطئ سرتس الذي كان يمد تجار أجزاء كثيرة من أوروبا بتجارة افريقيا ،فكانت فرصة ليشهدوا العظمة التي لازمته قبل أن يصل إلى القاهرة .حيث كان يمتطي جوادا يتقدمه خمسمائة من الرقيق كل منهم يحمل كتلة من الذهب تزن خمسمائة مثقال .وفي القاهرة لم تكن العظمة التي أحاط بها الملك نفسه هي التي سببت شهرته بل عطفه. [2] وهناك صرح منسى موسى بأنه المدافع الأكبر عن الإسلام وأنه يحارب الكفرة الوثنين في جنوب بلاده وأن مملكته تعد بقعة صغيرة بيضاء في جسم بقرة سوداء.[3]

يروي العمري صاحب المسالك والممالك بحيث أنه زار القاهرة بعد اثنتي عشرة سنة من هذه الرحلة، فوجد الناس لايزالون يشيدون بمدحه، فصغار الموظفين الذين كثيرا ما يتكالبون على الأغنياء يذكرون هداياه من الذهب الذي حمله معه . فكانت حمولة الذهب الذي أخذه منسى موسى معه في

---

[1] عطية مخزوم ،المرجع السابق ص276

[2] زاهر رياض ،المماليك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ،مكتبة الانجلو المصرية ،ب ت 1968 ص 117

[3] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ،المرجع السابق ص84

رحلته هذه حوالي مئة (100) جمل يحمل كل منها ثلاثة قناطير من الذهب، إضافة إلى الحرس الذي رافق هذه القافلة والذي بلغ تعدده حوالي ستة الاف حارس ، بالرغم من أن هذا الرقم يبدو كبيرا إلا أننا لا نستبعد ذلك خصوصا بعد حادثة اغتيال ساكورة في طريق عودته من الحج مثلما سبق معنا، بعد هذا أصبح سلاطين مالي يعدون بدقة ونظام رحلات السفر .

كما استفاد تجار مصر من انتعاش تجارتهم في هذه الرحلة فكان أتباع منسى موسى يدفعون بدون مبالاة فكان الواحد منهم يدفع بكل بساطة خمسة دنانير لثوب لم يكن يساوي أكثر من دينار واحد.[1]

لم يقتصر توزيع منسى موسى لذهبه وثروته في القاهرة فحسب بل كان ينثرها أينما حل وارتحل فحين وصوله إلى المدن المقدسة (مكة والمدينة)كثر عطاؤه في هذه البقاء والتي دلت مرة أخرى على كرمه، فليس من السهل أن تصدق أنه حين عودته إلى القاهرة بعد الحج كانت ثروته قد أتت على نهايتها.[2]والدليل على ذلك أنه استدان من أحد تجار الإسكندرية ليحافظ على سمعته، وقد رافقه هذا التاجر المصري إلى مالي ليتقاضى دينه.[3]

وعند عودته من هذه الرحلة اصطحب معه من مكة أربع أشراف من قريش مع عائلاتهم ليستقروا في مالي، كما اصطحب الشاعر والمعماري الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف باسم الطويجن فاستفاد من خبرته في مجال العمارة لبناء المساجد والقصور ،كما التقى في طريق عودته بالفقيه أبي عبد الله الكومي الموحدي في غدامس اصطحبه هو الأخر إلى مالي ليستفيد من ثقافته

[1]العمري ، المصدر السابق ص 67.

[2]زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص 118

[3]محمد فاضل وسعيد ابراهيم ،المرجع السابق ،ص 84

وخبرته، فكان يأخذ برأي كل من هذا الفقيه و الشاعر في شؤون المملكة فأصبحا ذا نفوذ في البلاط المالي .[1]

وكل ما يعنينا في رحلة الحج هذه هو إظهار ما تمخض عنها من أثار طيبة ونتائج عظيمة وقيام علاقات وطيدة مع بلاد العالم الإسلامي، ساعدت على أن تظهر مملكة مالي بمظهر إسلامي واضح أعطى زخما قويا لازدهار معالم الحضارة الإسلامية بقوة مما انجر عنه نموا للحركة العلمية والأدبية التي بدأت تندفع عبر الغابات الاستوائية لأجل نشر دعوة الحق هناك .

مات منسى موسى سنة (733هـ / 1332م) بعد حكم دام حوالي ربع قرن وترك وراءه إمبراطورية اشتهرت بين الممالك الإفريقية باتساع رقعتها وثروتها .فكانت مثلا قويا لقدرة الأفارقة على التنظيم السياسي والاقتصادي لحياة الناس ، امتدت من تكرور في الغرب إلى جاو في الشرق وما وراءها ،وضمت جزءا كبيرا من الصحراء وامتدت جنوبا حتى الغابات الاستوائية ، شهد حكم منسى موسى اتساعا كبيرا في تجارة مالي بسبب المرونة التي أقام بها علاقاته مع الخارج ،فبخلاف الصداقة التي أقامها مع مصر والجزيرة العربية بفضل رحلة الحج المشهورة التي قام بها كان على صلات طيبة ببني مرين في فاس .ويعتبر منسى موسى هو الحاكم الافريقي الذي كسر ذلك الحاجز بين الأفارقة و العالم الأخر المتمدن، ليكسب للأفارقة قدرا كبير من الاحترام يعود فيه الفضل إليه حتى اليوم .

وهناك كثير من الأدلة على ما اكتسبته مالي وحاكمها العظيم من الشهرة والعزة توجد في خريطة العالم التي رسمها راسموا الخرائط الأوروبيون حين كانوا يحاولون تصوير إفريقيا من الداخل لأول مرة، فمن أوائل المصادر التي أشارت إلى مالي وملكها خريطة العالم التي رسمها انجلينوادولسترالميورقي وهي مؤرخة سنة 740 هـ / 1339م أي بعد سبع سنين من وفاة الملك منسى موسى، فقد

[1] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ،المرجع السابق ،ص 84

وضع في وسط الصحراء الغربية عرشا عليه تمثال كساه بالثياب الملكية وعلى راسه تاج وذكر على أنه ملك مالي. وبدا راسموا الخرائط يثيرون التساؤل عن منسى موسى، وكيفية الوصول إلى بلده[1].

كذلك أطلس كاتلان المشهور الذي رسم أيام شارل الخامس بواسطة أبراهام كرسكس في سنة 776هـــ / 1375م أظهر في وسط الصحراء رجلا ملثما راكبا جملا متجها إلى ملك جالس على عرش لابسا ملابس ملكية وتاجا، ممسكا بالصولجان في إحدى يديه والصاجات الذهبية في اليد الأخرى، وهو يناولها إلى الراكب، وقد كتب تحت هذا الملك الزنجي منسى موسى ملك الزنوج في مالي والذهب كثير في مملكته إلى حد أن أصبح أغنى وأنبل ملك في العالم .[2]

وخلفه من بعده ابنه(محمد) والذي عرف باسم منسى مغا، ومغا عندهم يعني محمد و الذي كان ولياللعهد أثناء وجود والده في مكة، وبعد عودته من الحج تركه خليفة له في حياته، حتى لا يكون لأخيه منسى سليمان الحق في تولي هذا المنصب، لكن حكمه لم يدم طويلا. حوالي أربع سنوات لأنه كان لا يملك الخبرة الكافية لتسيير شؤون الحكم،فشهدت البلاد في عهده الكثير من الفتن الداخلية واختل الأمن العام في البلاد فنتج عنه عدم الولاء للسلطان، إضافة إلى هجمات بعض القبائل في المناطق المجاورة والتي شكلت خطرا حقيقيا على استقرار مملكة مالي، من بينها قبائل الموشي جنوب مالي حيث أنها وصلت إلى تنبكتو فأحرقتها وأبادت الكثير من السكان.[3] فتحررت مدينة جاو من سيطرت مالي، و أصبحت فيما بعد عاصمة لمملكة صنغاي[4].

---

[1] جوان جوزيف ، المرجع السابق ص 75

[2] زاهر رياض، المرجع السابق ، ص 121

[3] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ،المرجع السابق ، ص 85

[4] سنتكلم عن مملكة صنغاي بالتفصيل في المبحث الثاني من هذا الفصل

مات منسى (محمد) مغا بعد فترة قصيرة من الحكم (737 هـ/ 1336 م)مما دفع بكثير من المؤرخين إلى احتمال أنه قتل من طرف عمه منسى سليمان والذي كان يطالب بالعرش بعد وفاة أخيه منسى موسى [1].

تولى الحكم من بعده عمه منسى سليمان مملكة مالي سنة (737 هـ/ 1336م)، واستمر حكمه طويلا حوالي أربعة وعشرون سنة. وقد استطاع أن يعيد سيطرة الدولة في كثير من أجزائها ماعدا منطقة جاو،فأعاد الأمن والاستقرار لدولة من جديد ، فكان مثل أسلافه من ملوك مالي فحج سنة (751 هـ/ 1351م). استطاع منسى سليمان أن يعيد لمملكة مالي هيبتها واحترامها فأحبه شعب مالي فنظموا له الشعر والأغاني تمجيدا له :

منسى موسى أخوك كان عادل سمع إلى كل من اشتكى

الفقير أيضا والغـــــــــــني ومهما كان الشخص فقيرا

افعل كذلك كن عادلا كن حكيما

قد الجيش بشجاعة في الحرب هكذا سوف نذكرك

وسوف نغني بأمجادك إلى الأبد [2]

تولى الحكم بعد سليمان ابنه قسا ولم يحكم إلا تسعة أشهر، قتل في معركة مع ابن منسى محمد أو منسى مغا ويدعى ماري جاطة الثاني والذي استولى على السلطة وبقي فيها لغاية وفاته 747هـ/1373م وكان هذا الحاكم سيئ السيرة ومبذرا اتلف ما في خزائن الدولة، وقد ذكر ابن خلدون أن القاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن وانسول وصف ماري جاطة الثاني هذا بأنه

---

[1] حسن جلال الدين ،المرجع السابق ص 61

[2] المرجع نفسه ، ص 63

"....أفسد ملكهم ، وأتلف ذخيرتهم ، وكاد أن ينتقص شأن سلطانهم وباع حجر الذهب الذي كان في جملة الذخيرة عند أبيهم، وهو حجر يزن عشرين قنطارا، عرضه على تجار مصر المترددين على بلده فابتاعوه منه بأبخس ثمن، حيث صرف ثمنه على بذخه و إسرافه ...."[1]

وبعده جاء إلى الحكم ابنه موس الثاني وكان أحسن سيرة من أبيه لكن وزيره ماري دياتا استبد بالأمر وحجر عليه فقام بمحاربة دولة صنغاي التي احتلت أجزاء واسعة من مملكة مالي، وتميز عهده كذلك بهجوم الطوارق على مملكته. فوصف ابن خلدون هذا الوضع والذي كان معاصرا لهذا الملك "لكن الأمر كان قد أفلت والدولة كانت قد اتجهت للانحدار فآذن ذلك بالزوال "[2].

توفي موسى الثاني سنة (761 هـ/1387م) فخلفه أخوه مغان الثاني وقد بدأ عهده بحروب أهلية بين الطامعين بالعرش، فقتل بعد سنة واحدة من حكمه. فتولى الحكم باسم مغان الثالث ويعتبر أخر حكام مملكة مالي وهو زوج أم مغان الثاني و كان اسمه صنداكي ففي هذه الأثناء كانت مملكة مالي تمر بأسواء أيامها فتفكك الجيش وتمزق وأصبح أداة سوء وخلل ولم يعد ذلك الجيش الذي كان يدافع عن وحدة البلاد وأطماع الأعداء. ففي الشمال شن الطوارق هجمات متلاحقة ومتتابعة انتهت باستلائهم على مدينة تنبكتو و ولاتة وسيطرتهم على معظم مناطق مملكة مالي الشمالية، وفي الجنوب الغربي وجه الفلانيونوالتكارتة (أهل تكرور) ضربات قوية إلى مملكة مالي واستقلوا بأجزاء منها، وفي الجنوب قامت قبائل الموشي الوثنية بأعمال غزو وتخريب، وفي الشرق تعرضت مملكة مالي لهجمات دولة صنغاي التي بدأت في الظهور بعد تحررها من سلطة مالي.[3]

أما عن السياسة العامة في مملكة مالي فقد كانت القاعدة العامة في وراثة العرش هي تولية الابن الأكبر للسلطان المتوفى، لكن ليس من الضروري أن تسير سلسلة هؤلاء الأبناء رأسيا بانتظام، فقد

---

[1] ابن خلدون ، العبر المصدر السابق 200/6

[2] المصدر نفسه ، 433/6

[3] محمد فاضل و سعيد ابراهيم ،المرجع السابق ، ص 87.

يتولى الإخوة واحدا بعد أخر من أبناء المتوفى مع عدم الاخلال بقاعدة السن. وقد يتولى أبناء الأخت أو أبناء البنت، وهو أمر مألوف عند جميع المماليك الإفريقية التي قامت في غرب افريقيا. وقد سارت هذه القاعدة في امبراطورية غانة كما وجدت في الممالك السودانية الصغيرة، وطابع الحكم في مملكة مالي استبدادي والملكية فيه مطلقة واستغلال الرعية لصالح الأسرة الحاكمة .ويتمتع ملوك مالي باحترام وتعظيم وهيبة بالغة من قبل الرعية حتى تصل إلى حد التقديس والعبودية .[1]

3 ـ نظام الحكم في مملكة مالي

يساعد سلطان مملكة مالي في حكومته المركزية بالعاصمة مستشارون وموظفون أهمهم نائب السلطان ويكون والي العاصمة أيضا ويعرف هذا النائب باسم قنجا ويقوم مقام السلطان إذا غاب ويساعده في تصريف الشؤون. وهناك الوزير ويلقب باسم صندكي ويعتبر كذلك رئيس العبيد، وفي هذه الحالة الأخيرة يعرف باسم ديوان صندكي.ولصندكي أهمية كبرى في حكومة مملكة مالي المركزية، وقد يحدث أن ينفرد بالأمر والنهي ويستبد بجميع الأمور دون السلطان، وخصوصا إذا كان السلطان ضعيف أو صغير السن.[2]

وقد اعتمد سلاطين مملكة مالي كثيرا على طبقة العبيد المحررين، فاتخذوا منهم قادة للجيش وحكاما للولايات وجباة للضرائب حتى أصبحوا من كبار موظفي مملكة مالي. ولم يكن لدى بعض السلاطين بأس في الزواج من نساء هذه الطبقة لذلك كان الكثير من هذه الطبقة يتطلع إلى أعلى المناصب في الدولة حتى منصب السلطان نفسه من خلال القربى مع العائلة الحاكمة .[3]كما نجحت حكومة مالي في إدارة شؤونها في تنظيم دولتها المتسعة الأرجاء والتأثير الشرقي الإسلامي الواضح في الإدارة والتقاليد، كما برز في المظاهر السلطانية من مواكب وحفلات.

---

[1] ـ محمد فاضل و سعيد إبراهيم ، المرجع السابق ،ص 93

[2] ـالمرجع نفسه ص 93

[3] ـالمرجع نفسه ص 93

تكونت مملكة مالي من أقاليم أو ولايات أو ممالك تابعة لها وكان عددها أربعة عشر، [1] والوحدة الأساسية الإدارية في تنظيم هذه المملكة المترامية الأطرافهي دوغو (Dugu)، أي القرية وهذا التنظيم من تقاليد الماندينغ القديمة ،وتؤدي القرية هنا معنى المدينة كذلك ،ومجموعة القرى وضواحيها تعرف باسم كافو (kafo) في لغة الماندينغ ومعناه الإقليم أو المقاطعة ومجموعة الكافوات تكون ما عرف باسم ديامانا (Diamana) أي الولاية، بل إن لقب منسى كان يطلق أصلا عند الماندينغ على حاكم هذه الولايات .

أما نظام القضاء في مملكة مالي فكان دقيقا كما كان محل عناية كبيرة للسلطان، وهذا مما نقله عن المشرق الإسلامي ولا سيما مصر، وقد احتل القضاة مكانة مرموقة في المجتمع، وكان القاضي الأعلى يقيم في العاصمة ويعتبر مستشار السلطان .

أما الجيش فكان القوة العاملة الثابتة في مملكة مالي و المنسى هو القائد الأعلى وكثيرا ما كان ينوب عنه قائدا أخر . وكان لمملكة مالي جيشان جيش الشمال وجيش الجنوب، وقد درب ونظم كل منهما أحسن تدريب وتنظيم وبلغ مجموعهما نحو مائة ألف جندي منهم عشرة ألاف فارس والباقي مشاة. وكان الفرسان عماد القوة الفعالة في مملكة مالي وقد قسم الجيش إلى فرق على كل فرقة ضابط .ويعرف كبار ضباط الجيش أو الأمراء في مملكة مالي باسم الفرارية ويقوم كل منهم على طائفة من الجنود المشاة والفرسان، وجرت العادة أن يحضر هؤلاء الفرارية بجنودهم في المواكب السلطانية. أما أسلحة الجيش فكانت السيوف والحراب الطويلة والقصيرة والأقواس والنشاب .[2]

---

[1] طرخان ابراهيم المرجع السابق ص 23.

[2] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ،المرجع السابق ،ص 94

كل هذه القوة العسكرية انعكس على حالة المجتمع فتمتعت مملكة مالي بحياة أمنة حتى في الأماكن النائية فلا يخاف المسافر إلى مملكة مالي أو المقيم فيها، مما أدى إلى ازدها الحركة التجارية في البلاد.[1]

كما أن موقعها في المنطقة الاستوائية وعلى ضفاف نهري النيجر والسنغال ساعد على قيام الزراعة، وبالتالي فإن هذا الوضع قد فرض عليها الاحتكاك بالعالم الخارجي لمحاولة إمكانية تطوير المجال الزراعي، ليستفيد منه السكان وتزويد بعض المدن الأخرى بما يحتجونه من محاصيل زراعية في السودان الغربي.

4 ـ السياسة الخارجية لمملكة مالي الاسلامية

بعد أن أصبحت مملكة مالي ذات كيان سياسي واضح ، وصاحبة الزعامة في منطقة السودان الغربي اتجهت إلى الخارج نحو العالم الإسلامي المعاصر لها ، وتحكمها في وجهتها الخارجية عدة محددات ذات تأثير كبير في علاقتها مع العالم الإسلامي ، وأهم هذه المحددات الموقع الجغرافي الذي كان له الأثر الكبير في توجيه السياسة الخارجية لمملكة مالي، بحيث كانت مركزا لترويج التجارة القادمة من الشمال الإفريقي عبر الصحراء الكبرى، فاليها تنتهي رحلة التجارة الصحراوية، ثم يقوم تجار مالي بترويجها وتوصيلها إلى داخل مدن السودان الغربي والأوسط ،وكذلك فإن موقع مملكة مالي جعلها هي المتحكم في مناطق استخرج الذهب في منطقة السودان الغربي وخاصة منطقتي بوري، وبامبوك.[2]والذي ساعد سلطان مملكة مالي في التحكم في هذه الثروة هو إسلام القبائل التي تعمل في استخراج الذهب، وحاجة العالم إلى هذه الثروة التي يملكها أهل السودان الغربي.

---

[1] محمد فاضل وسعيد ابراهيم المرجع السابق ، ص 94

[2] ـ حسن حلمي ، المرجع السابق ، ص 12

وبسيطرة مملكة مالي الإسلامية على مناطق استخراج الذهب أصبحت هذه المملكة من الأهمية بمكان في منطقة السودان الغربي مما جعلها تتجه إلى الخارج وهي تملك سلعة اقتصادية هامة كان العالم الأوروبي والعربي في حاجة ماسة إليها ،وأول ما لفت أنظار العالم إلى ذهب السودان الغربي، ومملكة مالي خصوصا ذلك الموكب المهيب الذي ظهر فيه منسى موسى عند زيارته إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج [1].

لقد كانت زيارة منسى موسى إلى بيت الله الحرام ومماليك مصر بعد ذلك علاقات قوية ويظهر ذلك جليا في الحفاوة والاهتمام الذي لقيه من السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون (709 ـ 740 هـ / 1309 ـ1340 م) أثناء إقامته بالقاهرة ،فقد أرسل الملك الناصر محمد ابن قلاوون موظف من بلاطه وهو المهمندار أبو العباس أحمد الخاقاني لاستقبال منسى موسى ومرافقيه خلال إقامته بالقاهرة ،فتم إنزال منسى موسى وحاشيته بقصر عند القرافة الصغرى بأمر من السلطان الملك الناصر.[2] ويظهر كذلك في قوة العلاقة بين مصر ومملكة مالي هو تعيين بعض أهل التكرور في دواوين الحكومة المصرية، ومن هؤلاء الحاج يونس التكروري الذي شغل منصبا سياسيا هاما في البلاط المملوكي بعد ما كان سفيرا لبلاده لدى مصر.[3]

فرحلة منسى موسى فتحت الباب على مصراعيه للتبادل والتعاون بين مملكة مالي ودولة المماليك في مصر والحجاز ،كما تعبر هذه الرحلة كذلك على القدر الكبير من الدبلوماسية التي كان يتمتع بها منسى موسى. [4]

ولمتقتصرالعلاقاتعلمصروالحجاز،بلكانلسلاطينماليعلاقاتطيبةأيضًابملوكالمغرب الإسلامي

[1] ـ رحلة منسى موسى الى الحج راجع كتاب : ابراهيم علي يوسف ،الحج واثره الحضاري في دولتي مالي وصنغاي (636 / 1000 هـ) (1283/1591 م)،رسالة ماجستير القاهرة 2006 ،المشرف كرم كمال الدين الصاوي باز .

[2] ـ حسن حلمي ،المرجع السابق ، ص38 .

[3] ـ المرجع نفسه ،ص 43

[4] ـ المرجع نفسه ،ص 39

وترجعالعلاقاتبينالطرفينإلىزمنبعيد،فيذكرابنعذاريمؤرخالمغربوالأندلسالشهيرفيكتابهالبيانالمغربفيأخبارالأندلسو المغرببعضالهدايااللتيكانيرسلهاملوكالسودانالغربيفيالقرنينالرابعوالخامسالهجريينإلىملوكبنزيريفيتونس،أماسلطانم ملكةمالي

منسموسفقدأرسلإلىالسلطانأبالحسنالمرينييهنئهباستيلائهعلىتلمسان،كمابعثبالسفراءالدائمينإلىالمدينةفا س.[1]

كذلك انتقلت بعض النظم السياسية والادارية من مصر المملوكية إلى مملكة مالي الإسلامية، فنظم الادارية في مملكة مالي أصبحت شبيهة بالنظم السائدة في مصر والمغرب وسائر أقطار المشرق الإسلامي فكان يوجد بها الوزراء والكتاب والقضاة والدواوين وهي أنظمة إسلامية عرفت في مختلف البلاد الإسلامية [2].

ونجد ذلك واضحا في رحلة ابن بطوطة إلى البلاط المالي حيث أن أبا عنان كان حريصا على استمرار العلاقات الطيبة التي كانت لوالده مع ملوك مالي لضمان حدود مملكته الجنوبية. [3]

وقدامتدتعلاقاتمملكةمالي الاسلامية إلىالأندلس، و دليلعلى ذلك مايرويمنأنمنسموساستعانبأحدعلمائهاوهوأبوإسحاقالسهليمنأهلغرناطةفيبناءالقصوروالمساجد،وإليهيرجعا لفضلفيإدخالفنالبناءبالآجرفيغربيالسودان،وبنىمسجدًاعظيمًافيجاووآخرفيتنبكتو، كمابنىقصرمنسموسنف سه.

---

[1] ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، مكتبة صادر ، بيروت ، 1950. ص 45/2

[2] القلقشندي ، المصدر السابق ، 280/5

[3] ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار التراث ،بيروت ،(ب ت) ،ص 34.

المبحث الثاني

الحياة السياسية في سنغاي

(737 ـ 1000هـ/1336 ـ 1591م)

1 ـ سلاطين مملكة سنغاي

2 ـ نظام الحكم والإدارة لمملكة سنغاي

3ـ السياسة الخارجية لمملكة سنغاي

لقد بلغت مملكة غانا ومملكة مالي شأوا عظما، واستطاعتا السطرة على بطاح واسعة من مناطق غرب إفريقيا، (السودان الغربي) و م تبلغ ما بلغته مملكة سنغاي من القوة والسيطرة في خلال القرنين الت عشر والسادس عشر الميلاديين .[1]

ويرجع أصل قبائل السنغاي إلى قبيلة نشأت على ضفاف نهر النيجر الأوسط في الفترة ما بين القرن السابع الميلادي ،حين غزت قبيلة ضيا (DIA) وهي إحدى القبائل البربرية تلك المناطق، وأسسوا أسرة حاكمة هي أسرة ضيا وكان اول ملوكها ضيا العالمين DIA EL ALAMEN)

1 ـ سلاطين مملكة سنغاي

وفي بداية القرن الحادي عشر ،وبالتحديد سنة 1010م اسس الملك (كوزي) اول عاصمة للملكة وهي مدينة "جاو" وتقع شرق الثنية الشمالية لنهر النيجر، وقد اعتنق هذا الملك الإسلام، رغم ان القبائل نفسها لم تعتنق الإسلام وظلت على ديانتها [2].

ولم تستطيع هذه الدولة الناشئة أن تقاوم الحركة التوسعية الكبرى التي تمت في عهد منسى موسى ملك مالي، وظلت على خضوعها حتى بدأ الضعف يظهر على مملكة مالي، وعند ذلك استردت استقلالها وبدأت تعمل على تدعيم سلطتها [3].

وكان من عادة ملوك السودان عند فتح أي إقليم أن يأخذوا أبناء ملك البلاد المفتوحة رهينة عندهم ويضعوهم في بيت الملك يراقبنهم حتى لا يفلتوا ويرجعوا لأوطانهم ويؤسسوا ممالكهم المغتصبة.

---

[1] جوان جوزيف ،الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء ، ت مختار السويفي ،دار الكتب الاسلامية ،ط1 ،1984،ص81

[2] الشيخ الامين عوض الله ،العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الاسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العمي بجدة ، ط 1، 1979 ،ص 66

[3] المرجع نفسه ص 66

وقد حدث أن أخذا علي كولن وسليمان نار كرهائن لدى ملك مالي عند فتح سنغاي عام 736 هـ 1335 م ، ولكنهما استطاعا الهرب في أيام منسى مغان الأول عند ضعف مملكة مالي ،واستطاعا أن يؤسس مملكة سنغاي و يعلنا انفصالهما عن مملكة مالي الإسلامية [1]. والتي بدأت في أفول مستمر نتيجة للصراع على السلطة وتفاقم الخلافات الأسرية بعد وفاة منسى موسى ،وقد زاد الأمر سوءا انفصال سنغاي 1335 م ولم يفلح منسى سليمان في استعادتها ،كما باءت محاولات منسى موسى الثاني الرامية لإعادة سنغاي إلى حظيرة مملكة مالي بالفشل [2].

ففي عام 737 هـ /1335م تولى حكم سنغاي علي كولن الذي أطلق على نفسه لقب (السني) نسبة الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه له وكان علي أول ملك يتخذ لقب "ذا " الذي عرف به ملوك سنغاي منذ أن أسلموا .

ففي سنة806 هـ/ 1400م قام الملك السني مادوجا بغزو مملكة مالي ونهب عاصمتها وضم ما كانت تسيطر عليه من أرض الى مملكته .وبدأت بذلك مملكة السونغاي عصرا من الحروب والغزوات التوسعية في مناطق غرب ووسط السودان .

وفي سنة870 هـ/ 1464م تولى الملك السني علي بر أو "علي الأكبر " كما سمي فيما بعد فكان حاكما مستبدا شديد القسوة على الأخرين ،وكان مولعا بالحياة الحربية فكان من أهدافه الاستلاء على جميع المناطق المحيطة بثنية نهر النيجر بما فيها مدينة "تنبكتو". وقد كانت مدينة تنبكتو تحت سيطرت قبائل الطوارق منذ سنة 1433م وظلت كذلك حتى قام علي الأكبر بتحريرها وضمها إلى مملكة سنغاي سنة 874 هـ / 1468م .[3]

---

[1] الشيخ الامين عوض الله ،المرجع السابق ، ص66

[2] جميلة محمدالتكيتك ،مملكة سنغاي الاسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1493 ـ 1528 ،دار الكتب الوطنية ،ط1 ،1998، ص42

[3] جوان جوزيف ، المرجع السابق ص 83

ويذكر التاريخ قصصا مروعة عن هذا الغزو، حيث قام علي الأكبر بذبح كل سكان المدينة، ولم ينجو من الذبح الطلاب المسلمون الذين كانوا يدرسون العلم في تنبكتو دون أن يكون لهم دخل أو علاقة مع حكام المدينة وسكانها، وبالرغم من أنه كان يدعي الإسلام [1].حتى وصفه السعدي "كان ذا قوة عظيمة وبنية جسيمة ،ظالما فاسقا متعديا ،متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإذلال " [2] . وبعد أن غزا علي الأكبر مدينة تنبكتو ودمرها على هذا النحو المؤسف في تلك الفترة. ،اتجه بنظره إلى منطقة بعيدة في الجنوب الغربي إلى مدينة إفريقية زاهرة وهي مدينة "جيني " والتي تبعد عن تنبكتو بنحو 500 كيلومتر وقد تحصنت المدينة على أيام ملوك غانا في القرن الثالث عشر ،فقد بلغت قدرا من المناعة والقوة لدرجة أن ملوك مملكة مالي حاولوا غزوها تسعا وتسعين مرة فلم ينجحوا ،وكان علي الأكبر على علم ودراية بتاريخ هذه المدينة القوية ،ويعرف قدرها من الناحية الدينية والعلمية خير معرفة ،ومع ذلك فقد اتجه بجيوشه إليها ،محاولا أن ينجح فيما فشل فيه الملوك الأخرون [3].وفي سنة 877هـ/1473 م تمكن من غزو مدينة جيني بعد محاولات عديدة تمثلت في حصارها لمدة سبع سنين وسبعة شهور متصلة إلى أن فتحت المدينة أبوابها واستسلمت في النهاية ودخلها علي الأكبر دخول الفاتحين .إلا أنه لم يمس أهلها بسوء عكس ما فعل بأهل تنبكتو فعقد معهم اتفاقا على الصداقة والتقدير المتبادل .[4]

وبعد الانتهاء من غزو مدينة جيني واصل علي الأكبر غزواته لأراضي القبائل والممالك المجاورة وأخذ يضمها إلى مملكة سنغاي ،وظل يواصل الغزو إلى أن مات في سنة 897هـ/1492م،أثناء

---

[1] جوان جوزيف ،المرجع السابق ص 83. السعدي عبد الرحمان بن عبد الله ،تاريخ السودان ،تح صيفي عثمان ،دار الرشاد ،ط 1، 2010 ،ص ص 80-82

[2] السعدي عبد الرحمان ،المصدر السابق ، 79

[3] جوان جوزيف ، المرجع السابق ،ص 84

[4] المرجع نفسه ص 84

عودته من إحدى غزواته حيث داهمه سيل جارف في الطريق فأهلكه [1]، تاركا وراءه مملكة مستقرة مترامية الأطراف . وتولى العرش ابنه الأكبر أبو بكر داعو ،والذي لم يبقى في الحكم إلا بضعة أشهر ،حتى اغتصب الحكم منه محمد توري أحد قواد سني علي والذي تلقب بأسكيا محمد وبهذا الحكم دخلت مملكة سنغاي طورا جديدا من الحكم وهو أسرة الأسكيا[2].

وبذلك بدأ عهد جديد لأسرة جديدة قدر لها ان تقود هذه الدولة وان تعيد للبلاد وجهها الإسلامي وأن يلقب سلاطينها بلقب "أسكيا "حتى قال عنه عثمان فودي هو الذي أخذ الدولة من سنغاي وخرب مأثر الجاهلية السابقة وبسط العدل في هذه البلاد ودانت له بالطوع والكراهية ويسمونه ملك التكرور العادل [3].

أ ـ أسكيا الحاج محمد الكبير

كان أسكيا محمد الكبير ضابطا بارزا في جيش علي الأكبر وقد لاحظ ضعف أبوبكر داعو نجل علي فقام باغتصاب الحكم منه وهزمه قرب العاصمة جاو،ودخل العاصمة منتصرا وسط جيش كبير، فعكف منذ توليه السلطة على القيام بعدة إصلاحات حتى يثبت جدارته بالحكم .وبدأ عهده بالفتوحات الكثيرة وكان في مقدمتها مملكة الموشي الوثنية ،وهذا بعد استشارة الفقهاء والعلماء فأشاروا عليه أن يطلب من ملوك هذه الدولة الدخول في الإسلام أو دفع الجزية،وإن رفضوا حاربهم

---

[1] السعدي ،المصدر السابق ،ص 82

[2] الشيخ الامين عوض الله ،المرجع السابق ص 68

[3] مسعود عمر محمد علي ،تأثير الشمال الافريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي ، 10/8 الهجريين ،ط1 ،2003، ص 50 نقلا عن عثمان فودي ،اخبار البلاد الحوسية ،مخطوط رقم 77، مركز الوثائق ،نيامي ،الورقة 3.

وخرب أرضهم وسبا نساءهم [1]. ثم قام بعد ذلك بعدة غزوات فضم اير سنة 906 هـ/ 1501 م واستولى على اكدر ،وقضى على سلطانها سنة 921 هـ/ 1515م [2] .

ويمكن القول أن أسكيا محمد الكبير حارب قوات مالي والفولا في الغرب والطوارق والبربر في الشمال، ومملكة موشي في الجنوب وبلاد الهوسا في الشرق وانتصر عليهم جميعا ،حيث امتدت مملكة سنغاي في عهده عبر أراضي مالي إلى حدود التكرور غربا، أما في الشمال الشرقي فقد وضع أسكيا محمد الكبير يده على تغازا وأغاديس البربريتين كما أرغم قبائل الهوسا في الشرق على دفع الجزية بعدما اكتسح بلادهم ودمر قواتهم .فأسس دولة على أسس منظمة مدعمة في جو عمت فيه العدالة والأمن ،فحمى بلاده من الخراب والفوضى وهو خير من لقب بأمير المؤمنين وخليفة بلاد التكرور . [3]

وبعد ذلك اتخذت سنغاي مظهرا إسلاميا شأنها شأن مملك مالي من قبل وتمثل هذا المظهر في خروج سلاطينها إلى الحج في مواكب حافلة ،حيث خرج الأسكيا محمد الكبير إلى مكة لتأدية فريضة الحج سنة 901هـ / 1496م وعهد إلى أخيه عمر كمزاغ بتولي مقالد الحكم في غيابه ومنحه جميع صلاحياته [4].خرج الأسكيا محمد الكبير للحج في أبهة الملك التي لا تقل عن سابقه من دولة مالي منسى موسى ،فمر بمصر والتقى فيها بكثير من العلماء وعلى رأسهم جلال الدين السيوطي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي واستفتاهم عن بعض المسائل الدينية المتعلقة بالحكم ،فأشار عليه المغيلي بأن يطلب العلم من أهل الذكر ،فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي وإن بعدوا . [5]

---

[1] الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ، ص 68

[2] السعدي عبد الرحمان ،المصدر السابق ،ص 101

[3] محمد انور توفيق ،دولة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري 1493 /1591م ،رسالة ماجستير ،معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ،1977،المشرف سعد زغلول عبد ربه ص 56.

[4] جميلة امحمدالتكيتك ، المرجع السابق ،ص58

[5] جميلة امحمدالتكيتك المرجع السابق ص59

فكان هذا حافزا للأسكيا محمد أن يعمل بكل قوة لرعاية العلماء واستقطابهم ودعوتهم من جميع أنحاء العالم ،فكان محبا للعلم و العلماء ومؤمنا صادقا ذا رحمة للفقراء صاحب صلاح وتقوى، حتى وصفه العلماء والمؤرخون بما لم يصف به أحدا من ملوك السودان في التنظيم والعدالة والإصلاح.

وقد وصف السعدي في كتابه تاريخ السودان رحلة الأسكيا محمد وما أخذه معه وما أنفقه فيها فيقول " لقد أخذ ألف وخمسمائة رجالة خمسمائة فارس وألف راجل وأما المال فثلاثمائة ألف قطعة من الذهب فتصدق في الحرمين بمائة ألف ذهبا واشترى جنانا في المدينة المشرفة وحبسها على أهل التكرور وهي معروفة هنالك وأنفق بمائة ألف واشترى السلع وجميع ما يحتاج إليه بمائة ألف " [1]. وأثناء وجوده بالحرمين قام الشريف العباسي بتقليد ومبايعة الأسكيا محمد الكبير بخلافة بلاد التكرور وبهذا الخصوص يقول السعدي " ولقي في تلك الأرض المباركة الشريف العباسي فطلب منه أن يجعله خليفته في أرض سنغاي فرضي له بذلك ... وجعله خليفته، وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده، فكان خليفة صحيحا في الإسلام ". [2] وكان القصد من مباركة تولية الحكم على بلاد التكرور أو سنغاي، هو رفع مكانته وشخصيته وتعزيزها في بلاده بين المسلمين ، وإعطائه الشرعية الدينية التي تمكنه في الاستناد عليها في توسيع رقعة الإسلام في السودان الغربي .

وخلال حكم أسكيا محمد الكبير بلغت قوافل الحجيج السودانية ازدهارا لم تشهده من قبل، وأصبح السودان الغربي مفتوحا للمؤثرات الثقافية من الشمال الإفريقي ومصر . [3]وبعد رحلته هذه إلى الحج سن أسكيا محمد الكبير سنة أصبحت التزاما على من خلفه،حيث أعطى أهل سنغاي للحجاج السودانيين مكانة خاصة في مراسيم البلاط الملكي، فكان يستقبل بنفسه الحجاج العائدين خارج

---

[1] السعدي عبد الرحمان ،المصدر السابق ،ص 88

[2] المصدر نفسه ص 90

[3] جميلة امحمدالتكيتك ، المرجع السابق ص 63

العاصمة "جاو " ولا يدخلون إليها إلا بعد مشاورة الأسكيا واستئذانه ، وبعدها يخرج لملاقاتهم ويقدم لهم الهدايا ويتلقى منهم البركات والدعاء .[1]

وبعد رجوعه من الحج 902 هـ/ 1497م شرع في فتوحات واسعة على حساب الإمارات الوثنية، بدافع نشر الإسلام في هذه البقاع،وخصوصا بعدما توفرت له قوة الجيش والسلاح التي تمكنه من تحقيقه هدفه ، والمتمثل في الدفاع عن الدين والدولة. واستهل أسكيا محمد الكبير حملاته العسكرية بتأمين حدود دولته من تحرشات الأقاليم الوثنية المحيطة بها، كإمارة الموشي وإمارة الهوسا وإمارة البرنو .

ومما لا شك فيه فان الدولة التي أسسها الأسكيا محمد الكبير لم تجبر الجماعات الإفريقية الوثنية على اعتناق الدين الإسلامي قسرا ، فمعظم الشواهد التاريخية تؤيد دخول غالبية هذه الجماعات إلى الإسلام طواعية لما لمسوه من أخلاق كريمة تحلى بها المسلمون الذين شاركوا الوثنيين الوطن الواحد وقتا طويلا في روح من التسامح الديني . ولم تكن الفتوحات بغرض فرض الإسلام وإنما دفاعا عنه وعن معتنقيه، وعن دولته وتثبيتا لمبدأ الإسلام في أن لا إكراه في الدين .[2]

إن حروب الجهاد ضد الوثنيين انطلقت من دائرة النفوذ السياسي للإسلام، وقد مهدت هذه الغلبة السياسية للمسلمين ليلقوا بثقلهم السياسي والاجتماعي نحو تحويل الوثنيين للإسلام وهيأت هذه الغلبة بالحسنى دون إكراه أو قهر.وعليه فقد كان الأسكيا محمد الكبير متحمسا للإسلام إذ أبدى تسامحا نحو الوثنيين من رعاياه ولم يحملهم على الإسلام وتتمثل الخدمة التي أسداها الأسكيا محمد الكبير في المقام الأول في تنمية تنبكتو للعلوم الاسلامية واتخاذ الإسلام دينا رسميا للدولة .

[1] المرجع نفسه ص 63

[2] جميلة امحمدالتكيتك ، ص 77

ويؤكد المغيلي أن الهدف والدافع الذي دفع الأسكيا محمد الكبير لهذه الحروب هو نشر الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الله ومحارب البدع والخرفات والأباطيل في أيامه .[1]

ونتيجة لهذه الفتوحات التي قام بها الأسكيا محمد الكبير قد ضمت لسنغاي أكثر الأقاليم التي كانت تابعة لمملكة مالي الإسلامية،حيث شملت الأراضي الشاسعة التي تقع على شاطئ نهر النيجر في الجزء الممتد من الانحناء إلى قرب المصب تقريبا في أراضي شمال غربي نيجيريا الحالية وشمال دهومي.[2]

ب ـ الإصلاحات التي أقامها الأسكيا محمد الكبير

أنشأ نيابة للملك في تندرم واسندها إلى أحد إخوته وهو عمر كمزاغ لوقوع العاصمة في طرف المملكة حتى تشرف على الأقاليم الأخرى ذلك من أهم الإنجازات التي قام بها .

وقد نظم بلاده تنظيما محكما فأقام نظاما للضرائب يكون الدفع بمقتضاه عينا ليملأ الخزانة العامة، وأنشأ الدواوين العسكرية والسياسية والإدارية وحدد اختصاصاتها تحديدا دقيقا وأقام حكومات إقليمية ونصب القضاة وعين الشرطة [3].

وقام كذلك بتنظيم البلاد على المستوى الإقليمي فألغى بذلك الطريقة القديمة في توكيل رؤساء القبائل مقابل الاحتفاظ بأولادهم كرهائن فقسم المملكة إلى ولايات وعهد بكل ولاية إلى وال وقد اختار الولاة من بين أقربائه وعبيده المخلصين،وبقيت هذه السنة سائدة في تعيين الولاة واختيارهم طيلة أيام خلفائه من الأساكي ومن هذه الولايات :

---

[1] المغيلي ،المصدر السابق ص 34

[2] ينظر: خريطة سنغاي في الملاحق .في أخر البحث.

[3] الشيخ امين عوض الله ، المرجع السابق ص 69

ولاية كورما :وهي ولاية غربي النيجر ،وكان حاكمها يعتبر ممثل الحكومة في مناطق سنغاي الغربية كلها ،ولذلك كانت له صفة الامتياز على كل الحكام في الغرب وربما كانوا يتلقون الأوامر عن طريقه[1]

ولاية بالاما:وتقع على حدود بلاد الموشي في الجنوب الغربي من المملكة .

ولاية دندي : وتقع إلى الجنوب من العاصمة جاو.

ولاية بانجو : وتقع حول بحيرة ديبو ،وكانت هذه الولاية تقع في مدن العلم والتجارة الهامة في سنغاي.

ولاية هاريباندا: وإقليم هذه الولاية يقع على ضفة نهر النيجر اليمني المواجهة للعاصمة جاو .

رئاسة نهر النيجر : وكان يشرف عليها قائد الأسطول وتسمى وظيفته الإدارية كوي .

وبعد أن أكمل الأسكيا محمد الكبير تنظيم المملكة على المستوى الإقليمي ركز جهوده من أجل إيجاد مراقبين ومفتشين حتى يشرفوا على العمل،وقد عهد بهذه المناصب إلى أشخاص أكفاء اختارهم من أقرب مساعديه،كما حدد لكل منهم اختصاصات عمله بدقة ومنها :

مفتشية الضرائب العامة : كان لمفتش الضرائب أعوان منتشرون في جميع أسواق البلاد وعلى الحدود حيث يستقبلون القوافل القادمة للبلاد ويأخذون على كل بضاعة رسوما وكانت وظيفة صاحبها الإدارية تسمى موندي

الإشراف على الشؤون القبلية : وتدعى وظيفة صاحبها الإدارية (كوري فاريما) ومهمته ربط القبيلة بملك الدولة .

---

[1] زبادية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 ـ1591 م ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر ،(ب ط) (ب ت) ص 35.

حاكم عام المدينة : قام الأسكيا محمد الكبير بتعيين حاكم عام لكل مدينة في المملكة ،وتشبه وظيفته وظيفة شيخ البلدية ، لأنه كان يتعامل مع الأهالي والقضاة على حل مشاكل المدينة ومراقبة السوق [1].

أما في مجال القضاء فقد كان الأساكي هم الذين يصدرون المراسيم، وقرارات تعيين القضاة، وعلى الرغم من ذلك فإن القضاة كانت لهم استقلالية كاملة عن السلطة المركزية وموظفيها في إصدار الأحكام والعقوبات ضد المتهمين . وقد أكثر الأسكيا محمد الكبير من تعيين القضاة حيث عين في المدن والقرى الكبرى قضاة عملوا على نشر العدل وإحقاق الحق ، وفي ذلك يقول محمود الكعت "...وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة ... ونصب في تنبكت قاضيا وفي بلدة جني قاضيا وفي كل بلد يستحق قاضي من بلاده قاضيا من كنت الى سبردك ..."[2]

ومن الأمثلة في تعيين القضاة على عهد الأسكيا محمد الكبير تعيينه للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت قاضيا لمدينة تنبكت سنة (904 هـ / 1498م) ويعد هذا الفقيه من أشهر قضاتها، ومكث في هذه الخطة مدة طويلة بمملكة صنغاي في عهد الأساكي [3] .

والجدير بالذكر أن القضاة في مجتمع سنغاي يتمتعون بمكانة سامية حيث اتصفوا بالاستقامة والحظوة الواسعة لدى الأمراء وبين أفراد الشعب .حتى قال عنهم كعت " ليس فيها حكم إلا حكم متولى الشرع ولا سلطان فيها،و القاضي هو السلطان وبيده الحل والربط وحده "[4] .

---

[1] زبادية عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 37

[2] محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 60.

[3] محمد السنوسي العمراوي ، نظام الحكم والإدارة في مملكة صنغي في عهد الأساكي ،أطروحة دكتورة ، المشرف كرم كمال الدين الصاوي ،قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ،2009 ، ص 134

[4] محمود كعت ،المصدر السابق ص 62.

وبهذه الإصلاحات السياسية العامة،استطاع أن ينشأ مملكة قوية في الغرب الإفريقي ،استحق الاحترام والثناء من كل المؤرخين وعلى رأسهم محمود كعت الذي أشاد بهذه المناقب في قوله " وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين ما لا يحصى ولا يوجد له مثيل لا قبله ولا بعده وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل وكان من عقلاء الناس ودهاتهم والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته وأبطل جميع ما عليه (سني علي) من البدع والمناكر والظلم وسفك الدماء وأقام الدين أتم قيام وأطلق كل من ادعى الحرية ... ورد كل مال غصبه شيء إلى أموالهم وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة ". [1]

وتعتبر هذه التعديلات الإدارية والسياسية والتنظيمية التي أدخلها الأسكيا محمد الكبير على مملكة سنغاي تعديلات جوهرية أبعدت كيان المملكة عن سيطرت التنظيم القبلي ، وأعطته صبغة وطنية بحيث ضعفت العصبية القبلية وضعف موقف دعاتها، واتجهت المملكة نحو الانصهار في بوتقة القومية الواحدة وتخطت كل المعوقات التي خلقها النظام القبلي من قبل ،وقد ظلت الأمور على هذا المنوال طيلة حكم الأسكيا محمد الكبير .وبهذا وطد نظام الحكم فيها لدرجة كفلت استقرار والامن لشعوب البلاد.

لكن الفترة الأخيرة من حكم الأسكيا محمد الكبير قد شهدت مظاهر زعزعة أركان المملكة، وبرز الصراع على السلطة،وكان هو السبب المباشر لاعتلال صحة الأسكيا محمد الكبير نتيجة لكبر سنه وضعف بصره .[2]

---

[1] المصدر نفسه ص 23

[2] جميلة امحمدالتكيتك ، المرجع السابق ، ص 91

وفي عام 935هـ / 1528م دخل موسى بن الأسكيا محمد الكبير القصر بالقوة مع جماعة من أنصاره وأجبر أباه على التنازل ، وتم نفيه إلى جزيرة نائية في النيجر وبعد أعوام أعاده ابنه إسماعيل إلى العاصمة جاو حيث عاش بقية حياته وقد كف بصره وقاسى خلالها الألم واليأس وتوفي سنة (945 هـ / 1538م) وعمره حوالي السادسة والتسعين سنة ، بعد ما مكث في السلطنة ستة وثلاثين سنة وستة أشهر على قول السعدي .[1]

2 ـ خلفاء الأسكيا محمد الكبير

ومما يؤسف له أن خلفاء الأسكيا محمد الكبير كانوا دون مستوى المسؤولية ماعدا الأسكيا داؤود الذي اجتهد ان يحافظ على مملكة سنغاي ، فاعتلى العرش ثمانية ملوك (935ـ998هـ / 1528 ـ1591م) وكان جلهم يتصفون بالقسوة والأنانية والفجور .

أ ـ الأسكيا موسى :935ـ 938 هـ/1528 ـ 1531 م

وبصعوده إلى الحكم بدأ النزاع على السلطة، وبدأت الفوضى والمؤامرات واستمرت هذه العوامل تنخر في جسم المملكة حتى أدت بها إلى الخراب .

ومنذ صعود موسى عرف أن اخوته وأعمامه يضمرون له الحقد فعمل على تصفيتهم ،وبهذا العمل قضى كل سنوات حكمه في نزاع مستمر مع أفراد عائلته،ولم يهتم لشؤون مملكته مما أدى في الأخير الى أن يموت مقتولا .[2]

ب ـ الأسكيا محمد الثاني : (938 ـ 944 هـ / 1531 ـ 1537 م)

[1] السعدي عبد الرحمان ، المصدر السابق ص 95

[2] الشيخ الامين عوض الله ، المرجع السابق ص73

كان رجلا عاقلا وقد قام بعدت زيارات لكبار القادة العسكريين في جيشه ، ووصل إلى مختلف أنحاء المملكة بنفسه، وقد نتج عن هذه الرحلات والتي كان يحرص أن تكون في أبهى حلة ،مما يجلب له من الاحترام والتقدير من طرف العامة،ورغم هذا كله لم يشفع له ومات هو الأخر مقتولا.

ج ـ الأسكيا إسماعيل : (**944ـ 946 هـ/ 1537 ـ 1539 م**)

لم تختلف سنوات حكمه عن غيره من السلاطين الذين سبقوه في حكم مملكة سنغاي، إلا أنه جرد حملة كبيرة للقضاء على أحد الأمراء الوثنيين في الجنوب الغربي من المملكة،وقد سبى عدد كبير من الأعداء .

وفي أيامه حدث طاعون قضى على خلق كثير، ومات الأسكيا اسماعيل من جرائه، وبعد موته عاد الجيش سريعا إلى جاو ليختار ملكا يخلفه[1] .

د ـ الأسكيا إسحاق الأول : (**946 ـ956 هـ/ 1539 ـ 1549 م**)

يعتبر أسكيا اسحاق من الملوك البارزين الذين حكموا مملكة سنغاي، وتم اختياره من طرف الجيش، وقام بتصفية الكثير من قادة الجيش، لأنه أدرك خطورة تدخل الجيش في شؤون الحكم . قال عنه السعدي " أما اسحاق فكان اجل من دخل في تلك السلطنة وأعظمهم خوفا وهيبة وقتل من الناس أهل الجند خلقا كثيرا . وكان من سيرته اذا خال من أحد شيئا من التعرض للسلطنة لا بد أن يقتله أو يخرجه من أرضه،هذا دأبه وعاداته "[2].

وفي عام 953 هـ /1546م ساءت العلاقات بينه وبين المغرب عندما طلب منه مولاي أحمد الكبير سلطان مراكش أن يتنازل له عن ملاحات تغازا، والتي تمثل أهم مجالات الدخل لخزينة سنغاي

[1] المرجع نفسه ص 74

[2] السعدي عبد الرحمان ،المصدر السابق ص 109

فاندهش منه اسحاق وأجابه بأن الذي يطلب مثل هذا الطلب من ملك سنغاي لا يمكن أن يكون مثل مولاي أحمد، كما أن الذي يقبل مثل هذا الاقتراح، لا يمكن أن يكون الأسكيا اسحاق .[1]

فأرسل حملة قوامها ألفين من الطوارق الأشداء لغزو درعة غربي سجلماسة، فقامت القوة بمهمتها ثم عادت .[2]

هـ ـ الأسكيا داود : (956 ـ990 هـ / 1549 ـ1582م)

ثم ولى عرش سنغاي أسكيا داود، وهو أخر أولاد الأسكيا محمد الكبير الذين تولوا حكم سنغاي، كما حكم الأسكيا داود ثلاثة وثلاثين عاما ،وكان من أبرز السلاطين وقد اشتهر بحنكته السياسية، وطيلة أيام حكمه لم يتوقف عن الحربسنة واحدة.[3]

قال عنه محمود كعت " ساعدته الدنيا فنال ما شاء من دولة ورئاسة وقد جنى نتائج صراع أبيه وأخيه ، فكانت المملكة كلها خاضعة له ،وكان أهلها سامعين طائعين ، وكان أسكيا داود سلطانا مهيبا فصيحا خليقا لرياسة، كريما جوادا، وهو أول من اتخذ خزائن المال وخزائن الكتب، وكان له نساخ ينسخون له الكتب، وكانت الكتب هوايته المفضلة التي يقدمها للعلماء والعارفين "[4].

وفي نهاية عهده اجتاح الوباء البلاد فهلك ما يقارب ثلث السكان ،وقد مات الأسكيا داود في مكان إقامته في توندبي[5]. بحيث أنه ترك العاصمة جاو لأنها أصبحت خطرا لما فيها من المؤامرات .

و ـ الأسكيا محمد الثالث بن داود: (990 ـ 995 هـ/ 1582 ـ 1586 م)

---

[1] محمد أنور توفيق ، المرجع السابق ص 53

[2]المرجع نفسه ص 54

[3] عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ص 33

[4] محمود كعت ، المصدر السابق ص 96

[5] تقع شمال جاو بحوالي 50 كلم راجع خريطة سنغاي في الملاحق

اتصف عهده بالفوضى وعدم الاستقرار ، ففي أوائل عهده بالحكم أرسل السلطان مولاي أحمد المنصور بعثة مغربية بهدايا نفيسة، وكان هدف البعثة الوقوف على أحوال سنغاي وقوتها ، وكان المنصور يعد العدة لغزو سنغاي،وفعلا بعث جيشا مؤلفا من عشرين ألف محارب فوصل الجيش إلى منطقة ودان، ثم إلى قرب نهر السنغال ولكنها لم تجد في طريقها أي مواجهة تذكر، فضلا عن قفر المنطقة وقلة المؤنة فقرر قوادها العودة الى مراكش . [1] ثم أرسل المنصور حملة ثانية استولت على منطقة تغازة[2] حيث مناجم الملح . فلم يحرك محمد الثالث ساكنا فثار عليه إخوته ونصبوا محمد بان .[3]

ز ـ الأسكيا محمد بان (995 ـ 997 هـ/ 1586 ـ 1588م)

بدأ عهده القصير بعدد من اخوته الذين كان يشك في إخلاصهم له، ولكنه لم يلبث أن مات في السنة التالية لتوليه الحكم بعد أن عم البلاد المزيد من الفوضى والاضطراب [4].

ح ـ الأسكيا اسحاق الثاني (998 ـ 1000 هـ/ 1588 ـ 1591 م)

في بداية حكمه ثارت عليه تنبكتو التي اعترفت بحاكم أخر يدعى سالك ،قد وجد له أنصار في جيش سنغاي، فقض اسحاق سنة كاملة في محاربة هذا الثائر وأتباعه [5].ولما انتهى من ذلك دخل معركة النهاية مع مولاي أحمد المنصور الذهبي الذي كان يطمح إلى مد نفوذه لمنطقة سنغاي، فأرسل له رسالة يطلب منه الاعتراف بسلطة المغرب على سنغاي، اندهش اسحاق من غرابة هذا الطلب

---

[1] السعدي عبد الرحمان ،المصدر السابق ص 120

[2] تغازة : بلد في وسط الصحراء الكبرى ، تقع بين بلاد المغرب وبلاد السودان .اشتهرت بأنها مصدر أساسي للملح ،وهو أهم السلع في غرب إفريقيا، واشتهرت بأن مبانيها مبنية من حجارة الملح . السعدي ، المصدر السابق ص 112

[3] محمد انور توفيق ، المرجع السابق ص 57

[4] السعدي عبد الرحمن ، المصدر السابق ص130

[5] المصدر نفسه ص 139

فرد عليه برسالة أخرى يبدي فيا تمسكه ببلاده .فأرسل حملته المشهورة بقيادة جودار [1] والتي قضت نهائيا على مملكة الأسكيين في سنغاي سنة (1000 هـ/ 1591م) .

3 ـ السياسة الخارجية لمملكة سنغاي :

ارتبطت سنغاي بعلاقات قوية مع بلدان المغرب العربي وسكان واد النيل ووصلت لها جميع البضائع من أوروبا ومن الشرق ومن بلاد المغرب العربي ، لأن الاتصال بهذه البلاد كان مهما ولذا تأثر السكان بحضارة بلاد المغرب العربي وأخذوا الإسلام على المذهب المالكي وتعلموا قواعد اللغة العربية كذلك، وكان في كل مدينة من مدن سنغاي الكبرى مثل تنبكتو وجاو وجني وغيرها من المدن عدد كبير من العلماء والفقهاء والمدرسين والوعاظ والدعاة والتجار وكثر الوافدين من المغرب ومصر وباقي دول العالم الإسلامي .أما من الناحية الرسمية فكانت المراسلات تتم بين الملوك والأمراء عن طريق الوفود والرسائل المكتوبة ، وكان سلاطين سنغاي على اتصال بمختلف المفكرين الكبار في العالم الإسلامي، أمثال جلال الدين السيوطي والشيخ المغلي .[2]

[1] جودار باشا كان شابا اسباني النشأة من أعمال غرناطة وقع في أسر المغاربة وهو صغير وربي في القصر الملكي في مراكش ولم يكن له دراية سابقة على قيادة الجيش ، وكل ما عرف عنه انه امتاز بجباية الخراج وحسن الادارة والتنظيم . السعدي عبد الرحمان ، المصدر السابق ص 143

[2] محمد فاضل وسعيد إبراهيم ، المرجع السابق ص 127

الفصل الرابع

المدارس العلمية والحياة الثقافية

في مملكتي مالي و سلطنة سنغاي

(628 ـ 1000هـ/ 1231 ـ 1591م)

المبحث الأول

رحالات الحج وأثرها الثقافي

المبحث الثاني

رحلة العلماء لبلاد السودان الغربي

المبحث الأول

رحلات الحج وأثرها الثقافي في منطقة السودان الغربي

1 ـ تأثر علماء السودان الغربي بعلوم المشرق

2 ـ انتشار بعض الطرق الصوفية في السودان الغربي عن طريق الحج

قال تعالى " وَأَذِّنفِيالنَّاسِبِالْحَجِّيَأْتُوكَرِجَالًاوَعَلَىٰكُلِّضَامِرٍيَأْتِينَمِنكُلِّفَجٍّعَمِيقٍ (**27)** **لِّيَشْهَدُوامَنَافِعَلَهُمْ**وَيَذْكُرُوااسْمَاللَّهِفِيأَيَّامٍمَّعْلُومَاتٍعَلَىٰمَارَزَقَهُممِّنبَهِيمَةِالْأَنْعَامِ ۖفَكُلُوامِنْهَاوَأَطْعِمُواالْبَائِسَالْفَقِيرَ(**28)**.[1]

قالابنعباس : (**ليشهدوامنافعلهم**) قال : منافعالدنياوالآخرة؛ أمامنافعالآخرةفرضواناالله،وأمامنافعالدنيافمايصيبونمنمنافعالبدنوالربحوالتجارات . وكذاقالمجاهد،وغيرواحد.

وانطلاقا من هذه الآية الكريمة التي توضح المنافع العامة للحج فقد فهمها أهل السودان الغربي وخصوصا أهل مالي وسنغاي الذين اتخذوا من هذه الرحلة المباركة وسيلة لكي يتعرفوا على العالم عموما وعلى بلاد المسلمين خصوصا .

لقدهيأالاسلامالمناطقالافريقيةالتيدخلهالاسيمابلادالسودانالغربيأنتتصلبالحضارةالعربيةالاسلاميةفيوقتمبكر ،فقدأحدثالدينالجديدنشاطااقتصادياعظيمافأتاحللمناطقالمختلفةصلاتالتزاوجوالجوار،وحملاللغةالعربيةعلىالانتشارفيأوسعنطاقحتىأصبحتوسيلةلحفظالتراثالافريقي،وكماحملالدعاةالعربإلىافريقياالإسلامحملواعاداتوتقاليدحسنةفيالسلوكوالمعاملة،واختلطوامعالسكانالمحليينفيمدنهموقراهمواستقروابينهموتزاوجوامعهموبثوافيهمالحضارةالعربيةالاسلاميةأينستطيعأننقولبأنهمحملواثقافةمجتمعجديدالىافريقيا .[2]

وتاريخ أداء الحج من الشمال الافريقي والصحراء وبلاد السودان يرجع الى المرحلة الأولى من انتشار الإسلام في هذه المناطق ، وبغض النظر عن كونه ركنا أساسيا من أركان الإسلام فإن الحج هو مناسبة اجتماعية ومظاهرة ثقافية وسوق اقتصادية ،وعنصر مهم في حركة الناس وتنقلهم ففيه تشهد الأماكن المقدسة في الحجاز تجمع حشود ضخمة من أجناس متعددة ويكون فرصة لإظهار وحدتهم

---

[1] الآية 28 سورة الحج

[2] مسعود عمر محمد علي ، تأثير الشمال الافريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين ،جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، طرابلس ، ط1 ، 2003، ص 152.

ومناقشة أمورهم ونهل بعضهم من علوم البعض الأخر وتعلم المهارات التي تمدهم بأسباب البناء وعوامل الارتقاء والتطور بمجتمعاتهم المحلية . وتتحدث المصادر التاريخية إلى أنه ومنذ تغلغل الإسلام في السودان الغربي حرص سلاطين الدويلات الإسلامية على تنظيم قوافل الحج السنوية إلى الاراضي المقدسة ، والتي أصبحت وسيلة من وسائل نشر العقيدة الإسلامية والثقافة العربية في بلاد السودان الغربي [1].

ومعروف أن رحلات الحج أدت دوراكبيرا في استمرارية التواصل الثقافي بين بلاد المشرق الإسلامي وبلاد السودان الغربي ،ولقد ظلت قوافل الحج قنوات اتصال تنساب عبرها السلع والافكار . ولقدكان حجيج السودان الغربي المتجهون شرقا وشوقا يشعرون بأهمية اطلاعهم على كل ما يجري في تلك البقاع من أحداث وما يدرس فيها من علوم، إضافة إلى الاطلاع على ما احتوته تلك الربوع من أثار للصحابة الكرام والعلماء ، وبالتالي اقترنت رحلات الحج باكتساب ثقافة الغير فكان الحجاج يعودون وقد أدوا فرضهم الديني ، ونهلوا من صنوف العلم المختلفة ، وتلقوا اجازات وتحصلوا على ما لم يطلعوا عليه من قبل من تأليف علمية في مختلف المجالات ، وبالتالي فهم يطبقون الآية الكريمة في قوله تعالى" **ليشهدوا منافع لهم** "[2].

وخلال رحلة الحج الطويلة والشاقة التي يقطعها الحاج حتى يصل الى الأراضي المقدسة ، يجد الحاج الافريقي نفسه ينتقل بين أرجاء وطن إسلامي واحد كبير لا تفصله حواجز ولا توقفه حدود ، بل يجد حسن المعاملة وكرم الضيافة خلال المناطق التي يمر بها ،وفي الحج وهو ضمن هذا العدد الهائل من الحجيج يشعر أنه جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع الاسلامي الكبير ولا يجد تمييزا بين اللون أو الغنى أو

---

[1] مطير سعد غيث احمد ، المرجع السابق ، ص 165

[2] الآية 69 سورة الحج

الفقر وهكذا يجد الحاج الافريقي نفسه سواء كان تاجرا أو فقيها أو طالبا للعلم أو ملكا أو وجيها أو رجلا عاديا ، في الاحتياجات الروحية التي يطلبها ، وفرصة للاتصال بالمراكز الحضارية المتطورة[1] .

ويمكن القول ان الحج كان أهم الروابط التي ربطت شعوب افريقيا عموما وشعوب السودان الغربي خصوصا بالعالم الاسلامي ، على حد تعبير فيليب حتي "لا يزال الحج على مر العصور نظاما لا يباري في تشييد عرا التفاهم الاسلامي والتأليف بين مختلف طبقات المسلمين وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة على الأقل في حياته وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعا أخويا وبفضل هذا النظام يتيسر لزنوج والبربر والصينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم أغنياء كانوا أم فقراء عظماء أو صعاليك أن يتآلفوا لغة وإيمانا وعقيدة "[2].

1 ـ تأثر علماء السودان الغربي بعلوم المشرق

ولقد كانت قوافل الحج وسيلة من وسائل انتشار الثقافة الاسلامية ومن أمثلة ذلك رحلة الأسكيا محمد الكبير إلى الحج (902 هـ/ 1496م) ومن قبله منسى موسى زعيم مملكة مالي ، الذي أدى هو الأخر فريضة الحج (725هـ / 1324م) كما سبق الحديث عنهما في الفصل الثاني[3] ،فقد اتخذت هذه الرحلة مظهرا ثقافيا وكان لها عميق الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية وخصوصا عند اصطحابه لمجموعة من علماء سنغاي الذين أدّوا بعد عودتهم دورا بارزا في ترسيخ قيم ومفاهيم العقيدة الإسلامية ،كما أن الأسكيا نفسه استفاد من هذه الرحلة بحيث أنه تم الاتصال بعدد كبير من العلماء والفقهاء في مصر والحجاز لفهم جوانب عديدة عن مفاهيم الاسلام ،ونذكر منهم جلال الدين السيوطي والذي أخذ منه العقائد وتعلم منه الحلال والحرام ،وسمع جملا من آدابه

---

[1] مسعود عمر محمد علي ، المرجع السابق ، ص153

[2] مسعود عمر محمد علي ، المرجع السابق ، نقلا عن فليب حتي ، تاريخ العرب ،بيروت ،ط1974،1،ص 192

[3] راجع الفصل الثاني من هذا البحث

الشريفة وأحكامه وانتفع بعلمه ،كما أجابه عن كثير من الاسئلة بل ألف له كتاب **"الأحاديث المنيفة في فضل السلطنة الشريفة "** فذكر له من الأحاديث ما يبين له فضل السلطان والإمام العادل ، وأجر ومثوبة من يحمل الناس على إقامة الشرع وما له من فضل عظيم عند الله [1] .وقد انعكس ذلك بصورة واضحة في جملة الإصلاحات التي طبقها في دولته عقب عودته من رحلة الحج.

كذلك كان لرحلة الحج صورة طيبة لدى صاحبها وخصوصا عند عودته من البقاع المقدسة حيث يجلب أول صفة له وهي لقب (الحاج) فهذا اللقب يزيده هالة وجاه، فقد كان التاجر الذي يريد أن يكسب ثقة الناس يكثر من الحج ، والرجل العادي الذي يريد رفع مكانته في المجتمع يقوم بأداء فريضة الحج ، حيث كان الناس يكرمون الحجاج أعظم اكرام ويستقبلهم الملوك والسلاطين ورؤساء القبائل العامة عند عودتهم ويقومون بتوديعهم عند سفرهم للحج ويتبركون بهم .[2]

فمن المظاهر التي تؤكد تأثر بلاد السودان الغربي بالأنماط العربية الإسلامية خروجهم في مواكب ضخمة لأداء فريضة الحج الى الأراضي المقدسة وكانت هذه الموكب تسلك طرق عديدة من أهمها طريق مصر .

ويبدوا أن تفضيل شعوب السودان الغربي لمصر كطريق للحج راجع إلى الازدهار الثقافي والحضاري لمصر ، وقد كانت قوفل الحج تمر بمصر وتقيم به لفترة من الزمن انتظارا لموسم الحج وتنتهز تلك الفرصة للمتاجرة بأسواق مصر المزدهرة وللنهل من معين الثقافة العربية والاسلامية ومن هناك كانت الاتصالات مدعاة لتعميق أواصر الأخوة الإسلامية والعلاقات المختلفة بين مصر وأهالي تلك المنطقة. والواقع أن الحج ظل يمثل أقوى الروابط بين الشعوب الإسلامية، وفرصة للالتقاء والتبادل

---

[1] ابراهيم علي يوسف ،الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي ، القاهرة 2006 (ب ط) ص 179

[2] محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 120

الفكري والثقافي والتجاري ، وفرصة للاحتكاك المباشر بين المسلمين ، والتعرف على أحوالهم المختلفة[1] .

ولقد صار من العادات في بلاد السودان الغربي أن الداخل في الاسلام حديثا يعمل قدر جهدهحتى يؤدي فريضة الحج ليضفي على نفسه شيئا من الهيبة والدرجة العالية بين قومه ، وكان أغلب أولئك الحجاج يتأخرون في رحلة الحج ولا يعودون إلا بعد قضاء مدة طويلة يقضون بعضا منها في مجاورة الحرمين حيث يتلقون فيها تعليم الدين الحنيف في حلقات العلماء ويتلقون نظام الدعوة الى هذا الدين .

وقد وجد من بين علماء الحرمين من كان لهم أثر كبير وفضل عظيم في نشر الدعوة والثقافة في بلاد السودان الغربي ، دون أن يرتحلوا الى تلك البلاد فهؤلاء العلماء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الدين وذلك بتعليم الوافدين إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج فيلقنونهم مبادئ الدعوة وبعضا من علوم الفقه وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومباحث في التوحيد والتفسير[2] .

فإذا صاروا قادرين على حمل الرسالة وتبليغها للناس أجازوهم ودعوا لهم بالتوفيق في نشر الإسلام في بلادهم فهم أقدر الناس على إقناع بني جلدتهم ومقارعتهم بالحجة . لذا عرف منذ القديم نظام المجاورة للحرمين الشرفين ، وعرف حجاج غرب افريقيا (بلاد السودان الغربي) بهذا اللقب فيقال هذا حاج الى بيت الله الحرام وهذا حاج مجاور، أي جاور البيت أو جاور قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم و درس في الحلقات العلمية في الأماكن المقدسة .

[1] مسعود عمر محمد علي ، تأثير الشمال الافريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، جمعية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، 2003، ب ط ، ص155.

[2]مسعود عمر محمد علي ، المرجع السابق ، ص 156.

لهذا فان أهل السودان الغربي يكرمون الحجاج أعظم تكريم ويستقبلهم الملوك والسلاطين ورؤساء القبائل بالتبشير والترحاب ويتبرك بهم العامة ، بل ان ملك مالي منسا موسى كان يقيم احتفالا دينيا كبيرا كل عام لاستقبال الحجاج العائدين من بيت الله الحرام وكان يقبل رؤوسهم وجباههم ويقول إنها الجباه التي سجدت على أديم بيت الله الحرام[1].

وتتحدث المصادر التاريخية عن مواكب الحج الى الأراضي المقدسة ، وأشارت الى أنه ومنذ تغلغل الإسلام في السودان الغربي حرص سلاطين المماليك الاسلامية في السودان الغربي على تنظيم قوافل الحج السنوية الى الأراضي المقدسة[2] .

ولا شك أن رحلات الحج هذه كانت بالغة الأثر في نفوس أهالي المنطقة وكانت فرصة للالتقاء مع إخوانهم المسلمين في الأمصار المختلفة وبهذا تتأكد روح الأخوة التي يوجبها الاسلام .يذكر القلقشندي " إن ملوك مالي ورعاياهم متمسكون بالإسلام محافظون على أداء فريضة الحج الى الأراضي المقدسة "[3].

وقد كان أداء فريضة الحج بالنسبة لأهالي السودان الغربي مدعاة للاعتزاز والمفخرة وقد كان الفرد منهم يلقب عقب عودته من أداء هذه الفريضة الدينية بالحاج وقد يكسبه هذا اللقب إجلالا واحتراما، وقد عرف هذا النمط موكب الحج منذ بداية دخول الاسلام الى المنطقة إلا أن هذه المواكب ظهرت بوضوح أثناء موكب السلطان منسا موسى (724 هـ/ 1324م) الذي ضم من الحاشية الملكية والمواطنين أكثر من عشرة الاف شخص[4].

---

[1] محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 120

[2] المصدر نفسه ص 122.

[3] القلقشندي ،المصدر السابق ، 300/5

[4] أنظر تفاصيل هده الرحلة في الفصل الثاني من هذا البحث

كما كان لهذه الحجة أثار عظيمة على بلاد السودان الغربي فقد تعرف العالم الاسلامي على هذه المناطق ،وزاد الاتصال الحضاري العلمي والثقافي بين المنطقة وبقية العالم الاسلامي وارتحل كثير من العلماء الى بلاد السودان الغربي فاستقروا بها مثل الشاعر المهندس أبو إسحاق الساحلي الغرناطي الذي جاء رفقة منسا موسى من مكة ومات في تنبكت[1] .كما اصطحب معه عبد الرحمان التميمي والمهندس الليبي عبد الله الكومي الموحدي الغدامسي أثناء عودته من الحج في طريقه عبر الأراضي الليبية ، الذي كان له دور كبير في هندسة كثير من العمارة في السودان الغربي [2]. ومن أثار هذه الحجة التبادل التجاري بين مملكة مالي والشمال الافريقي حيث أن التجار قد بدؤوا يتوافدون على السودان الغربي ،وهذا بعد زيارة منسا موسى إلى البقاء المقدسة وما لاحظوا بما حمل معه من الذهب وتفريقه في مصر والحجاز ،ثم كان موكب أخر لا يقل أهمية وهو موكب أسكيا محمد الكبير .

لقد اكتسبت رحالات الحج للعلماء والعامة طابعا دينيا من خلال أدائهم لمناسك الحج والعمرة وحضور جلسات الذكر ، كما اكتسب طابعا ثقافيا من خلال اتصالهم بالعلماء والفقهاء والجلوس في مجالسهم العلمية للنهل من فيض علومهم وكثيرا ما كان هذا الاتصال يؤدي إلى حصول هؤلاء العلماء على إجازات علمية [3] من معاصرهم في الأماكن المقدسة والحصول عل ى مؤلفات جديدة يعودون بها إلى بلادهم ومن هؤلاء العلماء الذين رافقوا الأسكيا محمد الكبير في رحلته إلى الحج الفقيه المؤرخ محمود كعت صاحب كتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ،والشيخ محمد تل والفقيه صالح جور وكاغ زكريا ومحمد تننك والقاضي محمود بغبغ والشيخ مور محمد هوكار ،

[1]ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 698

[2] مسعود عمر محمد ، المرجع السابق ، ص 158

[3] سنذكر بعض الامثلة عنم الاجازات في ملاحق هذا البحث

وكذلك من العلماء المرموقين الذين رحلوا برسم الحج الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي سار إلى الحج صحبة تلميذه الفقيه عمر الشيخ ابن أحمد البكاي.[1]

كما كانت للفقيه محمود بن عمر أقيت رحلة إلى الحج سنة 915 هـ /1509م وكذلك الفقيه العاقب الأنصمني ، الذي وصل إلى الأراضي المقدسة لغرض الحج ، إلا أنه تمكن خلال رحلته من الاستفادة علميا من خلال مخالطته للعديد من العلماء والفقهاء وكذلك محمد بن أحمد التازختي الذي ما إن حج حتى اجتهد في طلب العلم وتحصيله وأصبح من العلماء .وأحمد بن أحمد بن عمر أقيت وقد وصل إلى الأراضي المقدسة للحج عام 956 هـ / 1550 م وتحصل هو الأخر على الكثير من العلوم .من خلال مخالطته للعديد من علمائها ومنهم أبو المكارم محمد البكري الصديقي ، الذي لازمه وتبرك به وقيد عنه فوائد كثيرة ، والفقيه العاقب بن محمود أقيت الذي وصل إلى الأرضي المقدسة لأداء فريضة الحج وللجلوس في مجالسه العلمية [2].

وكذلك أبوبكر بن أحم بن عمر أقيت ، الذي سار في رحلة الحج ثم عاد إلى تنبكت ثم قرر نقل عياله والرحيل نهائيا الى الأراضي المقدسة وكان خيرا تقيا ورعا زاهدا وقد أفاد بعلمه الكثيرين ، وقض بقية حياته مجاورا في المدينة المنورة ثم دفن في بقيعها سنة 991 هـ/1583 م.

ومنهم الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ وأخوه أحمد ن وقد رحلا الى الحج ولقوا هناك الناصر اللقانيوالتجوري والشريف يوسف والإمام محمد البكري وغيرهم وجلسا في مجالسهم العلمية وتأثر بثقافتهم العالية في الكثير من صنوف العلوم [3].

---

[1] مطير سعد غيث أحمد ، المرجع السابق ، ص 167

[2] المرجع نفسه ، ص168

[3] مطير سعد غيث أحمد ، المرجع السابق ، 170

نلاحظ أن معظم هؤلاء العلماء من عائلة أقيت التي ينتسب إليها الشيخ أحمد بابا ، ومن هنا تتضح الجهود التي بذلها هؤلاء لخدمة الثقافة والحضارة الإسلامية ، كما يتضح كذلك قيمة هذه الرحالات المقدسة والتي جاؤوا منها بحصيلة علمية مكنتهم من التأليف والنشر فأسهموا في الحركة الفكرية في العالم الاسلامي ،ورفعوا من مستوى شعوبهم الثقافي .

2 ـ انتشار بعض الطرق الصوفية في السودان الغربي عن طريق الحج.

كما كان للحج دور أخر تمثل في وصول بعض الطرق الصوفية إلى بلاد السودان الغربي ونذكر منها الطريقة القادرية والطريقة[1]العروسية[2] وغيرها من الطرق الصوفية المتعددة .

أما الطريقة القادرية فوصلت إلى بلاد السودان الغربي على يد أبو مدين بن شعيب بن الحسن الأندلسي المتوفى عام (594هـ /1197م[3]) الذي تعرف على الشيخ عبد القادر الجيلاني بجبل عرفة في موسم الحج قبل عام 561هـ فقرأ عليه في الحرم الكثير من الأحاديث وألبسه الخرقة وأودعه الكثير من الأسرار وكذلك الكثير من الأوراد .ودحلت الطريقة القادرية إلى منطقة السودان الغربي في القرن

[1] الطريقة القادرية تنسب الى عبد القادر الجيلاني الذي عاش في الفترة (471 /561هـ) وهو عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني ، ويكنى بأبي صالح وقد ولد في مدينة جيلان في طبرستان ثم سكن بغداد عام 488هـ وتتلمذ بها على كبار الشيوخ ، واتصل بعلماء الفقه والتصوف وقد اشتهر أمره وصار من علماء بغداد الكبار واشتهر بورعه وتقواه وقد توفي ببغداد .وقد انتشرت طريقته في بقاع كثيرة من العالم الاسلامي ومنها منطقة بلاد السودان الغربي . أنظر ابراهيم علي يوسف الشامي ،المرجع السابق ، ص 209

[2]العروسية : نسبة الى الشيخ أحمد بن عروس دفين تونس عام 868 هـ ، وهي طريقة سلافية سنية ترتبط بالطريقتين القادرية والشاذلية وهي من الطرق التي انتشرت ببلاد السودان الغربي ، وقد زاد من تدعيم هذه الطريقة وذيوع صيتها تبني الشيخ عبد السلام الأسمر لها ، وانتمائه وانتماء أولاده لها من بعده .أنظر : مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 173

[3] هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي اتصف بالعلم والزهد والورع ولد بالأندلس ورحل الى الحج وانتقل لطلب العلم في العديد من البلدان وسكن بجاية وكثر عليه الأتباع وتوفي بتلمسان عام 594 هـ .

التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي على يد مهاجرين من توات هاجروا الى ولاته وبعد فترة انتقلوا إلى تنبكت التي عرفت فيما بعد بأنها مألف الزاهدين والعباد[1].

اهتمت الطريقة القادرية بالحج ، حيث وجدت فيه وسيلة لتجديد شبابها عن طريق أخذ أوراد الطريقة القادرية ، ويتصل هذا الورد مباشرة بمؤسس الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني .

كما انتمى كلا من الحاج سكاف والحاج العالم أبو روين الى الطريقة القادرية بعد ما سافر الى الحج ولقي مجموعة من شيوخ الطريقة القادرية ورجع الى سنغاي وقام بنشر هذه الطريقة الى ان توفي عام 940هـ /1533م[2] .

ونتج عن ذلك اقبال أتباع الطريقة القادرية على الحج وعدم الاكتراث بما يلاقيهم من مصاعب وخاصة مع انتشار الزوايا القادرية عبر الكثير من محطات الحج ، مثل توات التي وجدت بها زاوية الوالي الصالح سيدي أحمد الرقادي ، وكان يمثل الحج لهم فرصة اللقاء بين أتباع الطريقة القادرية المنتشرين عبر العالم ، مما يزيد في تقوية العلاقات ويزيد في الارتباط بين أتباع الطريقة .

لم يقتصر حجاج السودان الغربي على الطريقة القادرية فحسب بل انتموا أيضا الى الطريقة العروسية كطريقة صوفية جديدة فعندما حج أحمد بن أحمد أقيت التنبكتي 956هـ / 1549م تتلمذ على الشيخ عبد السلام بن سليم الفيتوري الشهير بالأسمر ،(كما سبق الحديث عنه) وأحذ عنه الطريقة العروسية .[3]

---

[1] السعدي المصدر السابق ص 54

[2] ابراهيم علي يوسف الشامي ،المرجع السابق ، ص210

[3] المرجع نفسه، ص 212

وانتشرت هذه الطريقة الصوفية في دولة صنغاي بين كثير من العلماء وعامة حجاج بلاد السودان الغربي ، مما دعا العاقب بن محمود بن عمر أقيت التنبكتي أن يلتقي بالشيخ الأسمر أثناء رحلته الى الحج ، وأخذ عنه بعض الأوراد وعاد من الحج وأصبح واحدا من أتباع ودعاة الى الطريقة العروسية .[1]

وبهذا يمكن القول أن الحج ساعد على وصول الطريقة القادرية وكذا الطريقة العروسية الى بلاد السودان الغربي ، مما دفع بالكثير من العلماء والطلاب الى السفر الى المشاعر المقدسة بغرض الحج وطلب العلم والانتماء الى احدى هاتين الطريقتين.

كما قام الحج بالدور الأكبر من أجل تنقية العقيدة الاسلامية مما أصابها في بعض الفترات من البدع والمنكرات ، وذلك من خلال قيامهم بأعمال الحج واتصالهم بحجاج المشرق الاسلامي واطلاعهم على الدين الاسلامي في صورته الأكثر نقاءا في بلاد الحجاز الخالية من البدع والمنكرات فعمل هؤلاء الحجاج على تنقية الدين الاسلامي عند عودتهم من البدع والعادات الوثنية بين أفراد مجتمعهم حتى أن بعض السلاطين ظل على ما هو عليه من هذه العادات ولم تصحح له الا بالحج أو أثناء الحج وهو ما يبرز دور الحج كأهم عامل من عوامل الاصلاح في هذه المنطقة[2] .

كما شهدت الحالة العلمية والثقافية في دولتي مالي وصنغاي حالة من الازدهار الثقافي والعلمي، تمثلت في انتشار كثير من المدارس التي تدرس العلم في تنبكت وفي غيرها من المدن وأفرزت هذه الحالة العلمية المتقدمة عدد من العلماء الذين قاموا بالحج الى مكة، وقاموا بطلب العلم في محطات الحج العلمية ،حيث ارتبط الحج عند هؤلاء العلماء بطلب العلم ،وهو ما يبين أثر الحج الثقافي الممتد

---

[1] ابراهيم علي يوسف الشامي، المرجع السابق ، ص 213

[2] المرجع نفسه ، ص 266 .

خلال هذه الفترة (حكم مالي وصنغاي) الذي امتاز بكثرة عدد العلماء الذين قاموا بالحج وطلب العلم ، من أجل نقل علوم القران والحديث والسند ، حيث شكل هؤلاء العلماء جسورا من التواصل العلمي بين المشرق العربي الاسلامي ومنطقة السودان الغربي وزودوا المنطقة بأهم العلوم المشرق الاسلامي[1] .

ونتج عن قيام كثير من علماء دولتي مالي وصنغاي بالحج وطلبهم للعلم ،وتزودهم بالثقافة العالية من بلاد الحرمين ، ارتفعت مكانتهم الاجتماعية والعلمية في مجتمع دولة مالي وكذلك صنغاي، حيث ولوا مناصب القضاء من قبل الحكام والسلاطين وبالإضافة إلى أن كثير منهم آثر السلامة معرضا عن الدنيا وزخارفها وعن أي تقصير قد يبدو منه . واتسم البعض الأخر من القضاة الحجاج بأنهم لا يخافون في الله لومة لائم فلم يخضعوا لحكم حاكم فكان شغلهم الشاغل إقامة الشرع ودرء المفاسد.

[1] ابراهيم علي يوسف الشامي المرجع السابق ص 267.

المبحث الثاني

رحلة العلماء الى بلاد السودان الغربي

1ـ من بلاد المغرب

2ـ من مصر

لقد شكلت رحلة الكثير من العلماء المسلمين إلى منطقة السودان الغربي دورا بارزا في إثراء ثقافة المنطقة ، وكانت منطقة الشمال الافريقي ومصر والحجاز مصدر لهذه الرحلات.

رحلة علماء بلاد المغرب إلى السودان الغربي : من المعروف أّن معظم الاتصالات الثقافية ما بين بلاد الشمال الافريقي وبلاد السودان الغربي كانت تمر عبر المغرب التي يقصد بها كل من المغرب الاقصى والجزائر وتونس ، وقد كان لهذه البلاد دور متميز نتيجة لموقعها الاستراتيجي الهام كملتقى لعدة تيارات حضارية مثل التيار الحضاري الوافد من المشرق الاسلامي والتيار الوافد عبر البحر المتوسط والتيار الاندلسي بالإضافة الى المؤثرات الافريقية . وتبلورت هذه التيارات جميعا في النهضة الكبرى التي شهدتها بلاد المغرب منذ بواكير تدفق الحضارة الإسلامية إلى ربوعها في القرن الأول الهجري /السابع الميلادي .

واجلدير بالذكر أن الصلات الثقافية بين المغرب وبلاد السودان الغربي كانت ضاربة الجذور ، بحيث أن المؤثرات الثقافية على بلاد السودان الغربي كانت بالدرجة الأولى مغربية السمات ، فالمدارس كادت تكون مغربية بحتة ، فالدارس هناك يحس وكأنه درس في فاس أو مراكش أو القيروان أو تلمسان ، ذلك لأن تلك المؤسسات التعليمية في المنطقة كانت تنتهج أسلوب التعليم المغربي ، وهذا أمر منطقي مادام الإسلام والثقافة الإسلامية قد تدفق في معظمه إلى هذه الربوع عبر بلاد المغرب ، منذ بدية الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي ، وبهذا وصفت الثقافة في غرب إفريقيا عموما وفي بلاد السودان الغربي خصوصا بأنها ثقافة مغربية في أرض سودانية[1] .

كما أن تأثر بلاد السودان الغربي بالنمط الثقافي المغربي ، قد ساهم في خلق جيل من كبار العلماء السودانيين الذين لا يقلون شهرة أو مقدرة علمية عن إخوانهم المغاربة ، الأمر الذي يؤكده انتاجهم

[1]مطير سعد غيث أحمد ، المرجع اسابق ، ص 118.

العلمي الذي تعرضت له كتب التاريخ والتراجم والطبقات . ولعل من أبرز رحالات العلماء والتي ساهمت بشكل كبير في ثقافة بلاد السودان الغربي وتركت لنا ثراء ثقافيا مميزا هي رحلة العالم الجليل والامام المجدد محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (831 ـ 909هـ/ 1427 ـ 1503م) ، الذي ينتسب الى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان وكان من المثقفين وأولي الفكر في عصره وصفه أحمد بابا بأنه " خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن لهم بسطة في الفهم والتقدم" [1]. تلقى علومه الأولى بتلمسان حيث حفظ القرآن على يد السيد أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب كما أخذا عنه أمهات الكتب الفقهية كالرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب ، كما تتلمذا على يد يحي بن بدر وتربى على يد أبي العباس الوغليسي[2]. وعند سقوط غرناطة بالأندلس (897هـ/1492م) ونتيجة لاضطهاد محاكم التفتيش الإسبانية حدثت هجرات جماعية من المسلمين واليهود إلى المغرب ، ولكن اصطحب اليهود معهم جشعهم وحبهم للمال وعملوا بالتجارة وضرب النقود واحتكار السلع . وفي هذه الظروف توجه الفقيهّ إلى توات معبرا عن قلقه على ما أصاب الأمة الإسلامية وشريعتها .كما استنكر سيطرت اليهود لاقتصاد البلد فدعا لمحاربتهم ثم هاجر الى السودان الغربي (897هـ /1492م) منطقة جاو عاصمة صنغي وهناك اتصل به الاسكيا محمد الكبير وقربه إليه كمستشار وفقيه له [3]. وتجدر الإشارة إلى أن المغيلي قد طلب من الأسكيا محمد الكبير بالقبض على أفراد الجالية التواتية في سنغاي لتورطهم في مقتل ابنه أثناء غيابه في رحلته إلى بلاد السودان وجاءت هذه الجريمة النكراء تحريضا من

---

[1] جميلة امحمدالتكيتك ، المرجع السابق ، ص 184 نقلا: عن أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الدباج ،ص 576

[2] مبروكمقدم،الامامحمدبنعبدالكريمالمغيليالتلمسانيودورهفيتأسيسالإمارةالإسلاميةفيإفريقياخلالالقرنالتاسعالهجريالخامسالعاشرالميلادي،دارالغربللنشروالتوزيعوهرانالجزائر،ط1 2006،ص27

[3] جميلة امحمد التكي السابق ، ص 184.

يهود توات الذين أرادوا الانتقام من المغيلي نتيجة تحامله عليهم وتحريضه على هدم بيعهم وكذلك لسيطرتهم عل الاقتصاد فرفض الأسكيا لطلبه فغضب منه ورجع إلى توات حتى توفي بها[1].

وكذلك العالم الشهير عبد القادر بن يوسف الفاسي (1007 ـ 1091 هـ/ 1598 ـ1680م) الذي اشتهر بعلمه الغزير وذلك لأنه سليل أسرة أل يوسف الفاسية الشهيرة بنبوغها العلمي ولقد كان مدرسا بارعا حتى أنه أجاز أحد تلاميذه بالسودان الغربي وهذا نص الإجازة " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير خلق الله أجمعين . والرضا عن أله وأصحابه أجمعين . وبعد، فيقول العبد المشفق من سوء كسبه المستغفر من ذنبه عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه : إن الفقيه المشارك الاديب الفاضل العلامة الألمعي الفهامة السري الشريف الحسني، السيد أبا بكر بن محمد بن محمد الشهير بئات التنبكتي الدار أدام الله توفيقه، وهيأ لما يرضيه طريقه ، قد سألني أن أجيزه في الكتب الحديثة، مثل الصحيحين وغيرهما فيما ذكر بحسب أخذنا ذلك عن مشائخنا بأسانيدها المذكورة في تراجمهم واجازاتهم بالقراءة لبعضها، والاجازة في الجميع ولا بأس يذكر شيء من ذلك للتبرك به أما صحيح البخاري فعن شيخنا الامام العارف العالم الرباني وأما صحيح مسلم فعن شيخنا الامام أبي زيد وقد أجزت ذلك وجميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع ومجاز ما يجوز من ذلك صح عني أو سمعه مني ونسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق وأن يوردنا موارد أهل الصدق "[2].

---

[1] المرجع نفسه ص186

[2] مطير سعد غيث أحمد ، المرجع السابق ، ص 121 نقلا عن وثيقة من مركز أحمد بابا التنبكتي للتوثيق والبحوث التاريخية تنبكت مالي رقم 147، ورقة 1 ـ 2

لقد أسهمت هذه الرحالات للعلماء المغاربة في استقرار عدد كبير منهم من أهل العلم والفقه والقراءة ، الذين أصبحوا منتشرين في السودان الغربي، وخصوصا دولة مالي لما أسلم ملكها وجد بها الكثير من الدعاة والفقهاء المغاربة . كما انتشر الإسلام في مملكة جني بفضل جهود المغاربة وكان بها عدد كبير من الفقهاء " حوالي أربعة ألاف ومائتين "ورغم أن هذا العدد مبالغ فيه إلا أنه لم يكن جميع أهل جني قد أسلموا بعد لكنهم أسلموا في نهاية القرن السادس الهجري ، الذي شهد مجيء عدد كبير من الفقهاء والعلماء وخاصة المغاربة منهم[1].

وقد استمر تدفق علماء المغرب إلى بلاد السودان الغربي زمن دولة مالي الإسلامية بفضل تشجيع سلاطينها وخاصة منسا موسى الذي أرسل يطلب الفقهاء من المغرب والمشرق والأندلس وعمل على استقدامهم إلى بلاده . ويشهد على ذلك استقدام منسا موسى للفقيه عبد الله البلبالي من مدينة فاس ، وقد ولاه إمامة مسجد الجامع بتنبكت كما وفد زمن منسا موسى أيضا الفقيه أبو العباس الدكالي الذي تولى منصب القضاء في دولة مالي [2]. كما بقي توافد العلماء المغاربة في عهد منسا سليمان الذي أحسن استقبالهم ، وقد شهد ابن بطوطة على ذلك في رحلته المشهورة حيث التقى العديد منهم ففي مدينة ولاتة التقى بفقيه من سلا يدعى محمد ابن بداء .كما التقى مع الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر وكان قاضيا بمدينة ولاتة ، كما كان له لقاء مع شيخ المغاربة الفقيه إبراهيم بن إسحاق في مدينة تكدة[3].بالإضافة إلى الخطيب والمدرس الفقيه أبي حفص المسوفي،والشيخ

---

[1] سحر عنتر محمد أحمد مرجان ، المرجع السابق ص 117.

[2] المرجع نفسه ، ص 118.

[3] المرجع نفسه ، ص 119.

التلمساني الذي كان يعلم الناس القرآن الكريم والفقه، والشيخ المزوري المراكشي والمقرئ عبد الواحد بشمعة والشيخ الموصلي وسعيد بن علي الجزولي[1] .

كما كان للشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق (846 ـ 899هـ /1442 ـ1493 م) رغم أنه مغربي الأصل والمولد فإنه من جانب أخر طرابلسي الإقامة والمدفن وقد أثر هذا العالم في ثقافة بلاد السودان الغربي من خلال انتشار مؤلفاته فيها[2].

كما عاشت بعض الشخصيات الطرابلسية في السودان الغربي ، ومنه الفقيه فياض الغدامسي ، الذي يدل لقبه على أنه سليل أحد الأسر الغدامسية التي ما انفكت ترحل وتتاجر وتقيم في حواضر وقرى السودان الغربي مثل تنبكت والسوق وجاو وجني وغيرها من الأماكن الأخرى . وقد اشتهر الفقيه فياض الغدامسي بالعدل والاستقامة وحضي بثقة الحكام والأهالي وتولى تزكية الشهود عند القضاة فمن شهد له بالعدالة اعتبر عادلا ومن لم يشهد له ألغيت شهادته مهما كانت شخصيته ولم يزل في ذلك المنصب حتى توفي. ومن الأدلة على المكانة العالية التي حازها فياض الغدامسي ، هو ذلك المظهر المهيب الذي شهدته جنازته والتي خرج فيها للصلاة عليه أشهر فقهاء تنبكت في مقدمتهم الفقيه محمود بن عمر أقيت مع كبر سنه وضعف جسمه [3] .ويتبين لنا من هذه المعلومة التاريخية أن الفقيه فياض الغدامسي قد عاصر الفقيه محمود بن عمر حتى أواخر أيام حياته ، ووفاة بن عمر أقيت كانت حوالي(988هـ/1580م) ، فيرجح أن يكون الفقيه فياض الغدامسي عاش قبل نهاية العقد الخامس من القرن العاشر للهجرة / السادس عشر للميلاد.

---

[1] المرجع نفسه ص 119.

[2] مطير سعد غيث أحمد ، المرجع السابق ص 129

[3] المرجع نفسه ص 130.

ومن العلماء الطرابلسيين الذين عاشوا في بلاد السودان الغربي الفقيه محمد بن بدر بن حمود الفزاني الذي كان يقطن مدينة تنبكت وقد وصل إلى حظوة ربطته بأهم مشاهير العلماء ونذكر على سبيل المثال المؤرخ عبد الرحمان السعدي الذي ذكره في كتابه بقوله "توفي الأخ المحب الفاضل النافع الفقيه"[1] ودفن بتنبكت بالجامع الكبير .

كما سكن مدينة تنبكت وغيرها من مدن السودان الغر بي الكثير من العائلات المغربية والتي اشتهرت بالعلم والفقه كما يذكر ذلك السعدي " ومن كل بلاد من أهل مصر ، ووجل [2] وفزان وغدامس وتوات[3] ودرعة وتفلالة وفاس والسوس، وبيط إلى غير ذلك " [4] ومن هذه العائلات عائلة تعلي وعلى رأسها محمد ابن الصديق الذي أصبح إماما للمسجد الكبير وعائلة الخضر الذين كان جدهم كاتبا عند سني علي[5] .

كثيرة هي العائلات التي سكنت بلاد السودان الغربي ونذكر منها عائلة الفلالي ويأتي على رأسها الإمام الفقيه محمد بن بكر بن أكداد الفلالي المتوفى عام (989 هـ/ 1529م) .والذي تولى الإمامة في الجامع الكبير في تنبكت وجني وجاو . وهناك عائلات أخرى منها عائلة الهواري في جني وعائلة الدليمي من مراكش، وعائلة البلبالي المتوفى(940 هـ/1533م) والذي انتشر علمه وفقهه في مدينة تنبكت فقد درس بها ، وكانت له نوازل وأبحاث مع الفقيه العاقب الأنصمني[6] .

---

[1] السعدي ، المصدر السابق ، 245.

[2] وجل : نسبة إلى إقليم أوجلة في ليبيا

[3] توات : هي واحة تقع في الصحراء الكبرى الافريقية وتقع على الطريق الذي يربط تلمسان ببلاد السودان . ابن خلدون ، المصدر السابق ،117/6

[4] السعدي المصدرالسابق ص 37

[5] سحر عنتر محمد أحمد مرجان ، المرجع السابق ، ص 122

[6] المرجعنفسه ص 122

لقد بذل هؤلاء العلماء جهدا كبيرا في اثراء ثقافة السودانيين، بخوضهم هذه الرحلة الشاقة إلى هذه الأوطان الصحراوية وبذلوا الكثير من الجهد وسجل لهم التاريخ هذه الجهود، وفي المقابل لابد من الاشارة إلى فئة أخرى من العلماء المغاربة، الذين لم يسعفهم الحظ في الوصول إلى هذه الأرض ولكن كان لهم الفضل الكبير في ازدها ثقافة السودانيين، عن طريق مؤلفاتهم التي حملها التلاميذ ونذكر منهم العام الشهير محمد بن يوسف السنوسي (832 ـ 895هـ / 1428 ـ1490م) عالم بلاد المغرب الكبير في عصره ومؤلف التصانيف العديدة التي من أشهرها (عقيدة أهل التوحيد) وتسمى (العقيدة الكبرى) ، (وعقيدة البراهين) ، وتسمى العقيدة الصغرى كما اشتهر بوضع الشروح للمتون والتعليق على المنظومات ، كما عرف بالتصوف ونسب إليه عدد من الكرامات ورغم عدم قيام الامام السنوسي ـعلى أكثر تقدير ـ برحلة الى السودان الغربي كما فعل الكثير من العلماء الاخرون ، فإنه أثر ثقافيا فيه من خلال الانتشار الواسع لمؤلفاته العديدة ، وبالذات المعروفة بعقائد السنوسي والتي صارت مادة أساسية في مناهج التعليم في السودان الغربي[1] .

رحلة علماء مصر إلى بلاد السودان الغربي :هناك عوامل عديدة جعلت مصر قبلة ومنارة علمية يقصدها أه ل السودان الغربي وعلماؤها وحكامها كما هي الحال لمعظم مسلمي افريقيا ومن أهم تلك العوامل وقوعها في طريق الحج ووجود الأزهر الشريف ، كذلك من بين العوامل التي أهلت الأزهر للريادة الثقافية والعلمية في ال عالم الإسلامي هي سقوط بغداد على أيدي المغول عام (656هـ /1258م) ، وانتقال مقر الخلافة إلى القاهر على أيدي المماليك ، وكذلك سقوط الأندلس بأيدي الإسبان عام (897هـ /1492م) ورحيل أعداد كبيرة من العلماء والمثقفين من الشمال الإفريقي إلى مصر ، كلها زادت في أهمية الأزهر الشريف. فتوجب على العلماء المصريين التوجه إلى بلاد الإفريقية عموما وبلاد السودان الغربي خصوصا من أجل نشر العلم والثقافة الإسلامية بهذه الربوع .

[1] مطير سعد غيث أحمد ، المرجع السابق ، ص 119.

وعند الحديث عن علماء مصر لابد من الإشارة الى الاثر الهام الذي تركه العلامة والمؤرخ المصري والموسوعة الشهير الامام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849 ـ 911هـ /1445 ـ 1505م) وقد اشتهر السيوطي بصيته العلمي الكبير وتعدد مؤلفاته والتي عرف منها حوالي ثلاثمئة كتاب، وقد ذاعت شهرته في غرب افريقيا التي كان يسميها بلاد التكرور، وسبب شهرت الامام السيوطي في السودان الغربي وغرب افريقيا عموما تكمن في صلاته الواسعة بالعديد من سلاطينها وعلمائها وطلابها[1]. وهناك اختلاف بين المؤرخون في رحلة السيوطي إلى أرض التكرور.

وعند الحديث عن السيوطي والدور الذي لعبه في اثراء ثقافة أهل السودان الغربي ، فلابد من الاشارة إلى الرسالة الهامة المصاغة في شكل فتاوى والتي أرسلها الشيخ محمد اللمتوني إلى السيوطي والتي كانت تحتوي على مسائل وتساؤلات فقهية متعددة ترسم صورة للواقع الديني والثقافي والاجتماعي لمجتمع السودان الغربي ، وقد سماها (**مطلب الجواب بفصل الخطاب**) وتاريخ تلك الرسالة حوالي عام(898هـ /1493م) وقد رد عليها الإمام السيوطي بجواب أسماه (**فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور**) ، وقد أجاب فيها عن بعض استفسارات الفقيه اللمتوني، وتجدر الإشارة إلى أن جهود الإمام السيوطي أثمرت في نشر الإسلام ومفاهيمه الصحيحة من خلال الفتاوى التي وجهها إليه الأسكيا محمد الكبير عندما رجع من رحلة الحج وجلوسه إليه في القاهرة مستفتيا ومتعلما[2].

---

[1] مطير سعد غيث أحمد ، المرجع السابق ص 142.

[2] أنظر الفصل الثاني من هذه البحث في موضوع رحلة الحج للاسكيا محمد الكبير .

الفصلالخامس

حركة التأليف وأهم الأعلام في مالي وسنغاي

(628 ـ 1000هـ/1231 ـ 1591م)

المبحث الاول

حركة التأليف في مالي وصنغاي

في الفقه والحديث

في علوم القرآن واللغة وآدابها

في التراجم والرحالات وعلم المنطق

المبحث الثاني

أهم الاعلام وإنتاجهم العلمي

المبحث الأول

حركة التأليف في مالي وصنغاي

1 ـ في الفقه وعلم الحديث

2 ـ في علم القرآن وعلوم اللغة وآدابها

3 ـ في التراجم والرحالات والمنطق

بدخول الاسلام لبلاد السودان الغربي انتشرت اللغة العربية والثقافة الاسلامية ،مما أدى الى بروز فئة من المثقفين السودانيين أسهموا في ازدهار الحركة العلمية في هذه البلاد . فكانت جهودهم نتاج لتلاقح فكري واجتماعي بينهم وبين الامصار الاسلامية الاخرى كبلاد المغرب ومصر وبلاد الحجاز.

وكان هذا في شتى صنوف المعرفة كعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة وآدابها والتاريخ والسير والتراجم .

1 ـ الفقه وعلم الحديث .

أ ـ الفقه

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، ويشمل ذلك الوجوب والجواز والندب والكراهة والإباحة ، وهذه الأحكام منتقاة من القرآن الكريم المصدر الأول لتشريع والسنة النبوية وما نصبه الشارع الحكيم لمعرفة الادلة فإذا استنبطت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه .

وقد عرفت الحركة الفقهية تطورا كبيرا في البلاد الإسلامية نظرا لاتساع رقعتها ودخول أجناس وشعوب متعددة إلى الدين الإسلامي مما أدى إلى حدوث نوازل وقضايا متجددة على الواقع الإسلامي، وقد أسهم هذا في اجتهادات لفقهاء الأمة في استنطاق النصوص واستخرج الأحكام الشرعية في ظل ما يعرف بالمذاهب الفقهية الذي كان همها كبير الأثر في تسيير حياة الناس الفقهية والدنية .وبلاد السودان الغربي كغيرها من بلدان العالم الإسلامي تأثرت بهذه المذاهب خاصة المذهب المالكي، الذي تبلور في فكر العلماء والحكام على حد السواء، وأصبح المقتدى في العادات والعبادات، حيث عرفت انتشار كتب الفقه المالكي المعروفة آنذاك كمدونة سحنون ، ومختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، وموطأ الإمام مالك، ومدخل ابن الحاج، ومعيار الونشريسي، وتحفة الحكام لابن عاصم ، ومختصر ابن الحاجب، ويرجع ازدهار الحركة الفقهية في بلاد السودان الغربي إلى

رحلة منسا موسى إلى الحج عام(724هـ/ 1321م).والتي زار من خلالها عدد كبير من الفقهاء المالكية في مصر . وجلب العديد من الكتب التي تهتم بالفقه المالكي إضافة إلى تلك البعثات التي كان يرسلها لتلقي العلم في كل من فاس ومصر مثل رحلة عبد الرحمن التميمي إلى فاس [1] ، ورحلة كاتب موسى كذلك، ويعتبر هذان الفقهان من أبرز الفقهاء المالكية زمن دولة مالي ورغم أن المصادر لم تدون شيء عن إنتاجهم الفقهي إلا أنها ذكرت حضورهما القوي في مجالس التدريس والإمامة والإفتاء على الفقه المالكي .

أما في دولة صنغي فقد حفلت المصادر بذكر ثلة من العلماء ساهموا في إثراء الحركة الفقهية سواء بتدريس أمهات المصادر الفقهية المالكية السالفة الذكر أو بإنتاجهم الفقهي سواء كشروح لهذه المصادر أو حواشي أو مؤلفات ، ومن أمثلة ذلك ما تركه الفقيه العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي من مؤلفات فقهية أثناء زيارته لبلاد السودان الغربي ومنها : مصباح الأرواح في أصول الفلاح وهو في كراسين، وحاشية على مختصر خليل سماها إكليل مغني البيب، وفي البيوع ألف كتابين سماهما مفتاح الكنوز ، إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل ، إضافة إلى كتاب أخر سماه تلخيص المفتاح لمختصر سعيد وشرحه[2]، ومن العلماء الذين أخذو عن الإمام المغيلي الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمي الذي كان فقيها عالما ذكيا له تعاليق أهمها تعليقه على قول خليل وخصصت لنية الحالف [3] . وكذا الجواب المحمود عن أسئلة القاضي محمود الذي أجاب فيها عن أسئلة فقهية وجهها له قاضي تنبكتو

---

[1] ـ الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، ص 30.

[2] أحمد بابا ، المصدر السابق ، ص 577. أنظر كذلك : مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 243.

[3] ـ المصدر نفسه ، ص353.

محمود بن عمر أقيت ، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ، حيث أجاب فيها عن أسئلة السلطان الأسكيا محمد الكبير[1] .

الفقيه محمد بن أحمد التاذختي الذي ألف شرحا لمختصر خليل، كما كان الفقيه الحاج أحمد أقيت (ت942هـ/1535م) من الفقهاء المتضلعين اشتهر بمداومته على قراءة الشفاء للقاضي عياض وتدريس مدونة الامام سحنون ، وله تعاليق وحواشي على هذه المدونة[2] .

وللفقيه محمود بن عمر آقيت (ت 955هـ/1548م) له تأليف في محتصر خليل من جزئين جادل به علماء مصر أثناء سفره إلى الحج من بينهم العالم إبراهيم المقدسي والقلقشندي ، كما كان للعلامة الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (ت 991هـ/1583م) انتاج علمي مخطوط بيده حيث ترك في مجال الفقه حاشية على شرح التتائي على محتصر خليل بين فيها مواضيع السهو منه، وجمع الكثير من الشروح والقواعد وكتب بخط يده عدة دواوين[3] .

الشيخ التكتداويالأنصمي بن محمد شمس الدين التكداويالانصمي قال عنه أحمد بابا التنبكتي في "كفاية المحتاج" إنه من شيوخ العصر في الفقه والصلاح من تألفيه شرح مختصر خليل بشرحين كبيرين في أربعة أسفار وأخر في سفرين[4] .

الإمام محمد المنقوري كان فقيها ، ويعتبر أول من نقل مختصر خليل إلى بلاد السودان الغربي، حيث تصدر للتدريس والإفتاء ومن أهم تلامذته القاضي محمد شب والقاضي إبراهيم البرناوي[5] .

---

1. ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 41
2. ـ مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 243.
3. ـ المرجع نفسه ، ص 244
4. ـ أحمد بابا ،كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، ص 221.
5. ـ بللو محمد ، المصدر السابق ، ص 52.

الإمام عبد الله التمكروني توفي بعد(980هـ /1572م)هو عبد الله بن محمد بن مسعود الدرعي التمكروني له تعليق على خليل في عدة أسفار جمع فيها كلام من شراحه ، كما ألف كتاب الروض اليانع في فوائد الكلام وآداب المجامع[1] .

ومن العلماء الذين أسهموا في الحركة الفقهية بنصيب وافر في هذه الفترة الفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي كان علماً من أعلام الفقه المالكي ومما يؤكد ذلك آثاره العلمية التي تركها في هذا الميدان ، وقد ألف مجموعة من الكتب والرسائل والفتاوى والآراء على ضوء الفقه المالكي حيث جلس للإفتاء والتدريس من أمهات الفقه المالكي[2] .

ب -علوم الحديث .

يعتبر علم الحديث من أجل العلوم بعد القرآن الكريم وكانت له أهمية كبرى باعتباره المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، إضافة إلى أنه تضمن أقوال وأفعال سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وقد انكب علماء الأمة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين ثم التابعين على جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشتغال بتدوينه ثم تصنيفه ثم الاهتمام برواته ومعرفة أحوالهم ومراتبهم، فأفردوا في ذلك المصنفات الكثيرة ، فكانت الصحاح والسنن والمسانيد . وبلاد السودان الغربي كغيرها من البلاد الإسلامية اهتم علماؤها بهذا العلم . فكانت لها مساهمة في مجال الحديث لا تقل أهمية عن بلاد المغرب ومصر ومن العلماء الذين ساهموا في هذا الاتجاه نجد الامام المغيلي الذي كان له مؤلف في علوم الحديث سمي مفتاح النظر في علوم الحديث [3] . ظل هذا المؤلف لفترة من الزمن من المقررات الدراسية في بلاد السودان الغربي، ثم جاء العلم محمد بن أحمد التازختيالذي كان

---

[1]- أحمد بابا ، نيل الابتهاج ، ص 235.

[2]- مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 244.

[3]- بدري محمد فهد ، أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية في إفريقيا ،حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ،العدد الرابع ،1998 ، ص 189.

فقيها ومحدثا كانت له رحلات الى بلاد المشرق الاسلامي أخذ من خلالها علم الحديث حيث سمع وروى وأجيز وأجاز وصار من المحدثين . يقول عنه السعدي " روى وحصل واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين ".[1]

وكذلك العالم أحمد بن الحاج أحمد عمر بن محمد أقيت الذي يقول فيه السعدي "إنه البارع في علم الأدب والفقه والحديث المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عنه أنه الحافظ الفقيه " [2] والحافظ هو الذي يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يدرس الصحيحين في مسجد سنكري . ومن العلماء الذين ساهموا في علوم الحديث شيخ عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري (ت 956هـ/1549م)الذي قام برحلة علمية للمشرق تحصل من خلالها على علم الحديث الذي أجيز فيه وصار من المتضلعين فيه، ثم جلس للتدريس في السودان الغربي ، فدرس موطأ الامام مالك والكتب الستة المعتمدة في علم الحديث وله عدة تأليف في ذلك [3].

ومن الذين برعوا في علوم الحديث القاضي محمد بن محمود بن أبي بكر المشهور ببغيغ والذي اشتهر بنبوغه في عدة علوم منها علم الحديث الذي تلقاه أثناء رحلته الى المشرق الإسلامي ثم عاد إلى تنبكتو ودرّس هذا العلم[4] . ومن العلماء القاضي أبو حفص عمر بن محمد بن أقيت الذي درس في تنبكتو على يد علمائها في عدة علوم منها علم الحديث ، أما أحمد بابا التنبكتي فقد تضلع في علوم الحديث حيث اشتهر بإجازاته التي كان يمنحها لطلابه، ومنهم أحمد بن محمد المقري الذي أجازه حيث يقول "وأجزته أيضا يروي عني كتاب الشفا للقاضي عياض وصحيح مسلم "

---

[1]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 39.

[2]- المصدر نفسه ، ص 55

[3]- مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 240.

[4]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 34.

2 ـ في علوم القرآن واللغة .

يعتبر القرآن الكريم من أجل العلوم وأرفعها منزلة لكونه يتعلق بكلام الخالق وهو بمثابة دستور للعباد يحقق لهم خير الدارين الدنيا والأخرة ، ولما كان تعلمه فرض على كل مسلم سواء في العبادات أو لزيادة الأجر والثواب ، وأعطيت له من الأهمية ما لم تعطى لغيره من العلوم فألفت فيه الكتب سواء في علوم القراءات أو في التفسير وقد ساهم علماء بلاد السودان الغربي في علوم القرآن كغيرهم من علماء البلاد الإسلامية .

أ ـ علم القراءات : وقد كان من مشاهير القراء الذين ساهموا في هذا العلم ، فنجد العالم عبد المولى الحلالي الذي اشتهر بتدريس روايتي ورش وقالون في مدارس السودان الغربي [1] . وكذا الإمام إبراهيم الزلفي الذي كان من أشهر المدرسين في مدرسة أبي القاسم التواتي قبالة المسجد الجامع في تنبكتو وقد امتدحه السعدي وهو أستاذ والده في قوله " السيد الفاضل الصالح الخير الزاهد المقرئ عالم التجويد والفقيه إبراهيم الزلفي وهو أستاذ والدي "[2]. ومن مشاهير القراء محمد بابا ستر ابن الفقيه اندغ محمد (ت 1002هـ/1592م) الذي سكن مدينة جني . والفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاضي سيد علي بن عبد الرحمن الأنصاري المسناني(ت 1008هـ/1600م) كان مقرءا فقيها في مدينة تنبكتو ، ومنهم عبد الله بن أحمد بري بن أحمد الفقيه أندغ محمد الجد(ت 1010هـ/1602) كان قارئا ومتقننا في شتى الفنون ، اشتهر بعلم القراءة ، ومنهم الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج روى عنه السعدي ما يفيد حرصه على تلاوة المصحف الشريف يقول " وروي عن شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخي الفقيه عبد الرحمن أنه قال لا يحول بين الشيخ أحمد هذا ودرس

---

1. البرتلي ، المرجع السابق ، ص 111.
2. السعدي ، المصدر السابق ، ص 58

المصحف إلا إقراء العلم " [1] . ومنهم أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه المختار(ت 1014هـ/1606م) الذي كان بارعا في عدد من الفنون ومنها علم القراءات ، وقد تتلمذ على يد الشيخ بن عبد المولى الحلالي وقد أخذ عنه الروايتين ورش وقالون[2] .

ب ـ علم التفسير : فقد كانت تدرس ببلاد السودان الغربي كتاب تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي[3] وقد اشتهر هذان التفسيران في بلاد السودان الغربي ، وذلك لبساطة أسلوبه ودقة معانيه فيسهل على طلاب العلم قراءته وفهم معانيه مما أدى إلى اشتهار الامام السيوطي بهذه البلاد فهو الذي قابله الأسكيا محمد الكبير في مصر أثناء زيارته لها في رحلته الحجية سنة (902هـ /1490م)، وأخذا يسأله عن مسائل في الشريعة [4] . إضافة إلى هذين التفسيرين ظهرت مؤلفات في هذا المجال من علماء المنطقة منهم الإمام المغيلي بكتابيه تفسير سورة الفاتحة ، والبدر المنير في علوم التفسير[5] . واشتهر كذلك الفقيه أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله التنبكتي (توفي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي) الذي كان مدرسا للتفسير بمسجد سنكري [6] . ومنهم الفقيه محمد بن محمود بن بغيغ الونكري الجنوبي والذي أمضى وقته في التدريس في مساجد تنبكتو وجني وقد تتلمذ على يديه عدة علماء منهم أحمد بابا الذي درس عليه التفسير وغيرها من العلوم[7] . واشتهر كذلك من المفسرين أحمد بابا التنبكتي الذي كان بارعا فيه رغم أنه لم يترك مصنفا مستقلا، إلا أنه كان مجازا في علم التفسير وكان يدرسه في تنبكتو ومراكش وهذا ما أورده تلميذه

1ـ المصدر نفسه ، ص 57.

2ـ مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 238.

3ـ جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي المصري الشافعي المتوفى 864هـ . أنظر :مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 686.

4ـ محمود كعت ، المصدر السابق ،ص 13.

5ـ مطيرسعد غيث ، المرجع السابق ، ص 239.

6ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 39.

7ـ أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 341

الفقيه أحمد بن الحاج محمد فهدي التواتي ، فيما أورد صاحب فتح الشكور " لما فتح الله تعالى علي بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها فقرأت عليه رحمه الله تعالى القرآن العظيم بتفسير الجلالين المحلي والسيوطي في عامين مرتين قراءة تحقيق وتفهم وتدقيق "[1]

ج ـ علوم اللغة وآدابها .

بانتشار الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي و احتكاك العرب مع شعوب هذه البلاد انتشرت اللغة العربية بين قبائلها ، فأصبحت لغة التعليم في مدارسهم ولغة ادارة الحكم في مماليكهم، فظهر علماء من أبناء المنطقة اهتموا بدراسة علم اللغة وآدابها فأبدعوا و ألفوا فيها سواء في النحو أو في الشعر .

د ـ علم النحو : فقد اهتم به علماء السودان الغربي تدريسا وتأليفا ، فمن ناحية التدريس فكانت عدة مؤلفات واسعة الانتشار وهي تعد من المصادر المهمة في النحو مثل ألفية بن مالك ، ومتن الأجرومية[2] اللتان كانتا من المناهج المقرر على طلاب العلم ولهم فيها إجازات لذلك . أما في ميدان التأليف فنجد الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف ألفية في مقدمة اللغة العربية [3] ، وبرع الفقيه محمد بن أندغ محمد بن أحمد (ت 970هـ/1561م) بمؤلفه الفتوح القيومية على شرح الأجرومية، وقد وصفه صاحب فتح الشكور بالنحوي اللغوي [4]، كما ساهم الفقيه أحمد بابا التنبكتي إسهاما كبيرا في مجال النحو بمؤلفات منها مسألة مساواة الفاعل للمبتدأ، وشرح ألفية بن

[1] ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 33

[2] ـ الأجرومية نسبة إلى أبوعبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي المشهور بابن أجروم كان نحويا مقرئا توفي بفاس سنة 723هـ . ينظر مهدي رزق الله ، المرجع السابق ، ص 688.

[3] ـ أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 578.

[4] ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 39.

مالك،[1]وألف الفقيه ابن عبد الله محمد بابا ابن حبيب الله المختار الكنتي (ت في القرن 10هـ/16م) كتاب المنح الحميدة في شرح الفريدة وهو شرح لألفية السيوطي [2] . وألف أحمد بن محمد الولاتي (ت 1038هـ/1629م) شرحا على متن الأجرومية [3].كما اشتهر الإمام الكشناوي محمد بن محمد الفلاني بمؤلفات في النحو نذكر منها بلوغ الأرب من كلام العرب و بهجة الأفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف و كتاب الدرر و اليواقيت في شرح الدرر والدرياق لعبد الرحمن الجرجاني[4] . كما ألف أحمد كري (ت ق 10هـ/16م) شرحا على ألفية بن مالك [5] . وهناك الكثير من الذين برعوا في مجال النحو ولكن لم نقف على تراثهم وسنقتصر على أشهرهم فنجد الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي ، الذي كان أستاذا في اللغة والنحو [6] . كما اشتهر الحاج أحمد بن عمر أقيت الذي كان مجالسا لشيخه الفقيه المختار النحوي وقد وصفه أحمد بابا التنبكتي بأنه فقيها نحويا لغويا[7] . وكذلك الفقيه عبد الله بن محمود بن عمر أقيت الذي كان فقيها عروضيا محصلا محصلا بارعا حافظا معتنيا ، وكذا الفقيه محمود بن محمد الزغرانيالتنمبكتي (ت 1011هـ/1602م) الذي برع في النحو واللغة وتصدر التدريس في مدارس تنبكتو[8] .

هـ ـ الشعر : اهتم علماء بلاد السودان الغربي بالشعر وتذوقوه خاصة تلك القصائد التي كانت تردد في المناسبات الدينية مثل قصيدتي البرة والهمزية للإمام شرف الدين البوصيري وهما في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما إنتاج علماء بلاد السودان الغربي للشعر فقد كان قليلا ولم يكن منتظما

[1] سحر عنتر محمد مرجان ، المرجع السابق ، ص 259.

[2] ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص217

[3] ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 159.

[4] ـ الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، ص 123.

[5] ـ بدري محمد فهد ، المرجع السابق ، ص 220.

[6] ـ بابا أحمد التنبكتي ،المصدر السابق ، ص 138.

[7]ـ المصدر نفسه ، ص 139.

[8]ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 213.

بل كان لضرورات قليلة ، وقد انتحل الشعر فقهاء وعلماء برعوا في علوم أخرى ولم يكن الشعر تخصصهم ، بل هي محاولات منهم لذا لم تجد في تراث هؤلاء العلماء خلال فترة الدراسة دواوين شعرية صنفت في جميع أغراض وأصناف الشعر ، وإنما هي محاولات كما قلنا لا تعبر إلا عن المناسبة التي قيلت فيها . وقد نقلت لنا المصادر السودانية إلا ثلاث نماذج من الشعر الأول في الرثاء والثاني في المدح والثالث في الحنين .

أما الرثاء فقد تضمنته القصيدة المنسوبة للشيخ التادلسي الذي رثى بها العالم محمد الكابري وعدد أبيتها اثنان وعشرون بيتا[1] .

تذكر ففي التذكر خير الفوائد		وفي طيبه ورد على خير وارد
ألم ترى سفر الحث بالفضل خصصوا		وسفر ذوي الأفكار أخطى بزائد
تفئ المرء طيبة الصببا		فيلحق فتيانا ويقوى لساعد
فيا عجبا هل بعده من مبيين		وياعربا هل بعده من مجالد
فلولا التعزي بالنبي وصحبه		واعلام علم الدين منه وراشد
لحق لدمع العين سيح على الولا		لا فناء أشياع وأطفاء واقد
عليه من الرحمن ذي العزو العلى		سلام بألطاف عزيز الفوائد
وصلى إله العرش ربي عنه		على خير مبعوث وافضل شاهد
محمد المختار للختم رحمة		بتميم أخلاق كرام المعاهد

أما القصيدة التي قيلت في المدح فهي التي ألقاها محمد بن محمد الأمين حين ورد الى تنبكتو أحد شيوخ المغرب وهو محمد بن يحي الولاتي ، وكان الغرض منها المدح والترحيب[2] .

[1] ـ السعدي المصدر السابق ، ص 49. وأنظر كذلك : محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 543.

[2] ـ السعدي ،المصدر السابق ، ص126.

نيل الرياح والنجاح السرمدي		والسير في النهج القويم السرمدي
فازت به تنبكت دون مغارب		ومشارق من كل قطر أبعد
فتباشرت أيمها وتشامخت		أعلامها من راسبات ركد
وبجبها من فضله أرجاؤها		محمول سر الوحي نور المهتدي.

أما قصيدة الحنين فهي تنسب لأحمد بابا التنبكتي عندما كان أسيرا في مراكش وحن لبلده ووطنه تنبكتو قال شعرا[1]

أيا قاصدا كاغوا فعج نحو بلدتي		وزمزم لهم باسمى وبلغ أحبتي
سلاما عطيراً من غريب وشلئق		إلى وطن الاحباب رهطي وجيرتي
وعندي أقارب هناك أعزة		على السادة الأولي دفنت بغربتي
وشبان بيتي سارعوا عن أخيرهم		إلى ملك الأملاك في وقت غربتي
فو أسفا منهم وحزني عليهم		فيارب ارحمهم بواسع رحمتي

وعلى العموم فإن اللغة العربية ببلاد السودان الغربي خلال الفترة المدروسة كانت لا تزال لم تجد ضالتها بدليل استخدام بعض الكلمات الركيكة وبعضها من اللهجات المحلية مثل لغة البمبارة والهوسا والبولالا ، إضافة إلى امتلائها بالحشو وعدم ارتباط الأفكار والخلل في التركيب والاستطراد[2] .باستثناء أحمد بابا التنبكتي فان أسلوبه يمتاز بالجزالة والموضوعية والتمكن من اللغة والمفردات وكتابة الجمل متناسقة وقصيرة .

[1] ـ السعدي المصدر السابق ، ص 127.

[2] ـ محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 545.

أما علم العروض والبيان فقد كان نادرا جدا في بلاد السودان الغربي مقارنة بالعلوم الأخرى وقد اشتهر غي هذا العلم محمد بن محمود بغيغ الونكري ت 1002هـ/1593م الذي كان عالما عروضيا متفننا إضافة إلى علوم أخرى وقد ذكره أحمد بابا التنبكتي و قال إنه تعلم على يده علم العروض والبيان[1].

3 ـ في التاريخ والتراجم وعلم المنطق:

يعتبر علم التاريخ من العلوم ذات الأهمية الكبرى في حياة الأمم إذ هو مرآة عاكسة لأحداثها وبه يستفاد من عبر الماضيين والتنبؤ بالمستقبل ، وقد لقي هذا العلم اهتماما في الحضارة العربية الإسلامية، فظهر مؤرخون كبار دونوا تاريخها وكتبوا أحداثها وسيرها وترجموا لرجالها وأبطالها ، وتعتبر بلاد السودان الغربي كرقعة جغرافية من البلاد الإسلامية وجزء لا يتجزأ منها فقد اهتمت هي الأخرى بالتاريخ فظهر فيها من اهتموا بتاريخ بلادهم وسير علمائهم ، فكان تاريخ الفتاش لمحمود كعت الكرميني ، وتاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي ، أما كتب التراجم فتصدرها كتابي أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الدباج وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج.

أ ـ تاريخ الفتاش للقاضي محمود كعت الكرمني(ت 1000هـ /1591م):مات صاحب الكتاب ولم يكمله بل أكمله حفيده ابن المختار ، والكتاب يحمل عنوان **" تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس "**، والكتاب هو بمثابة وثيقة هامة من تاريخ بلاد السودان الغربي ، إذ يؤرخ للأحداث التي شهدها المؤرخ بنفسه . وهذا ما علق عليه بقوله " ...كانت لما رأيناه وشهدناه..." [2] .وقد بدأ كتابه بالحمدلة و البسملة وخطبة اعتنى بحبكها ونسجها مستشهداً بالأحاديث والآيات

1ـ أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 600.

2 ـ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 16

القرآنية حتى خلص الى غايته من تأليفه واتباعه لسنن القرآن من ذكر الماضيين للعضة والذكرى وانصاف الحق وتخليداً لأيام زمانه ، حيث أبرز في مقدمة كتابه الهدف من كتابته له والذي تكلم فيه عن مملكة سنغاي وأفرد جانباً كبيراً من الثناء على الأسكيا محمد الكبير الذي كان مقربا منه فيقول في ذلك "فجزاهم الرب عنا افضل الجزاء واثابهم يوم التنادي اجزل الثواب وجعلنا بكرمه من المهتدين ، وفي زمرتهم من المنخرطين وبإحسانهم من المتبعين وبعد فلما كان ذكر قصص الأنبياء والسلاطين والملوك وأكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء والأعيان اتخاذاً بسنة القرآن وتذكير لما غيره من الزمان ورداً للضبي عن الحيف والهوان وعونا للتقي على مساعدة الإخوان ومن الله علينا إذ أظهر لنا في زماننا هذا الإمام الصالح والخليفة والسلطان الغالب المنصور القائم الحاج محمد بن أبي بكر التوري "[1].

ويعتبر كتاب الفتاش وصفا دقيقا للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في بلاد السودان الغربي ، اذ تكلم عن مملكة مالي وسلطانها منسا موسى الذي وصفه بأحسن الأوصاف وذكر رحلته الحجية التي اشتهر بها فيقول " ولنذكر ما أمكن لنا من أخبار ملكي موسى وكان سلطاناً تقيا عابدا ملك من منتهى مل (يقصد مالي) وأطاعه جميع من فيها من سنغاي وغيرها ومن علامة صلاحه أنه كان يعتق كل يوم نفس وحج إلى بيت الله الحرام وبنى في حجته مسجدا جامع تنبكت "[2]. ثم تكلم عن زوال حكم مملكة مالي وحكم سني علي الذي وصفه بالظالم الفاسق الفاجر وانه قارن بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي بقوله "ولا أحسب الحجاج بن يوسف مع سفكه للدماء وشره بالناس أن يأتي له مثل هذا في تنبكتو "[3] . كما تكلم عن الحركة التي قام بها الأسكيا الحاج محمد الذي أسقط

[1]ـ محمود كعت المصدر السابق ، ص 10

[2]ـ المصدر نفسه ، ص 43

[3]ـ المصدر نفسه ، ص 50

سني علي، وجهاده ضد قبائل الموشي الوثنية، ورحلته الحجية التي كانت مميزة حيث أضفى لهذا السلطان لقب الخليفة في أرض التكرور من طرف الشريف العباسي في مكة ، ثم تكلم عن صراع العرش بين الأساكي بعد وفاة الأسكيا محمد الكبير ، هذا الصراع الذي عرض المملكة الى الضعف وأوقعها فريسة في يد الجيش المغربي[1] .

أما الجانب الثقافي فقد أعطى لنا صورة عن الحياة الثقافية في مملكة سنغاي قبل الغزو المغربي وكيف ساءت بعده، فذكر حياة الفقهاء وذكر عددهم والمكاتب التي تعلم القراءة والكتابة للصبيان وكيف يستعملون الألواح لتلك الغاية [2] . كما تكلم عن المتون العلمية المتداولة في المنطقة ودواوين الشعر، ونسخ الكتب التي كانت وسيلة مألوفة لنشرها وتسهيل تداولها حتى أصبحت لهم خزائن يمتلكها مشايخهم وسلاطينهم مثل الأسكيا داوود الذي اهتم بهذا[3] .

أما الجانب الاجتماعي فقد تكلم عن أوصاف الناس وأصل القبائل في بلاد السودان الغربي، خاصة القبيلة التي ينتمي إليها وهي قبيلة "وعكري "أو "ونكري " وان كانوا من قبائل السودان "والصحيح أن أصلهم ليسوا من السودان والله أعلم" [4]. كما أشار إلى القبائل المتفرعة عن الأصليين الوعكري، أو الونكري كما تكلم عن الجوانب الاجتماعية الأخرى ، وأشار للخرافات الشائعة في بلاد السودان الغربي ، وأن أصلها من التأثيرات الوثنية، كما تكلم عن الكرامات والولاية التي كانت لها مكانة اجتماعية كبيرة في مجتمع السودان الغربي[5] .

---

[1] ـ الفانوس عمار صليح سليم ، دور حكام السودان في نشر الإسلام في القرن الافريقي ،الجامعة الاسلامية نيجر ، (ب ط) (ب ت) ص 245.

[2]ـ بدري محمد فهد ،المرجع السابق ص198.

[3]ـ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 94.

[4]ـ المصدر نفسه ، ص 42.

[5] ـ المصدر نفسه ، ص 33.

وقد اعتمد محمود كعت في تأليف كتابه على الرواية الشفوية والمشاهدة العينية ، كما كانت له مصادر أخرى اعتمد عليها أهمها كتاب دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان [1] لمؤلفه بابا كورا بن الحاج محمد بن الحاج الأمين الذي يقول عنه محمود كعت إنه من مهاجري كانو ، وقال عن مؤلفه " إنه معين لا ينضب من المعلومات التاريخية " [2] ويعتبر هذا المصدر من المؤلفات المفقودة إذ لم يعثر عليه إلى حد الساعة .

أما أسلوب كتاب الفتاش فهو خبري يسرد الأحداث والوقائع التي جرت بمملكة سنغاي على عهده، وأسرد في الحديث عن الأسكيا محمد الكبير مطولا ، كما رتب موضوعات كتابه على حسب ترتيب الملوك ، ولم يكن مقسما إلى فصول أو أبواب .

وقد بدأ في تأليف كتابه وهو في الخمسين من العمر ، وقد أكمل هذا الكتاب أحد أحفاده وهو ابن المختار بعد وفاته سنة 1002هـ/1594م) حتى وصل إلى سنة (1008هـ/1599م) ، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة في تاريخ السودان الغربي . وقد نشر هذا الكتاب المستشرقان الفرنسيان هوداس و دولافوس في باريس سنة 1914م باللغة الفرنسية [3]، ثم ترجمة إلى اللغة العربية وأعيد طبعه دون أي تغيير عامي 1923 و 1964. وهي الطبعة المتاحة والمشاعة حاليا .

ب ـ تاريخ السعدي : وهو العالم السوداني الشهير عبد الرحمن السعدي (توفي بعد 1067هـ /1655م) والذي يعد كتابه من أوثق مصادر تاريخ بلاد السودان الغربي ، وقد ذكر في مقدمة كتابه اهتمامه بالتاريخ وبالأسباب التي دفعته إلى كتابة هذا الكتاب حيث سجل كل ما كان يسمعه أو يراه إذ قال " ولما رأيت انقراض العلم ودروسه وذهاب ديناره وفلوسه وأنه كبير الفوائد لما فيه من معرفة

---

[1]ـ الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، ص 134.

[2]ـ محمود كعت ، المصدر السابق ، ص 85.

[3]ـ الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 83.

المرء بأخبار وطنه وأسلافه وطبقاتهم وتواريخهم ووفياتهم فاستعنت بالله تعالى في كتب ما رويت عن ذكر ملوك أهل سنغاي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوا فيها وغير ذلك إلى آخر الدولة الأحمدية "[1] . وقد سلط الضوء على تاريخ السودان من ذكر للثقافة الاسلامية بها ، وذكر للحوادث السياسية لكل من دولة مالي إلى حكم سني علي في دولة سنغاي وأسهب في الحديث عن تنبكتو وكيفية نشأتها وعن الطوارق الذين أسسوها ثم تكلم عن رجالاتها وعلماءها خاصة ائمة مسجد سنكري ، ثم تكلم عن مدينة جني وعلمائها ثم عن أساكي سنغاي ، ليتكلم في الأخير عن الغزو المراكشي لبلاد السودان الغربي ، وعن باشواته الذين حكموا البلاد. دون أن يغفل عن الجانب الإداري والاجتماعي في هذه الحقبة التي أرخ لها في كتابه.

وقد رتب السعدي كتابه في ثمانية وثلاثون بابا على الشكل التالي

من الباب الأول إلى الباب الرابع: تكلم فيه عن أخبار دولة مالي وسلاطينها بكل تفصيل حتى بداية حكم سني علي وقيام مملكة سنغاي[2].

من الباب الخامس إلى السادس : تكلم فيه عن مدينة جني وذكر علمائها وصلحائها وما تحتوي عليه من مزايا وخصوصيات .

من الباب السابع إلى الحادي عشر : أفرده لمدينة تنبكتو والتي أطال في الحديث عنها وعن علمائها وعن الطوارق الذين أنشأوها ، كما تكلم عن شيخه أحمد بابا التنبكتي وكتابه نيل الابتهاج ، وتكلم أيضا عن أئمة المساجد خاصة مسجد سنكري الذي انشغل به مدة من الزمن[1] .

---

[1]ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 02

[2]ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص ص 07 ، 09.

الباب الثاني عشر : وقد خصصه للحديث عن سني علي وشخصيته الفريدة وما كان بينه وبين العلماء من خلاف ، وظلمه وجوره عليهم .

من الباب الثالث عشر حتى الباب العشرين : تكلم فيه عن دولة سنغاي و أساكيها حتى نهاية دولتهم ومجيئ الغزو المراكشي للمنطقة[2] .

من الباب الحادي والعشرين حتى الباب الثامن والثلاثون : فقد خصصه للحديث عن باشاوات المغرب في بلاد السودان الغربي مع ذكر الباشوات الذين حكموا بلاد السودان الغربي ، وطال الحديث عن الدولة السعدية وسلطانها المنصور الذهبي ، كما تكلم فيه عن الوفيات حتى سنة 1063هـ/1653م ، ثم تكلم عن سياحته وأسفاره في مناطق بلاد السودان خاصة مدينة ماسنة ، كما تكلم فيه عن الذين حكموا من أبناء بلاد السودان الغربي في ظل حكم المغاربة للبلاد .

غلب على أسلوب السعدي الأسلوب الوصفي في سرده للأحداث حيث كتب كل ما عاينه من أحداث ، سواء كإمام بمسجد سنكري أو وظيفته ككاتب في البلاط الباشاوي إلى جانب أسفاره ورحلاته بين الأقاليم البلاد، كل هذا أمكنه من كسب خبرة وتجربة في الكتابة وأعطته ذلك الانطباع استلهم من خلاله كتابته لهذا التاريخ[3] .

ومصدر كتابته فهي المصادر الشفوية التي كانت له خير زاد وذلك باحتكاكه للعلماء والقضاة وعبر عنه في كثير من الأحيان بقوله سمعت ، كما اعتمد على المصادر المكتوبة منها "نيل الابتهاج بتطريز الدباج والذي ألفه شيخه وأستاذه أحمد بابا التنبكتي، وقد رجع إليه غي تدوين أخبار بلاد

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 20.

[2]- المصدر نفسه ، ص 71.

[3]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 210.

السودان الغربي والترجمة للكثير من علمائه . أما مصدره لكتابة تاريخ بلاد المغرب فقد اعتمد على كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول[1] .

وقد رتب كتابه على منهج حوادث السنين، وهو يدخل ضمن التاريخ العام الذي أرخ لبلاد السودان حيث شمل التاريخ والتراجم والسير والطبقات والرحلات، وقد انتهى من كتابة المجموعة الأولى سنة 1063هـ/1653م على حد تعبير السعدي بقوله " وهنا انتهتِ المجموعة بحمد الله وعونه بتاريخ نهار الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة الحرام العام الثالث والستين والألف" [2]. وبعد سنتين تقريبا أضاف إليه فصلا يتضمن آخر ذكريات له وانتهى من الكتابة كلياً بتاريخ 16جمادي الأولى 1065هـ/1655م. وقد عثر الرحالة الألماني هنري بارث عام 1853م في مدينة جواند على مخطوط تاريخ السودان، وحققه المستشرق الفرنسي هوداس ونشره في باريس عام 1889م[3] . ثم أعيد طبعه عام 1964م وهي الطبعة المتوفرة الى اليوم.

ج - نيل الابتهاج بتطريز الديباج: للعلامة أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ /1627م) ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التراجم التي ترجمت لشخصيات وأعلام من داخل وخارج بلاد السودان الغربي وقد نهج أحمد بابا في تراجمه حذو ما كتبه ابن فرحون [4] في ديباجته ن والقاضي عياض في مداركه، حيث أرخ لعلماء المالكية من بلاد السودان الغربي وأورد سيرهم وصفاتهم وخصائصهم، بل اعتبر مؤلفه هو استدراك لما أهّمله ابن فرحون في كتابه ، وقد ورد هذا الكتاب بعدة أسماء أهمها نيل الابتهاج

---

[1] ـ المصدر نفسه ، ص 25.

[2]ـ المصدر نفسه ، ص 35.

[3]ـ الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ،ص 351.

[4]ـ ابن فرحون هو اسحاق برهان الدين بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون المدني قاضي المدينة المنورة توفي يوم عيد الأضحى سنة 799هـ . ألف كتابا نفيسا وأخر في طبقات المالكية . ينظر : بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرفي ، توشيح الديباج وحلية الابتهاج ، تح علي عمر ، مكتبة الثقافة الدنية ط 1 ، القاهرة ، 2004، ص 23.

في التذليل على الدباج ، وسمي كذلك بوجه الابتهاج في الذيل على الديباج، وكذا نيل الابتهاج بتطريز الدباج وهذا هو العنوان الشائع والراجح بدليل ما صرح به أحمد بابا نفسه في مقدمة كتابه والهدف من تأليفه إذ قال " فمازالت نفسي تحدثني من قديم الزمان ومن كثير من ساعات الوان باستدراكي عليه ببعض ما فاته أو جاء بعده من الأئمة والأعيان ....ولولا فضل المولى ذي الفضل والإحسان ما جمعت في هذه الكراريس ما تيسر لي من ذلك مما ليس في ديباج ابن فرحون مذكورة وزدت في تراجم من ذكره من أوصافه المشكورة فجاء بحمد الله فوق ما أردت وزائداً على ما نويت وقصدت وسميته نيل الابتهاج بتطريز الديباج " [1] . وقد بدأ كتابه في تنبكتو وانتهى في مراكش التي نفي إليها ، وقد جاء في مستهل كتابه " الحمد لله المنفرد بالبقاء الحاكم ... المختص بالإحاطة والإحصاء " وقال في خاتمته " ووافق الفراغ من جمعه سوى أشياء زدتها فيه بعد سابع جمادي الأولى من عام خمسة وألف بمدينة مراكش من المغرب الأقصى" [2]. وتكمن أهمية الكتاب فيما بثه بين ترجماته من فوائد تاريخية واجتماعية ولغوية فضلاً عن الترجمات التي نقلها من مصادر مازال الكثير منها في عداد المفقودين حيث بدأ بترجمة ابن فرحون إبراهيم بن علي بن فرحون ، واعتمد في تراجمه لأعلام القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر للهجرة على الترتيب التسلسلي حسب الحروف الأبجدية ، ويحتوي على ثمانمائة وثلاثين رجلاً مترجما له[3] .

وتظهر أهمية الكتاب أيضا في مواكبة لأحداث عصره لاسيما في الساحة المغربية والأندلسية لأنه لم يقتصر على أعلام بلاد السودان فقط بل ترجم لأعلام من المغرب الأوسط والأقصى والأدنى والأندلس مبين من خلال تراجمه لرحلاتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية .

---

[1]- أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص 19 ، 20

[2]- المصدر نفسه ، ص 10.

[3]- الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 348.

اعتمد في تأليف كتابه على عدة مصادر منها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي و ذيل لابن الابار القضاعي والصلة لابن شكوال، ورحلتي العبدري، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب السلماني، وتاريخ ابن خلدون، ورحلة القلصادي، ورحلة ابن قنفد القسنطيني، وفهرسة ابن غازي المكناسي والروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، وبعض فوائد الإمام الونشريسي، والنجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب للتلمساني، وفهرست الشيخ المنجور، وغيرها من المعاجم والمؤلفات ، كما اعتمد على الروايات الشفوية التي استقاها من أفواه الرجال مثل والده أحمد بن أحمد أقيت، وصاحبه محمد بن يعقوب الأديب المراكشي وغيرهما[1].

وقد طبع كتاب نيل الابتهاج عدة مرات دون تحقيق وأكثر هذه الطبعات كانت على حاشية كتاب ابن فرحون فأولها كانت بفاس سنة 1898م وطبعه عباس بن عبد السلام بن شعرون ، والثانية كانت في القاهرة سنة 1911م وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية سنة 1865م مع الأصل العربي، ويأتي في الأخير الدكتور الليبي عبد الله الهرامة الذي أشرف على تقديمه مع مجموعة من طلاب كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس و وضعوا هوامشه في طبعة أولى سنة 1998م[2].

د ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج :وهو لأحمد بابا التنبكتي، كتبه كتكملة أو ذيل لنيل الابتهاج حيث اقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمة والفقهاء المشهورين بتأليفهم دون غيرهم [3]. ويتضمن ترجمة سبعة مئة عالم من علماء المشرق والمغرب والأندلس وبلاد السودان من فقهاء المالكية، ورتبه على نفس ترتيب نيل الابتهاج، ويمتاز كتاب كفاية المحتاج بترجمة شخصية للمؤلف، وفهرس

---

[1]ـ بدري محمد فهد ، المرجع السابق ، ص ص 201 ، 202.

[2]ـ جرجي زيدان ، تاريخ أدب اللغة الغربية ، مكتبة دار الحياة ، بيروت لبنان ، (ب ت) (ب ت) مج 2 / 337.

[3]ـ بدري محمد فهد ، المرجع السابق ، ص 203.

خاص به مع لائحة مفصلة للمصادر التي اعتمد عليها، وتم تأليف هذا الكتاب أثناء اقامته في مراكش وانتهى منه عام 1012هـ/1603م[1].

6 ـ أدب الرحلات: لا تتوفر معلومات عن وجود مصنفات مفردة في أدب الرحلة لدى علماء بلاد السودان الغربي على الرغم من كثرة رحلاتهم وتنقلات سلاطينهم إلى الشمال الإفريقي وبلاد المشرق الإسلامي[2]، باستثناء رحلة واحدة للإمام الكشناوي (توفي أواخر القرن العاشر الهجري)الذي كان في بلد الهوسا عرف عنه العلم والورع واشتهر بكتابيه " بغية الموالي في ترجمة محمد الوالي " وهو يتضمن ترجمة لشيخه محمد الوالي في بلاد الهوسا، وهذا الكتاب مفقود. أما الكتاب الأخر فهو رحلته التي كتبها وهي تتضمن جميع أسفاره وما حصل له في تنقلاته[3]، كما وجدت إشارات لرحلات علماء في كتب التاريخ والتراجم كالتي أوردها أحمد بابا التنبكتي عن خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم العلوي التنبكتي الذي زار بلاد المغرب والأندلس، حيث قال عنه " وقيد رحلته في سفره ووصف فيها البلاد ومن لقي بها وكتب بتونس عن أميرها [4]: وقال "وقد وقفت على رحلته في سفره وفيها فوائد ونقلت منها تراجم "ولم يرد اسم هذا المصنف في كتاب الابتهاج لأحمد بابا. وعلى ما يبدو أن خالداً هذا كان حيا في القرن العاشر الهجري لأن أحمد بابا قال " وهو الأن يتولى القضاء ببعض جهات الأندلس الشرقية "[5].

7 ـ علم المنطق والكلام:

---

[1]ـ أحمد بابا التنبكتي ،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج ، المصدر السابق ، ص 67.

[2] ـ زمان عبيد وناس ،المرجع السابق ، ص 217.

[3]ـ الباز السيد أحمد ، المرجع السابق ، ص 136.

[4]ـ أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص 115.

[5]ـ أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص116.

وهو من العلوم التي أدخلت لبلاد السودان الغربي زمن الشيخ المغيلي، وقد تطور الاشتغال به خاصة بعد الأخذ والرد بين الشيخ المغيلي والإمام السيوطي في تحريم الاشتغال بهذا العلم فكان رد المغيلي بجواز ذلك وبعدم التحريم [1]، إلى أن اقتنع الإمام السيوطي بذلك وأجاز العمل بعلم المنطق، وبعد ذلك ألف الشيخ المغيلي عدة مؤلفات أهمها رجز المغيلي في المنطق وكتابه منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب إضافة إلى تلك المراسلات التي كانت بينه وبين الإمام السيوطي حول مشروعية علم المنطق. ثم تعاقب العلماء على الاشتغال بهذا العلم منهم الفقيه أحمد بن عمر آقيت (ت 909هـ/1503م) الذي اشتهر بإجادته لعلم المنطق وكانت له عدة مؤلفات أهمها (إمناح الأحباب في منح الإجاب) وهو عبارة عن شرح لمؤلف المغيلي "منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب "، كما كان له شرح على ر جز المغيلي: قال عنه أحمد بابا التنبكتي " إنه كان رحمه الله تعالى على ما أخبرني والدي ذا فهم ثاقب وذهن صاف فهاماً داركاً من دهاة الناس وعقلائهم ، تولى القضاء بعد أبيه فنال مما شاء من دولة ورياسة تفيأ منها ظلاً ظليلاً واكتسب من الدنيا عرضا طويلاً ، ومن تأليفه الشهيرة تعليق على رجز المغيلي في المنطق"[2] . ومنهم الفقيه محمد بن محمود بن عمر (ت 973هـ/1565م) الذي اهتم هو الأخر بمؤلفات المغيلي فتتبعها دراسة وشرحا وتعليقا ، وقد صنف مصنفات منها (أرجوزة على شرح منظومة المغيلي)، و(تعليق على رجز المغيلي في المنطق) ولقد كان استاذا بارزا

---

[1] ـ عند ما سمع المغيلي برفض السيوطي لعلم المنطق أنشد يقول:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله		وكل حديث حكمه حكم أصله
هل المنطق المعنى الإخبارة		عن الحق أو تحقيقه حين جهله

فرد عليه السيوطي بعدما اقتنع:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله		أتاني من حبر أقرأ بنبلــــه

أنظر : أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ن المصدر السابق ، ص 579. ومطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 248.

[2] ـ أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص 597.

تخرج على يديه عدد من العلماء ممن تأثروا به في المنطق أبرزهم الشيخ عبد الله بن عمران السعدي والد المؤرخ عبد الرحمن السعدي [1] . ومنهم كذلك الفقيه أحمد معيا (ت 1002هـ/1594م) أحد أعلام تنبكتو البارزين اشتغل بالتدريس في معاهدها وصار له باع في علم الكلام [2] . ومن مدينة جني نجد الشيخ محمود سري بن سليمان (ت 1028هـ/1619م) الذي اهتم كثيرا بعلم المنطق [3] . كذلك اشتهر بهذا العلم الإمام محمد الكشاوي الذي اشتغل بعلم الكلام والمنطق فكان له تأليف سمي "إزالة العبوس عن وجه منح القدوس "[4].

---

[1]ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 40.

[2] ـ المصدر نفسه ، ص 211.

[3]ـ محمد غربي ، المرجع السابق ، ص 528.

[4]ـ بللو محمد ، المصدر السابق ، ص 47.

المبحث الثاني

أهم الاعلام

الإمام المغيلي : هو محمد بن عبد الكريم المغيلي بن عمر بن مخلوف بن علي يرجع نسبه إلى الرسول صلى الله عيه وسلم من ابنته فاطمة الزهراء اختلف سنة ولادته [1] ،والراجح أنها سنة (831هـ / 1427م) ينتمي إلى قبيلة مغيلة [2] التي كانت تسكن قرب تلمسان، نشأ في أحضان أسرة عريقة ذات علم وفقه ، حيث حفظ القرآن الكريم في صغره على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاب، ثم رحل عن تلمسان متجولا بين عدة أقطار إسلامية من الجزائر وفاس وتونس حيث أخذ العلم عن عدة علماء منهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ، والشيخ يحيى بن بدر والشيخ أبو العباس الوغليسيالبجائي[3].

ثم توجه إلى توات فنزل بتمنطيط عند قبيلة اولاد يعقوب ، فأخذا عن علمائها وفقهائها، فأصبح ذا قدم راسخ في العلم حتى وصف بأنه الفقيه الصدر الأوحد أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء. [4] اشتغل المغيلي بالتدريس في توات، [5] ثم ما لبث أن ثار في وجه اليهود وما وقع من ظلم على الناس بسبب تحكمهم في أمور التجارة والسياسة فأعلن عليهم محاربتهم وهدم معابدهم مما شكل جدلا واسعا بين علماء عصره ما بين معارض لفكرته ومؤيد لها باعتبارها ان وضعية اليهود في توات كأهل الذمة وجب دخولهم في طاعة المسلمين، وليس كجماعة متنفذة تحكم في رقاب المسلمين، وهذا ما جعل المغيلي يدخل في صراع مع اليهود من جهة

---

[1] منهم من يرجعه إلى سنة 831 هـ مثل الباحث مقدم مبروك ، ومنهم من يرجعه إلى سنة 890 هـ مثل الباحث الدكتور الحمدي أحمد ، والباحث الشيخي حسن علي ابراهيم . ينظر : مقدم مبروك ، المرجع السابق ، ص 25، الحمدي أحمد ، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكاينة ، دار الرشاد بلعباس ، الجزائر ، ط1، 2012 ، ص 20. الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 320.

[2] مغيلة مدينة بالقرب من تلمسان وبها قبيلة بربرية كما توجد مغيلة بفاس ، أنظر : البكري ، المصدر السابق 756/2.أما الباحث مقدم مبروك فمغيلة بالقرب من مدينة تيهرت . أنظر مقدم مبروك ، المرجع السابق ، ص 25.

[3] أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص 576 579.

[4] الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني المغربي ، دوحة الناشر ، تح محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي للترجمة والنشر والتأليف ، الرباط ،(ب ط) 1976، ص 138.

[5] ـ مبروك مقدم ، المرجع السابق ، ص 13.

والعلماء المعارضين لفكرته من جهة أخرى [1]. خاصة الفقيه القاضي العصنوني ، وقد انتصر المغيلي في هذا وأجلى اليهود من تمنطيط، ثم رحل إلى قرية من توات الوسطى تسمى يوعى وأسس زاويته المشهورة هناك لينتقل بعدها إلى بلاد السودان الغربي التي تنامت له أخبارها وما يجري فيها [2].فقصدها راحلا، فدخل تنكدا فاجتمع بأصحابها، وقرء أهلها وانتفعوا به. ومن بين الذين انتفعوا منه العالمين الشهيرين، الفقيه محمد بن أحمد التازختي، والفقيه العاقب بن عبد الله الأنصميالسوفي، وهنا اجتهد المغيلي في نشر طريقته القادرية فكان له لقاء مع الفقيه عمر الكنتي الذي خلفه في نشر هذه الطريقة ببلاد السودان الغربي [3]. ومن تكدا اتجه إلى مدينة أقدز التي مكث مدة بها يدرس الناس العلوم الشرعية وبنى به مسجداً يعرف بمسجد الكرامة[4]،ومن أقدز اتجه إلى بلاد الهوسا حيث التقى بحاكمها محمد بن يعقوب "رمعا" 867 هـ/1463م ، الذي قربه إليه واتخذه مستشارا له في أمور الدين والأمور السياسية[5] . فكتب له المغيلي رسالتين الأولى في أمور الدين وتتعلق بتصحيح العقيدة والنصح والنصح للناس سواء كانوا حكاما أو محكومين وقد سماها رسالة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام ، والثانية تتعلق بأمور السلطة وسماها "تاج الدين فيما يجب على الملوك والحكام ". ثم زار مدينة جاو خلال حكم الأسكيا محمد الكبير والذي بدوره قربه اليه طالبا منه النصح والارشاد في أمور الدين والسلطة والسياسة الشرعية فكان جوابه من خلال تلك الأسئلة التي طرحها عليه الأسكيا محمد الكبير جمعت في كتاب عرف "بأسئلة اللأسكيا وأجوبة المغيلي" [6] . ويتضح من خلال

---

[1]ـ جميلة إمحمدالتكيتك ، المرجع السابق ص 186.

[2]ـ مقدم مبروك ،المرجع السابق ، ص 34.

[3]السعدي ، المصدر السابق ، ص 30.

[4] الهادي المبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 205.

[5] الشيخي حسين علي ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 321.

[6]ـ دياب أحمد ابراهيم ، علماء بلاد السودان الغربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ندوة العلماء الأفارقة و مساهماتهم في الحضارة العربية والاسلامية بغداد 1985.

خلال رحلة المغيلي إلى بلاد السودان الغربي ، هو دفع السلطان الى تطبيق قواعد الشرع فيما يقع تحت سلطانه من البلاد وتقديم النصح لهم ، وكذا إبرازه لواجب الأمراء وما ينبغي أن يتحلى به الأمير لبلوغ هذا القصد ، وما يجب أن يلتزم به من قواعد الشرع فيما سيحدث من النوازل .ثم رجع الى مدينة توات عند سماعه بمقتل ابنه ، واستقربها حتى وفته المنية سنة 904هـ /1498م[1] .

أما مساهمته العلمية فتمثلت في تلك الثروة الكبيرة من المؤلفات التي تركها، والتي شكلت إرث مشترك بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب عموما وتوات خصوصا، وهي موزعة على عدة مجالات من فنون المعرفة العلمية كالنحو واللغة والفقه والمنطق والشعر اضافة الى مراسلاته التي كان يراسل فيها علماء عصره، مثل الامام السيوطي والإمام السنوسي .

في مجال اللغة : له مقدمة في علوم اللغة العربية.[2]

في مجال التفسير : تفسير سورة الفاتحة و السير المنير في علوم التفسير

في مجال الفقه : شرح مختصر خليل وشرح ايضاح السبيل في بيوع آجال خليل وشرح مختصر خليل وهي حاشية على شرح مختصر خليل وتنبيه الغافلين عن منكر المبلسين يدعو لمقامات العارفين ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه .

في مجال المنطق وعلم الكلام : الرد على المعتزلة ورجز المغيلي في المنطق ومنح الوهاب في رد الفكر الى الصواب وثلاث شروح عليها. كما له مراسلات مع السيوطي في علم المنطق ينتصر فيها المغيلي للمنطق .

---

[1] الشيخي حسن علي ابراهيم ، المرجع السايق ، ص 322.

[2] بدري محمد فهدي ، المرجع السابق ، ص 189.

في مجال الحديث : مفتاح النظر في علم الحديث

في مجال السياسة الشرعية : مفتاح الأرواح في أصول الفلاح وتاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ورسالة الى كل مسلم ومسلمة وأسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي ورسالة مختصرة فيما يجوز للحكام وردع الناس عن الحرام .

في مجال الشعر : له قصيدة على وزن البردة إرتجلها أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء زيارته للبقاء المقدسة .

بشراك ياقلبي هذا سيد الأنام وهذه حضرة المختار في الحرم

وهذه الروضة الغراء ظاهرة وهذه القبة الخضراء كالعلم

والجدير بالذكر أن الشيخ المغيلي كان مصلحا وعالما أثر كثيرا في البلاد الإسلامية عموما وبلاد السودان الغربي على وجه الخصوص من خلال تلك البصمات التي تركها في نفوس حكامها بفكره الإصلاحي الذي صحح به الكثير من المفاهيم وإحيائه للسنة والإقلاع عن البدع التي تشوه صورة الإسلام الصحيح رحمه الله.

الإمام العاقب بن عبد الله الأنصمنيالمسوفي: ينتمي العاقب بن عبد الله الى قبائل مسوفة الصنهاجية ، ولقب بالأنصمي نسبة إلى بلدة أنصمن التي سكنها وهي قرية من بلدة تكدا ، لم يعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته إلا أنه كان حيا سنة (950 هـ /1543م[1]) تلقى تعليمه الأولي في قرية تكدا، ثم جالس الشيخ المغيلي الذي نهل من علمه ،وبعد ذلك رحل إلى المشرق لتأدية فريضة

[1] أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 353.

الحج، وفي طريقه بمصر التقى بالإمام السيوطي [1] . وأثناء عودته إلى بلده جلس لتدريس والإفتاء، وله مجموعة من المؤلفات أهمها : الجواب المجدود عن أسئلة الفقيه محمد بن محمود بن عمر بن آقيت .

أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ، وهي أسئلة من الأسكيا محمد الكبير

تعليق على قول خليل ، وقد لخصه الفقيه أحمد بابا وسماه تنبيه الواقف على تحرير وخصصت لنية الحالف[2] .

الفقيه محمد بن أحمد التازختي(ت 936هـ/1529م) : كان فقيها عالما محدثا درس على يد الفقيه أحمد بن عمر آقيت، [3] ثم ارتحل إلى مديمة تكدا وجالس الإمام المغيلي وأخذ عنه العلم، كما كانت له رحلة إلى مصر وبلاد المشرق بصحبة الفقيه محمود بن عمر آقيت[4] التقوا من خلالها بالشيخ القلقشندي، وشيخ الاسلام زكرياء ،وعبد الحق السنباطي، [5] حيث أخذ عنهم مجموعة من العلوم ، حتى أصبح من المتضلعين في علم الحديث ، وأجازه الشيخ ابن البركات النويري في مكة المكرمة [6] . وبعد عودته اشتغل بالتدريس والإفتاء إلى جانب القضاء في بلاد الهوسا من السودان الغربي من أثاره تعليقه على مختصر خليل[7].

---

[1] السعدي ، المصدر السابق ، ص 41.

[2] مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 273.

[3] أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص 587.

[4] عبد الرحمان ميقا ، المرجع السابق ،ص 283.

[5] السعدي ، المصدر السابق ، 40.

[6] الباز أحمد السيد ، المرجع السابق ، ص 117.

[7] الشيخي حسن علي ابراهيم ،المرجع السابق ، ص 335.

الفقيه أحمد بن عمر آقيت (ت 942هـ/1535م) :وهو الفقيه أحمد بن عمر بن علي بن آقيت الصنهاجي جد أحمد بابا التنبكتي [1] ، وهو أكبر الأخوة الثلاث المشهورين من عائلة آقيت عرف بالحاج أحمد ،كان من أهل الخير والفضل والدين محافظا على السنة والمروءة تضلع في الفقه والعلم . قال فيه أحمد بابا التنبكتي " كان فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا حافظا ...جمع كثير من الفوائد والتأليف" [2]،كانت له رحلة الى الحج سنة 890هـ/1485م لقي خلالها جلال الدين السيوطي والشيخ خالد الوقاد الأزهري إمام النحو في مصر . ثم رجع إلى بلاده زمن فتنة سني علي وقام بالتدريس بمدينة كانو حتى توفي بها سنة 942هـ/1535م[3] . من أهم تلاميذه ابنه أبو حفص عمر بن الحاج أحمد و أخوه القاضي محمود بن عمر الذي درس عليه المدونة .أما شيوخه فمنهم جده لأمه الفقيه أندغ محمد ، وخاله الفقيه المختار النحوي ، أما مؤلفاته فقد ترك مكتبة تزخر بنحو سبعة مئة مجلد مكتوبة بخط يده في شتى أصناف المعرفة[4] .

الفقيه محمود بن عمر (ت 955هـ/1548م) : (من أسرة آل آقيت) بن محمد بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي من أسرة آل آقيت وكان يلقب بشيخ الإسلام أبو البركات نجل الفقيه عمر بن محمد آقيت[5] . كان فقيها عالما قاضيا وصفه أحمد بابا التنبكتي بقوله" أبو الثناء وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع كان من خيار عباد الله الصالحين.

اشتهر علمه وصلاحه وعدله في القضاء لا يخاف في الله لومة لائم هابته الخلق كلهم و يهابه السلاطين ويزورنه في بيته فلا يقوم لهم ولا يلتفت اليهم ويهادونه بالهدايا والتحف تولى القضاء سنة

---

[1] السعدي ، المصدر السابق ، ص 37.

[2] أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، 142/1.

[3] الهادي المبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 213.

[4]. البرتلي ، المصدر السابق ، ص ص 25 26.

[5] السعدي ، المصدر السابق ، ص 36.

904هـ/1498م ، فشدد في الأمور وسدد "[1]. تتلمذ على مجموعة من العلماء منهم والده عمر بن محمد ، وخاله المختار النحوي، سافر لأداء فريضة الحج عام 915هـ/1509م حيث التقى بمجموعة من الشيوخ منهم إبراهيم المقدسي والقلقشندي واللقاني[2] ، ثم رجع إلى بلده تنبكتو ، فجلس لتدريس والإفتاء والقضاء حيث تتلمذ على يده والد أحمد بابا التنبكتي ، ويعتبر القاضي محمود بن عمر من أبرز الفقهاء في بلاد السودان الغربي، الذي مارس التدريس والفقه والقضاء لمدة تقارب نصف قرن من الزمن تتلمذ على يده مجموعة من العلماء[3].

الفقيه محمد آقيت(ت 973هـ/1565م)[4] :وهو محمد بن محمود بن عمر آقيت لم يكن له نظير في عصره في العلم والدهاء ورجاحة العقل ، تتلمذ على يد والده محمود بن عمر اشتغل بالتدريس والقضاء في تنبكتو ، من آثاره تعليق على رجز المغيلي في المنطق[5] .

الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (ت 991هـ/1583م)[6] : وهو والد أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه " كان رحمه الله تعالى علامة فهامة ذكيا داركا محصلا محدثا أصوليا بيانيا منطقيا وكان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس ، لا ترد له شفاعة و ينقاد له الملوك ويزورونه في داره "[7]درس في تنبكتو على يد الفقيه محمود بن عمر ، ثم رحل إلى المشرق عام 956هـ/1549م ليؤدي مناسك الحج فزار مصر ولقي بها مجموعة من العلماء منهم اللقاني الناصر وجمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوريوالأجهوري والشريف يوسف الأرميوني تلميذ السيوطي وغيرهم حيث

---

[1]ـ أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ،ص ص 607 698.

[2] بللو محمد ، المصدر السابق ، ص 318.

[3] مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 275.

[4] أحمد بابا التنبكتي ،نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، 340.

[5]ـ أحمد بابا التنبكتي ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق ص 76.

[6] أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ،93/1.

[7]ـ التنبكتي ، المصدر السابق ص 456.

استفاد منهم[1] ، كما التقى بمكة المكرمة بابن حجر المكي وبركات الحطاب وعبد المعطي السخاوي و عبد العزيز اللمطي وعبد القادر الفاكهاني وقد انتفع بهذه الرحلة وأجيز فيها ثم عاد إلى بلاده فجلس لتدريس . فدرس العقيدة السنوسية وصحيح البخاري ومسلم في رجب وشعبان ورمضان[2] ، واستمر على هذا الحال لمدة خمسة وعشرون سنة حتى توفي سنة 991هـ/1583م وهو يقرأ صحيح البخاري. أما في مجال التأليف فشرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا جامعا [3]، وكتب حاشية على شرح التتائي من مختصر خليل بين فيها مواضيع السهو منه، كما برع في الأدب والفقه والحديث. ومن تلاميذه فقد تتلمذ عليه ابنه أحمد بابا التنبكتي إضافة إلى أحمد ومحمد بغيغ والفقيه محمود بن عمر .

الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري(ت 1002هـ/1593م) : وهو ابن الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الذي تولى قضاء مدينة جني في القرن العاشر الهجري، بعد وفاة قاضيها العباس كب سنة 909هـ/1503م . كان عالما متفننا ورعا صالحا من خيار عباد الله الصالحين مطوعا على الخير وحسن النية قال عنه أحمد بابا التنبكتي " كان طويل الروح في التعليم لا يأنف من مبتدأ ولا من بليد أفنى عمره مع تثبته بحوائج العامة وأمور القضاء ، وقد أدركته أنا يقرأ من صلاة الفجر إلى الضحى ثم يقوم إلى بيته ، حيث يقرأ إلى وقت الزوال ثم يصلي الظهر بالناس ويدرس إلى العصر ثم يصليها ويذهب إلى موضع أخر يدرس فيه إلى الاصفرار وإذا صلى المغرب درس في الجامع إلى العشاء ثم رجع إلى بيته وكان مع ذلك محققا داركا ذكيا فطنا غواصا على اللطائف" [4]. درس في جني هو وأخوه أحمد بغيغ على يد خاله ثم رحلا إلى تنبكتو وحضرا مجالس الفقيه محمد سعيد التنبكتي، كما كانت له رحلة مع أخيه وخاله إلى المشرق الإسلامي، حيث حضروا مجلس اللقانيناصر

---

[1] السعدي ، المصدر السابق ، ص 32.
[2] أحمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج ، المصدر السابق ، 378/1.
[3] الهادي المبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص 213.
[4]- التنبكتي ، المصدر السابق ص 545.

الدين، وفي بلاد الحرمين جلسوا إلى مجالس الإمام التاجوري ، والعالم محمد الصديق البكري . وقد كان شغوفا بالعلم محبا له ، اهتم بشراء الكتب ونسخها . قال عنه السعدي " فكان العجب العجاب في ذلك إيثارا لوجهه تعالى مع محبته للكتب وتحصيلها شراء ونسخا" [1] . وقد تتلمذا على يديه عدة علماء أجلاء أمثال أحمد بابا التنبكتي الذي لازمه ودرس عليه مجموعة من العلوم وقد ذكرها أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج " لقد صار في أخر الحال شيخ وقته في الفنون لا نظير له لازمته أكثر من عشر سنيين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه أما خليل فمرارا عديدة نحو عشر مرات ...وختمت عليه موطأ قراءة تفهم ،وحضرته كثيرا في المنتقى والمدونة بشرح المحلى ثلاث مرات وألفية العراقي في علم الحديث ... وهو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكيته ، وأجازني جميع ما يجوز له وكتب لي بخط يده في ذلك"[2] . ويستخلص من هذا كله المكانة العلمية والكعب العالي الذي احتله محمد بغيغ بشهادة عالم مثله وتلميذه أحمد بابا التنبكتي .

حضر محمد بغيغ فتنة العلماء في تنبكتو خاصة اسرة آل آقيت أيام الغزو المراكشي لبلد السودان الغربي ، فكان له موقف من ذلك رغم محاولات الباشا المغربي من استمالته للوقوف إلى جانبه ، ولكن محمد بغيغ كان صلبا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، وظل على هذا إلى وفاته سنة 1002هـ/1593م . وقد ترك جملة من المؤلفات منها تعليقاته وحواشيه على ما وقع لشراح مختصر خليل وغيره من الخطأ ، كما كانت له تتبعات بدقة لشرح العلامة التتائي من أوله الى أخره ، وتتبع شرح اللقاني المسمى بالشرح الكبير فوضح ما فيه من السهو نقلا وتقريرا ، وقد جمع هذا تلميذه أحمد بابا التنبكتي في كراريس، كما له عدد من الفتاوى منها فتوى بخصوص الإفطار في رمضان ونصها "

---

[1]ـ السعدي ، المصدر السابق ص 46.

[2]ـ التنبكتي ، المصدر السابق ص 566.

بسم الله الرحمن الرحيم سئل الشيخ المبارك المحفوظ بالله محمد بن محمود بغيغ عن العمل في حاله الصيف في شهر رمضان على شقه هل يجوز لهم الأكل قياسا على أنه كالمسافر هل يجوز أولا لعمل زرعهم، وأفتى لهم أن العمل وأن أدى إلى إفطارهم والله أعلم . وقال وكتبه محمد بن محمود بغيغ مسلما على من يقف عليه وطالبا منه الدعاء لخير الدارين"[1] .

القاضي محمود كعت (ت **1002 هـ/1593م**) :وهو محمود بن الحاج المتوكل بن محمود كعت الكرمنيالونكري نسبا والتنبكتي سكنا ، ولد سنة 876هـ في منطقة كورما قرب مدينة غاو عاصمة السونغاي، ثم رحلت أسرته إلى تنبكتو التي تلقى تعليمه الأول بها ، ويعتبر محمود كعت من العلماء المخضرمين الذين عاصروا فترة حكم سني علي، وحكم الأسكيا محمد ثم الأسكيا داوود إلى بداية الحكم المغربي للمنطقة، حيث اشتغل بالتدريس إلى جانب القضاء، حيث درس علوم الفقه والحديث والمنطق والتاريخ و السير . فتتلمذا على يديه خلق كثير منهم أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه " كان شيخ زمانه في العلوم والفنون لا نظير له " كما كان مقربا من السلطان الأسكيا محمد الكبير ، حيث كان مستشارا له ، وصاحبه أثناء رحلته الحجية سنة 902هـ /1496م، وهذا ما أتاح له فرصة الاطلاع عن قرب عن شؤون السلطنة ، وهو ما تجلى في مؤلفه الذي ألفه في تاريخ السودان المسمى بتاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس . وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتقريب أنساب العبيد من الأحرار " . وهو الذي اشتهر به رغم أنه لم ينتهي من تأليفه حتى جاء حفيده وجمع ما ترك الجد تحت ذاك العنوان . توفي محمود كعت في مدينة أركيا قرب غاو ، ونقل إلى تنبكتو وذلك يوم الاثنين أول ليلة من محرم الفاتح للعام الثاني بعد المئة قرب طلوع الفجر ، وصلى عليه بعد صلاة العشاء من ليلة الثلاثاء ودفن بمجاورة قبر الفقيه أحمد بن الحاج أحمد .

---

[1]ـ مطير سعد غيث ، المرجع السابق ص 89.

الفقيه أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/1626م) : هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن عمر الصنهاجي السوداني التكروري التنبكتي ،ولد في سنة 963هـ/1555م بتنبكتو والتي نشأ فيها في ظل أسرة امتازت بالعلم والصلاح تتلمذ على يد والده وعلماء عصره ، منهم محمد بن محمود بغيغ حيث تلقى الحديث والمنطق وكتاب الشفا للقاضي عياض وأخذ النحو على عمه أبي بكر بن أحمد والقاضي محمود بن عمر ، وابنه العاقب بن محمود إضافة إلى تتلمذه على يد محمد بن محمود بغيغ الذي لازمه سنوات فأخذ عنه التفسير وموطأ مالك وأصول السبكي وألفية العراقي وصحيح البخاري ومسلم . ويعتبر أحمد بابا التنبكتي من العلماء الأفذاذ الذين ذاعت شهرتهم في العالم الإسلامي وذلك بفضل ما تركه من تراث علمي كبير ، كما كانت له إجازات من بلاد الحجاز، تحصل من خلالها على إجازة العالم يحيى بن محمد الحطاب الطرابلسي المكي .كما كانت له إجازات من علماء عن طريق المراسلة كإجازة الشيخ محمد المعروف بمحمد خادم الفيلاني ، ثم بعد ذلك جلس لتدريس والإفتاء والقضاء في تنبكتو . اجتهد أحمد بابا في بداية حياته في خدمة العلم ونهل من ثقافة عصره فحفظ القرآن الكريم وأمهات الكتب الإسلامية حتى فاق معاصره .أما تلاميذه في تنبكتو فكان منهم عبد الرحمن السعدي ومصطفى بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ ، وغيرهم.

وعند الغزو المغربي لتنبكتو اكتوى أحمد بابا التنبكتي مع غيره من أفراد عائلة آقيت ورحل إلى مراكش كأسير لينفك قيده فيما بعد ، ويبقى في مراكش يزاول التدريس والإفتاء في جامع الشرفاء ، حيث تتلمذ على يده ثلة من العلماء منهم عبد الواحد السجلماسي مفتي مراكش وأبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني قاضي الجماعة بفاس (ت 1032هـ/1622م)، والقاضي أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ/1631م) مؤلف نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، و روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1029هـ/1619م) الشهير بابن القاضي ،

والشيخ محمد عبد الله الرجراجي المالكي (ت 1062هـ/1651م) الذي كان يشغل مفتي مراكش ، وأبو العباس أحمد بن علي بن محمد السوسي البوسعيدي الهشتوكي الصنهاجي (ت 1046هـ/1636) له كتاب عنوانه : بذل المناصحة في فعل المصافحة و إشراق البدر في أهل بدر ، وأبو الفضل محمد بن عبد الله سعيد الحاحي ، والفقيه أبو زيد الوقاد التلمساني وقد أجازه ، والفقيه عبد الرحمن بن محمد التمزيتي (ت 1070هـ/1659م) الذي أجازه إجازة عامة في جميع مروياته . وممن درسوا عليه الحاج أحمد التواتي الذي وصفه البرتلي بأنه الناظم الناثر ذو الأخلاق والشيم الفاخرة ، حيث صاحب شيخه أحمد بابا التنبكتي سنوات واستفاد منه كثيرا تأثر به غاية التأثر حتى ظهرت عبارات الإطراء والإعجاب بشيحه عليه ، يقول البرتلي " لما فتح الله بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها حامل لواء الأحاديث ومفهمها رافع راية مذهب الإمام مالك ومقدمها ، العالم المقبول الفاضل الفهامة سيدي وبغيتي ...أبا العباس سيدي أحمد بابا جعل الله أيامه للخير أسبابا وفتح به الى العلوم أبوابا تلقيت منه ما فتح الله لي بالقبول ألفيته علقة للوصول ، فلازمت بابه المبارك ليالي وأياما وشهورا وأعواما ، وتضلعت من زمزمه بما فيه مقنع ، وكنت معه كالذي يأكل ولا يشبع ، فقرأت عليه رحمه الله تعالى القرآن العظيم بتفسير الجلالين المحلى والسيوطي في عامين مرتين قراءة وتحقيق وتفهم وتدقيق وعدة من تواليف رحمه الله الى غير مما حصلت من أجوبته وتقيده ومضافته وأبحاثه وفوائده.."[1].

وظل أحمد بابا على هذا الحال في المغرب يدرس ويفتي الى أن أذن له السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور الذهبي في العودة الى بلده تنبكتو وعام 1016هـ/1607م حيث قضى بها بقية حياته مدرسا مفتيا وقاضيا ، ومن أبرز الطلبة الذين أخذوا عنه في تنبكتو ابني المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعدي، مصطفى ومحمد ، وقد وصفه السعدي بأنه فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل فنون

---

[11]. البرتلي، المصدر السابق ص 65

العلم . الى أن توفي بتنبكتو سنة 1063هـ1652م وخلف وراءه نتاجا علميا كبيرا ، في شتى صنوف المعرفة وقد تجاوزت الاربعين مؤلفا نذكر منها على سبيل الإيجاز للحصر ومنها:

ـ نيل الابتهاج بتطريز الدباج . وهو معجم تراجم لعلماء السودان الغربي

ـ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج . وهو معجم لتراجم كذلك

ـ شرح عقيدة السنوسي الصغرى .وفيه أربعين مجلدا

ـ الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان .في إطار نوازل الاسترقاق الخاصة بأهل السودان الغربي

ـ شرح مختصر خليل من الزكاة الى النكاح . سماه المقصد الكفيل بحل مقفل خليل مجلدين

ـ حاشية على شرح مختصر خليل . سماه منن الرب الجليل في تحرير مهمات خليل يقع في مجلدين

ـ تنبيه الواقف على تحرير خصصت نية الحالف .

ـ أنفس الأعلاق في فتح الاستغلاق من كلام خليل في درك الصداق

ـ الزند الورى في مسألة تخيير المشتري

ـ ترتيب جامع المعيار للونشريسي .

ـ نيل المدام على التمام ببيان حكم الاقدام على الدعاء بما فيه من ايهام.

ـ درر السلوك بذكر الخلفاء وافاضل الملوك .

ـ النكت الوافية بشرح الألفية النكت الزكية .

ـ غاية الجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة .

ـ نزول الرحمة في التحدث بالنعمة .

ـ تحفة الفضلاء ببعض قبائل العلماء .

ـ شرح الصدور وتنوير القلوب ببيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنوب .

ـ نشر العبير بمعاني الصلاة على البشير النذير .

ـ نيل الأمل في تفضيل النية على العمل .

ـ جزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة .

الفقيه عبد الرحمن السعدي (ت 1066هـ/1655م): هو الفقيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي التنبكتي ينتمي الى أسرة الفقهاء ، ولد الأربعاء ليلة عيد الفطر سنة 1004هـ/1595م تلقى تعليمه الأول في تنبكتو حيث تتلمذ على يد الفقيه أحمد بابا التنبكتي ، والقاضي محمود بن أبي بكر بغيغ كما حضر عدة مجالس لشيوخ أجلاء منهم محمد بن علي الزياد والشيخ محمد بن المختار ، والفقيه الأمين بن أحمد ، والفقيه محمد خليل . تولى إمامة جامع سنكري عام 1036هـ/1626م استمر فيها الى أن تولى مهمة الكتابة للباشا محمد بن عثمان ، بعد الغزو المراكشي لمدينة تنبكتو . يقول في كتابه " والتقيت معه تلك الليلة ورحب بي وأكرمني و رتبني كاتباً ". بقي عبد الرحمن السعدي في تنبكتو يدرس ويؤلف الى أن توفي سنة 1066هـ /1655م. وقد ترك آثارا منها كتابه المشهور تاريخ السودان ، والذي دون فيه تاريخ تنبكتو خصوصا وبلاد السودان الغربي عموماً .

الفقيه عبد الرحمن التممي (توفي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي) : جاء من المشرق الاسلامي من بلاد الحجاز صحبة السلطان منسا موسى أثناء رجوعه من رحلة الحج سنة 724 هـ/1323م ، فنزل بتنبكتو وعندما وجد بها الكثير من الفقهاء ، رحل الى الى فاس فتفقها

هناك فترة من الزمن ثم رجع الى تنبكتو [1] . ثم جلس لتدريس في جامعها سنكري الى أن وفته المنية . أثنى عليه خلق من العلماء منهم القاضي سيدي يحيى التادلسي الذي كان يقول اذ جاءه طلاب السنكري للأخذ العلم عليه " يأهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التممي "[2] .

الفقيه كاتب موسى (توفي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي) : كان فقيها قاضيا[3] اشتهر بالكتابة في بلاط السلطان منسا موسى ، كما اشتغل بالإمامة لمدة أربعين سنة في مسجد تنبكتو الجامع ، وهو من العلماء الأوائل الذين أرسلهم السلطان منسا موسى النفاس للاستزادة في العلم والفقه في مدارسها ، كما اشتغل بالقضاء زمن دولة مالي[4] .

الفقيه مورمغكنكي[5](وفاته نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي): كان عالما فقيها زاهدا جليل القدر ، من العلماء الذين سكنوا جني ، وقد قدما إليها من كابر ، بعد أن تلقى تعليمه الأولي بها وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري ،ولقد كثر طلابه فاجتهد أيما اجتهاد فكان يخرج من بيته في منتصف الليل إلى المسجد الجامع بجني لإلقاء الدروس ، حتى صلاة الصبح ، ثم يستمر في القاء الدروس حتى الزوال ، ثم يعود إلى بيته لأخذ قسط من الراحة ، ثم يعود إلى حلقة التدريس بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر [6]. وكان مواظبا على ذلك حتى وفاته في نهاية القرن الخامس الهجري .

---

1. ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 51. البرتلي ، المصدر السابق ص 176.
2. ـ المصدر نفسه ص 52.
3. ـ المصدر نفسه ص 19.
4. ـ أبو بكر اسماعيل ميقا ، المرجع السابق ، ص 391.
5. ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 16.
6. ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 373.أنظر : عبد الرحمن ميقا ، المرجع السابق ، ص 301.

الفقيه محمد الكابري (توفي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي) [1]:هو أبو عبد الله القاضي محمد الكابري كان من فقهاء تنبكتو سكنها في القرن التاسع الهجري ، عاصر مجموعة من العلماء منهم الفقيه عبد الرحمن التممي و الفقيه أندغ محمد الكبير والفقيه عبد الرحمن بن عمر بن محمد ، والعلامة سيدي يحيى التادلسي [2]. أخذ عنه العلم الكثير من الطلاب نذكر منهم عمر بن محمد آقيت ، والفقيه المختار النحوي . توفي بتنبكتو خلال القرن العاشر الهجري[3] .

الفقيه محمد ساقوالونكري(توفي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)[4]: وهو وهو من منطقة ونغار في مالي ، كان فقيها عابدا صالحا قدم إلى جني في أواخر القرن التاسع الهجري من منطقة طورا القريبة من جني ، وبعد ما تكونت له علاقة طيبة مع أهل جني وسلطانها [5]. فضل البقاء فيها فكان مدرسا وقاضيا بها زمن دولة الأسكيا ، إلى أن توفي خلال القرن العاشر الهجري .

الفقيه محمود بغيغ الونكري[6]: هو الفقيه محمود بن أبي بكر الونكري ، وهو والد الفقيهين محمد بغيغ وأحمد بغيغ ، اشتهر بعلمه وزهده تولى التدريس بمساجد جني ، اضافة إلى مهنة القضاء بها بعد وفاة قاضيها عباس كب وذلك سنة 959هـ/1551م ، على عهد الأسكيا محمد الكبير وظل كذلك حتى عهد الأسكيا اسحاق [7].

---

[1]ـ أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص 603.

[2] ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 47.

[3]ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 109.

[4]. السعدي ، المصدر السابق ن ص 16.

[5]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 374.

[6]ـ السعدي ، المصدر السابق ن ص 19.

[7]ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 375.

الفقيه يحيى التادلسي[1] (ت **866هـ/1461م**):هو يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن يحيى البكاء بن أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار وينتهي نسبه الى الحسن بن علي بن أبي طالب ، قدم الى تنبكتو في مطلع حكم الطوارق لمدينة تنبكتو (837 ـ876هـ /1433ـ1471م) اجتهد في تدريس العلم للطلاب هناك حتى بلغت شهرته الأفاق [2] ، وحصلت له الولاية والصلح امتدحه الكثير من العلماء منهم العالم محمود بن عمر آقيت الذي قال فيه " ما وطئت قدم تنبكتو قط إلا و سيدي يحيى أفضل صاحبه " [3]، وقال عنه أبوزيد عبد الرحمن بن محمود آقيت " فواجب على أهل تنبكتو أن يزوروا روضة سيدي يحيى للتبرك في كل يوم ولو كانت منهم على مسافة ثلاثة أيام" [4] " .

كان مدرسا وإماماً انشغل بالتدريس في منزله وفي المسجد وبقي على هذا الحال الى أن وفاه الاجل سنة ستة وستون وثمانمائة هجرية .

1ـ السعدي ، المصدر السابق ، ص 50.

2ـ البرتلي ، المصدر السابق ، ص 217.

3ـ مهدي رزق الله أحمد ، المرجع السابق ، ص 347.

4ـ عبد الرحمن ميقا ، المرجع السابق ، ص 304.

الخاتمة

عرضت هذه الرسالة بالبحث والدراسة حول المدارس العلمية وأثرها السياسي والثقافي في دولة مالي وسنغاي في الفترة (636 ـ 1000هـ /1238 ـ1591م) ولقد وصلت الى مجموعة من النتائج والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

إن دخول الإسلام إلى بلاد السودان الغربي بالطرق السلمية كان له انعكاسا ايجابيا على أهل المنطقة وخصوصا عن طريق التجار كان له كبير الأثر على الانتشار الواسع للحركة العلمية عبر أقطار المجتمع السوداني .

إن وصول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي في وقت مبكر نتج عنه تلك الحركة العلمية الكبيرة في أوساط أهل السودان حتى قبل قيام دولة مالي وسنغاي

لقد ساهمت الكثير من السبل في انتشار الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي، وكان أكبر سبيل لهذه الحركة هي قوافل الحج التي كانت أكبر رافد من روافد الحركة العلمية، ولقد مر معنا من خلال هذا البحث كيف نتج عن تلك الرحلة الشهيرة لمنسا موسى ملك مالي و رحلة أسكيا الحاج محمد الكبير ملك سنغاي،وقد نتج عن هذه الحركة العلمية في دولة مالي وسنغاي ازدهاراً ثقافياً وعلمياً، تمثلت في تلك المدارس والحلقات العلمية التي تدرس شتى العلوم في تنبكتو وباقي المدن الكبرى كغاو و جني وولاتة وأقدر في بلاد الهوسا (إحدى أقاليم دولة سنغاي)، ولعل هذه الحركية العلمية ساهم فيها عديد من العلماء أثروا وتأثروا بها من خلال تلك الرحلات إلى بلاد المشرق والمغرب سواء لأداء فريضة الحج أو التجارة أو من أجل التعليم، مما كان رافداً في بلورة الحياة العلمية وكذلك من خلال تلك الكتب التي جاء بها هؤلاء العلماء وكذلك من خلال الإجازات التي اجيزوا بها من علماء هذه الأقطار .

ونذكر منهم محمود بن عمر بن محمد أقيت ، والذي اشتهر بعلمه وصلاحه ، وكان ملازما التدريس والفقه وانتفع به كثيرون ونشر العلم ببلاده ، ولقد حج سنه 915هـ/1125م والتقى

بالسادة إبراهيم المقديسي والشيخ زكريا والقلقشندي واللقاني ، فاستفاد وأفاد وتأثر بالمذهب المالكي، فكانت جل دروسه على هذا المذهب كالمدونة ومختصر خليل والألفية، وبفضله انتشر اقراء خليل في بلاد السودان الغربي . وقد شكل هؤلاء العلماء جسورا من التواصل العلمي بين المشرق العربي الإسلامي ودولتي مالي وسنغاي وزودوا منطقة الدولتين بأهم علوم المشرق العربي الاسلامي .

وجود بعض الحواضر العلمية في طريق الحجاج ومنها دولة مصر و جامعها الأزهر الشريف سهل لحجاج السودان الغربي بزيارة هذا الصرح المبارك ومن خلاله زيارة العلماء كجلال الدين السيوطي والشيخ خالد الوقاد والأزهري إمام النحو وغيرهم .وقد تمت الاستفادة من علومهم، كما حصل بعضهم على اجازات أثناء هذه الزيارة في شتى العلوم.

لقد وقع على العلماء والفقهاء الجزء الأكثر من الدعوة إلى الإسلام فالعالم الذي أدرك حقيقة وجوده في هذه الحياة، وفهم من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته الكرام ومن تبعهم على طريق الحق، يعلم جيدا أنه مطالب هو الأخر ببذل كل ما يملك من قوة وجهد من أجل نشر هذه العقيدة من مكان إلى أخر، فكانوا جنبا إلى جنب مع السلطان منسا موسى ملك مالي والأسكيا الحاج محمد الكبير ملك سنغاي في جهادهم ضد الوثنيين، فكانوا علماء و فقهاء وفاتحين رحمهم الله .

أما في الميدان السياسي فقد كان للمدارس العلمية أثر في هذا الميدان من خلال جهود كل من منسا موسى سلطان مالي وخاصة بعد الرحلة الحجية وما شهدته من ازدهار علمي في بلاد المشرق، تجلى في ايفاد العلماء منهم عبد الرحمان التميمي، وأبو اسحاق الساحلي الغرناطي، ضف إلى ذلك علاقته مع دولة بني مرين في المغرب الأقصى، وما شهدته من ازدهار للمدارس العلمية في كل من فاس ومراكش ومكناس، كان قد أثر في العديد من العلماء للهجرة إلى مملكة مالي في بلاد السودان الغربي. وكذلك الأسكيا محمد الكبير قام هو الأخر بنفس الدور في هذا المجال الذي قام به

منسى موسا حيث نجده يحتفي بالعلماء ويقربهم أمثال الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي استعان به في تدبير الإمارة وسياسة المجتمع، وهذا ما تجلى في كتابه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغلي، وهذا ما حفز الأسكيا للاهتمام بالعلماء وإكرامهم، مما أهلتهم لتولي العديد من المناصب الرفيعة والهامة كقضاة أو مستشارين.كما تميزت العلاقة بين السلطة والحكام وبين هؤلاء العلماء بعلاقة ود ومحبة قائمة على تقدير الحكام لهم لمكانتهم المتميزة في المجتمع.

تمتع العلماء والفقهاء في دولتي مالي وسنغاي بصفات أهلتهم للقيام بدور اجتماعي بارز مثل محاربة الظلم ، وسفك الدماء من الحكام ، وكذا الإصلاح بين الناس، وقضاء حوائجهم، وبناء المساجد ، وقام الكثير منهم بأعمال الخير في مجتمع السودان الغربي .

وبعد هذه الدراسة والنتائج نملك من القناعة على الموافقة الكاملة للكاتب الفرنسي جويلي الذي قال " إن العصر التاريخي لإفريقيا السوداء لم يبدأ إلا منذ ظهور الإسلام ، وأنه بالإسلام وحضارته ولغته تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأوًا كبيراً في المدنية ".

وفي الأخير يمكن أن نوجه بعض الملاحظات المهمة في هذا المجال والله أعلم :

لابد من الاهتمام بالدراسات الافريقية الحضارية منها والعلمية ، لأننا ننتمي إلى هذه القارة كما أننا نمثل الجزء الشمالي لها، وبلاد السودان الغربي تمثل الجزء الجنوبي ، وبهذا نكمل بعضنا البعض.

والنقطة الثانية لابد من الاهتمام بهذا الجزء من القارة الافريقية لأن الجزائر كدولة لها قيمتها في هذه القارة، وتظن نفسها بأنها جزء لا يتجزأ من هذه القارة وهذا منذ استقلالها وهي تدافع عن قضايا القارة الافريقية إن لم نقل بأنها السباقة إلى مثل هذه المبادرات ونذكر منها منظمة الوحدة الافريقية ثم الاتحاد الافريقي مثلا .

كما أننا نجد في كل الدول العربية معاهد مختصة في الدراسات الإفريقية إلا الجزائر لا تملك هذا النوع من المعاهد .

الملاحق

الجداول

قائمة حكام مملكة مالي

1 ـ سندياتا (ماري جاطة) 628 ـ 653 هـ/ 1230 ـ 1255م

2 ـ منسا ولي 653 ـ 669هـ / 1255 ـ 1270م

3 ـ منسا علي ابن ماري جاطة 669 ـ 673هـ/ 1270 ـ 1274م

4 ـ خليفة بن ماري جاطة 673 ـ 674هـ / 1274 ـ 1275م

5 ـ أبوبكر ابن بنت ماري جاطة 674 ـ 684هـ/ 1275 ـ 1285م

6 ـ ساكورا 684 ـ 700هـ / 1285 ـ 1300م

7 ـ قو بن ماري جاطة 700 ـ 705هـ/ 1300 ـ 1305م

8 ـ محمد بن ماري جاطة 705 ـ 710هـ/1305 ـ 1310م

9 ـ أبوبكر بن أخت ماري جاطة 710 ـ 712هـ/ 1310 ـ 1312م

10 ـ منسا موسى صاحب الرحلة الحجية المشهورة 712 ـ 737هـ / 1312 ـ 1337م

11 ـ مغان الأول بن منسا موسى 737 ـ 741هـ / 1337 ـ 1341م

12 ـ منسا سليمان 741 ـ 761هـ / 1341 ـ 1360م

13 ـ قنبتا بن منسا سليمان (حكم أشهر قليلة) 762 هـ /1360م

14 ـ ماري جاطة الثاني 761 ـ 775هـ / 1360 ـ 1374م

15 ـ منسا موسى الثاني ابن ماري جاطة	775 ـ 788هـ / 1374 ـ 1387م
16 ـ مغان الثاني بن منسا موسى الثاني	788 ـ 789هـ / 1387 ـ 1388م
17 ـ صندكي	789 ـ 792هـ / 1388 ـ 1390م
18 ـ مغان الثالث	792هـ / 1390م

قائمة حكام سلاطين مملكة سنغاي

1 ـ سني علي 869 ـ 899هـ / 1464 ـ 1493م

2 ـ الأسكيا محمد الكبير 899 ـ 934هـ / 1493 ـ 1528م

3 ـ الأسكيا موسى 934 ـ 937هـ / 1528 ـ 1531م

4 ـ الأسكيا محمد الثاني 937 ـ 943هـ / 1531 ـ 1537م

5 ـ الأسكيا اسماعيل 943 ـ 946هـ / 1531 ـ 1539م

6 ـ الأسكيا اسحاق الأول 946 ـ 956هـ / 1539 ـ 1549م

7 ـ الأسكيا داوود 956 ـ 991هـ /1549 ـ 1582م

8 ـ الأسكيا محمد الثالث 991 ـ 995هـ / 1582 ـ 1585م

9 ـ الأسكيا محمد الرابع 995 ـ 996هـ / 1585 ـ 1587م

10 ـ الأسكيا اسحاق الثاني 996 ـ 1000هـ/ 1587 ـ 1591م

أئمة مسجد سنكري بتنبكت في عهد الأساكي

الإمام محمود بن عمر أقيت

الإمام المختار النحوي بن أبدغ محمد

الإمام محمود بن عمر بن محمد أقيت

الإمام الفقيه أندغ محمد بن المختار النحوي

الإمام العاقب بن القاضي محمود أقيت

الإمام أبوبكر أحمد بن سي القاضي محمود

الإمام عبد الرحمان بن القاضي محمود أقيت

الأشكال

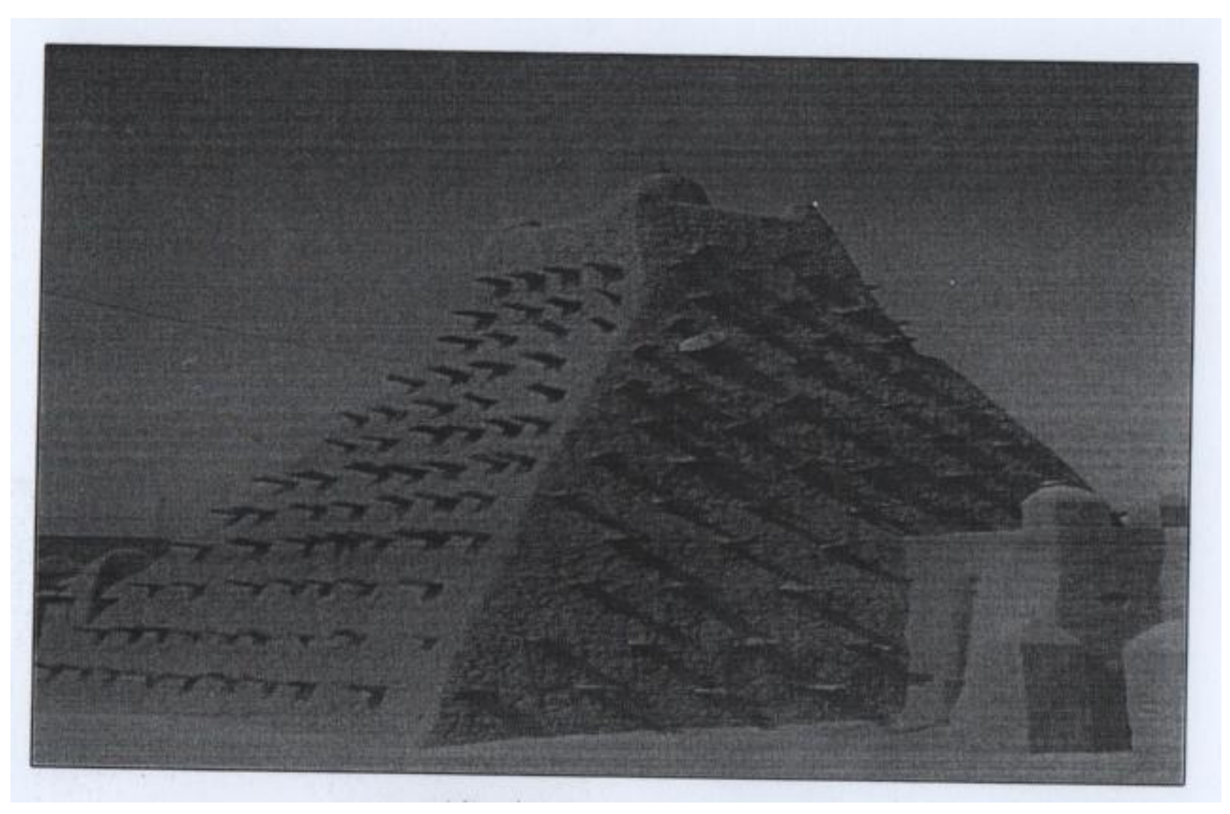
الملحق رقم : 01



جامع سنكري

من كتاب فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصُنغي(628 ـ 1000هـ/1230 ـ 1591م) لـ :سحر عنتر محمدأحمد مرجان

الملحق رقم : 02



منارة مسجد جامع تنبكت

من كتاب فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصُنغي (628 . 1000هـ / 1230 ـ 1591م) لـ : سحر عنتر محمد أحمد مرجان

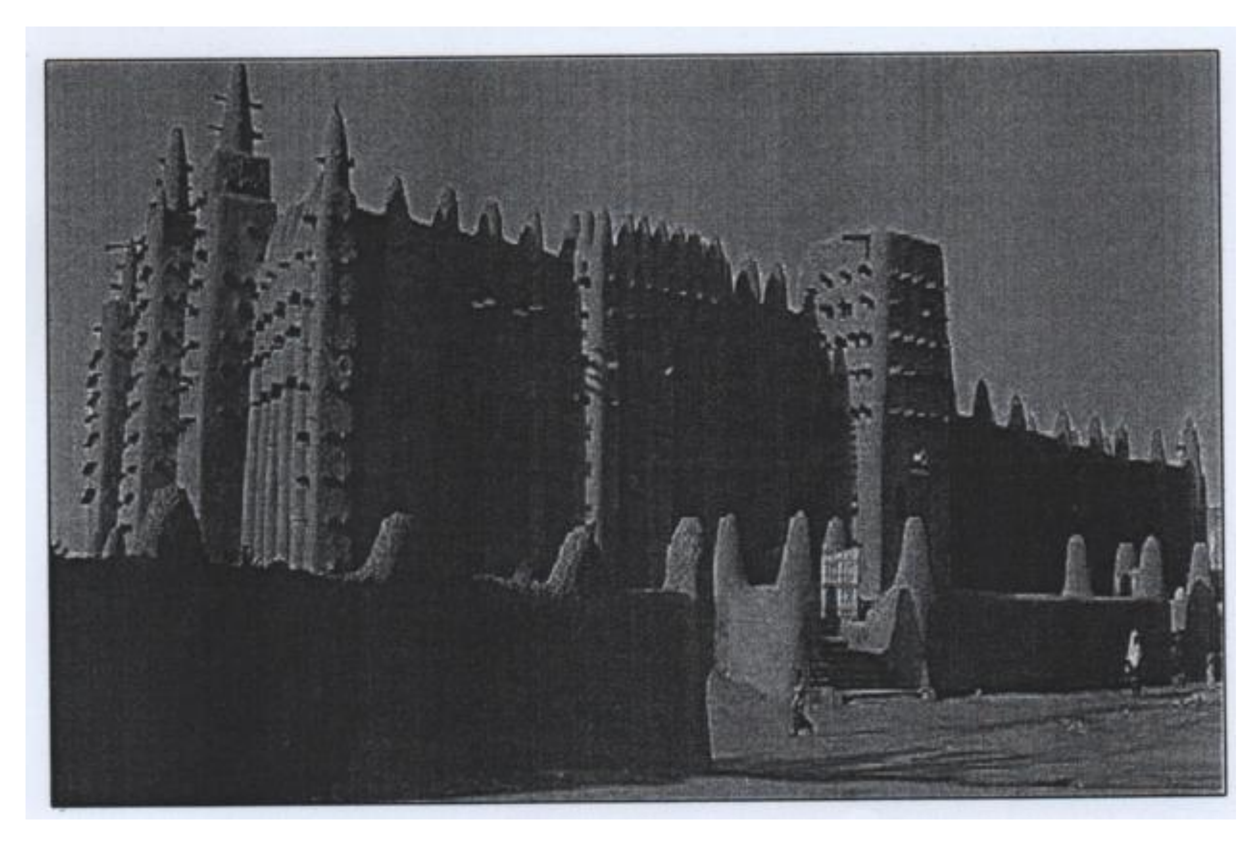
الملحق رقم : 03



مدرسة بجوار مسجد سيدي يحيى بتنبكت

المرجع : فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصُنغي (628 ـ 1000هـ/ 1230 ـ 1591م) لـ : سحر عنتر محمد أحمد مرجان.

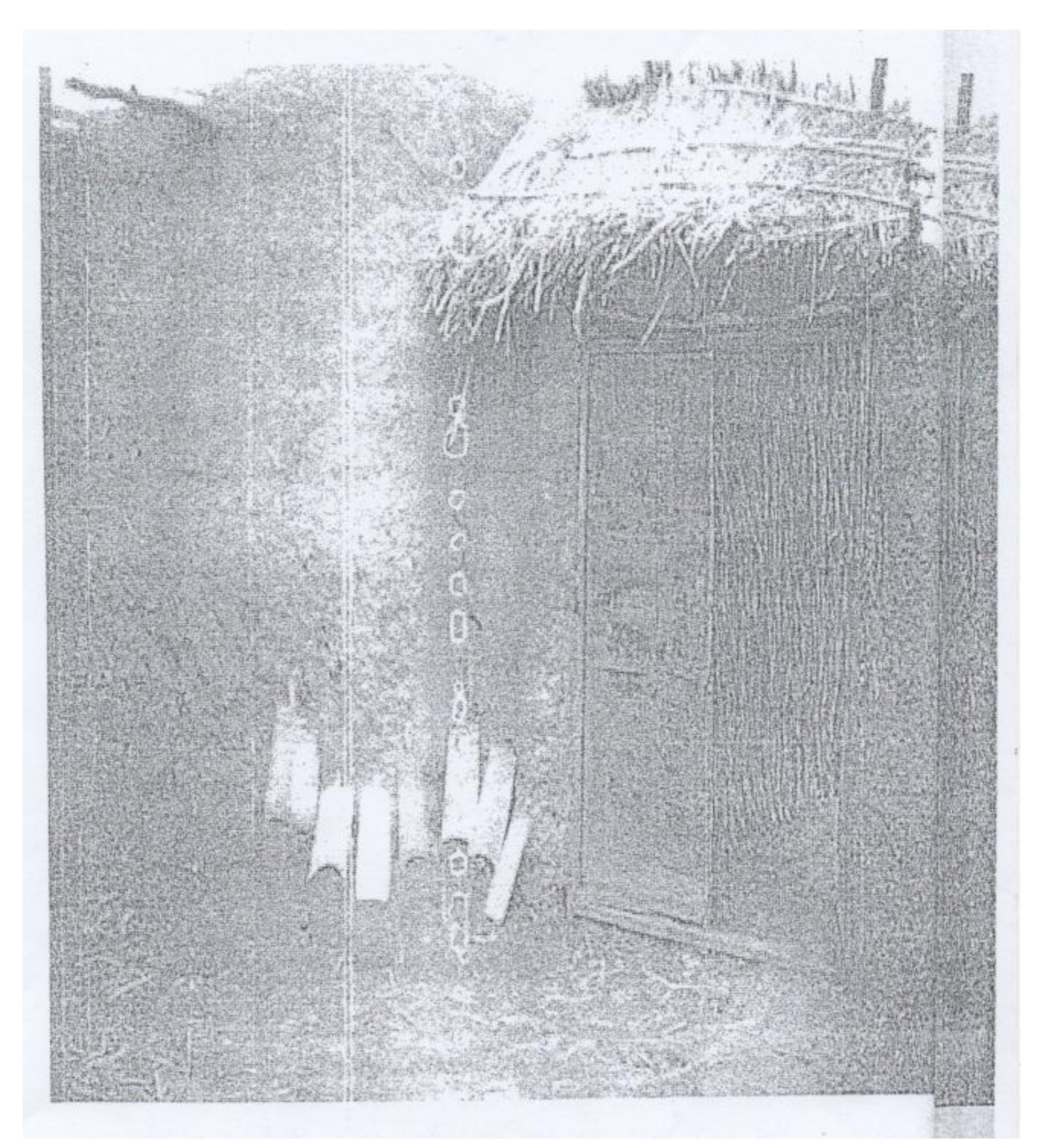
الملحق رقم :04



مسجد جني

المرجع : فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصُنغي (628 ـ 1000هـ/ 1230 ـ 1591م) لـ :سحر عنتر محمد أحمد مرجان.

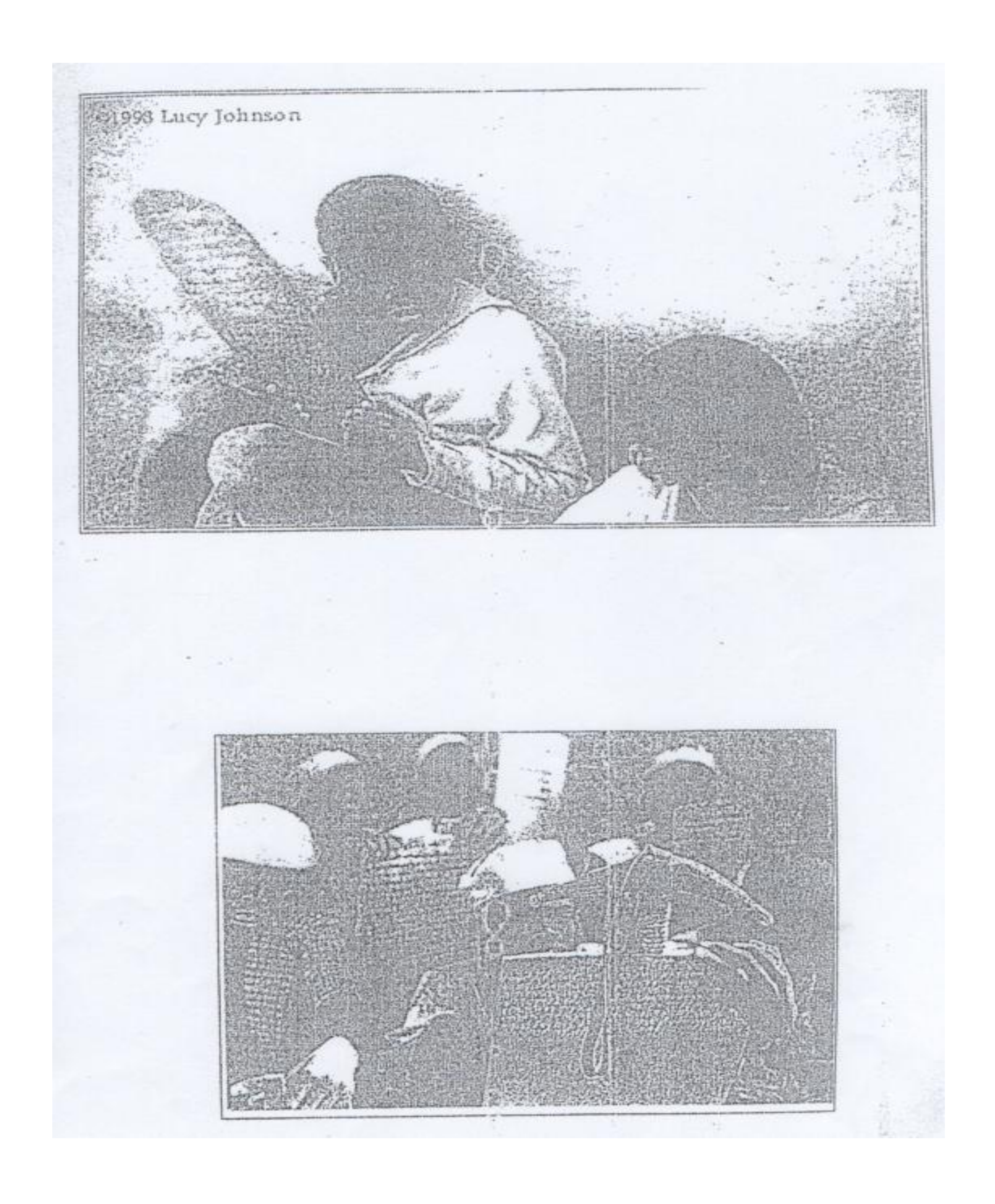
الملحق رقم : 05



مكتبة لتعليم الصبيان ملحق بمسجد سنكري

المرجع:القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثره الحضاري في المجتمع لـ : إيهاب شعبان عبدالشافي سالم

الملحق رقم : 06



طلبة القرآنالمرجع: القضاء في دولتي مالي وصنغاي وأثره الحضاري في المجتمع لـ: إيهاب شعبان عبد الشافي سالم.

الملحق رقم : 07

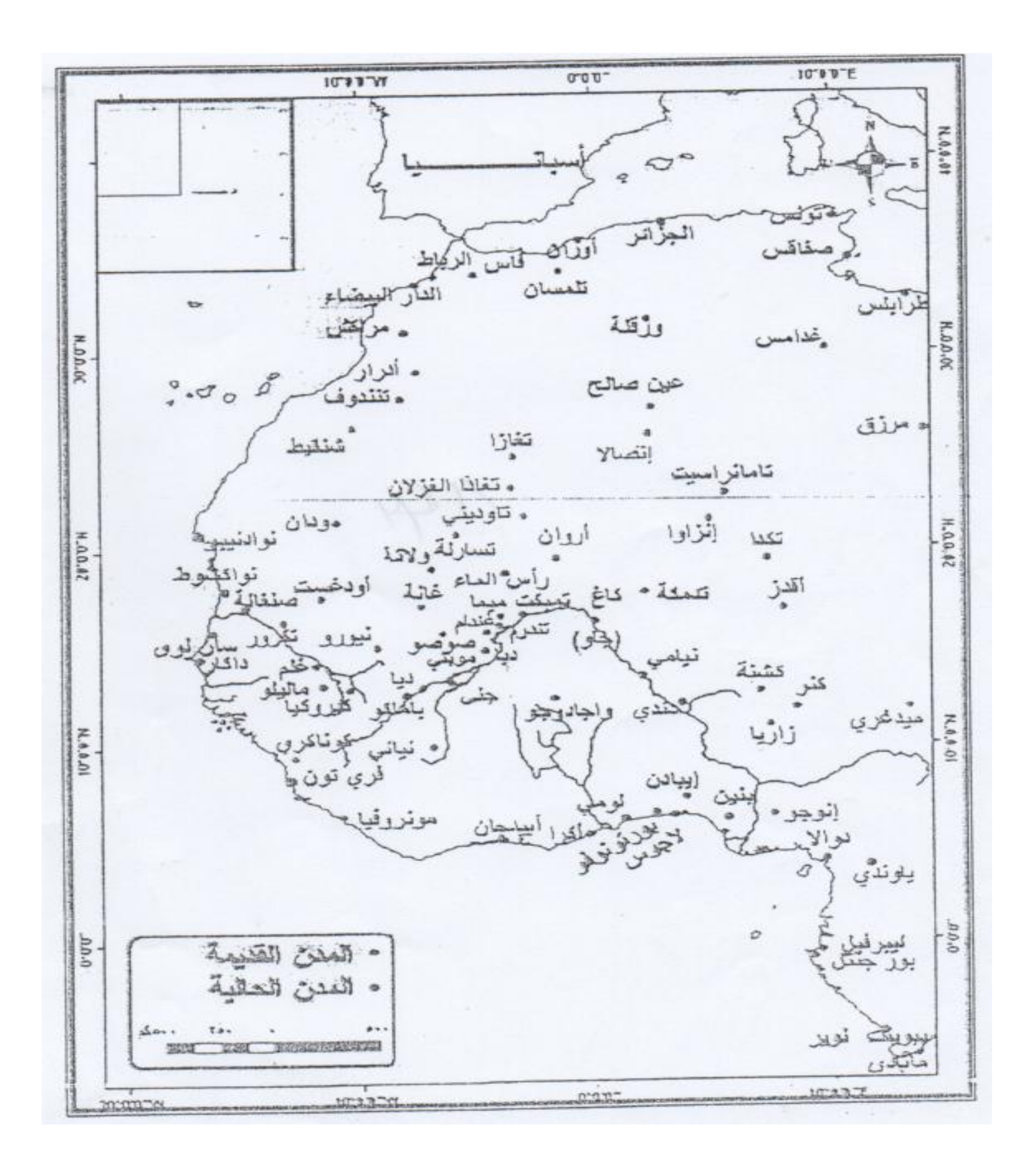


كتابة أجزاء القرآن على ألواح خشبية

المرجع : الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي (636 ـ 1000هـ/1283 ـ 1591م) لـ : ابراهيم علي يوسف الشامي

الخرائط

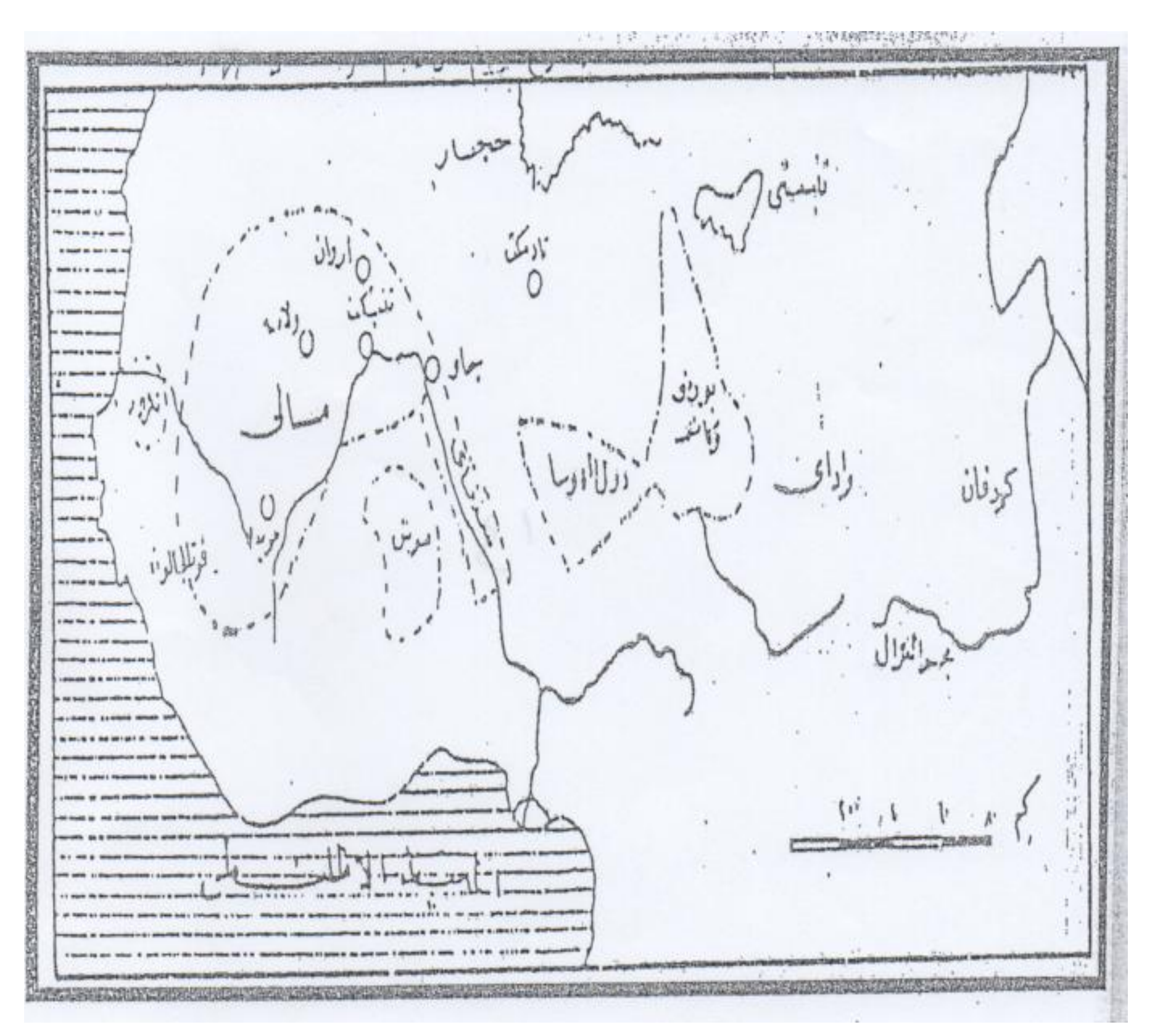
الملحق رقم : 08



بلاد السودان الغربي

المرجع : القضاء وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي لـ :إيهاب شعبان عبد الشافي

الملحق رقم : 08

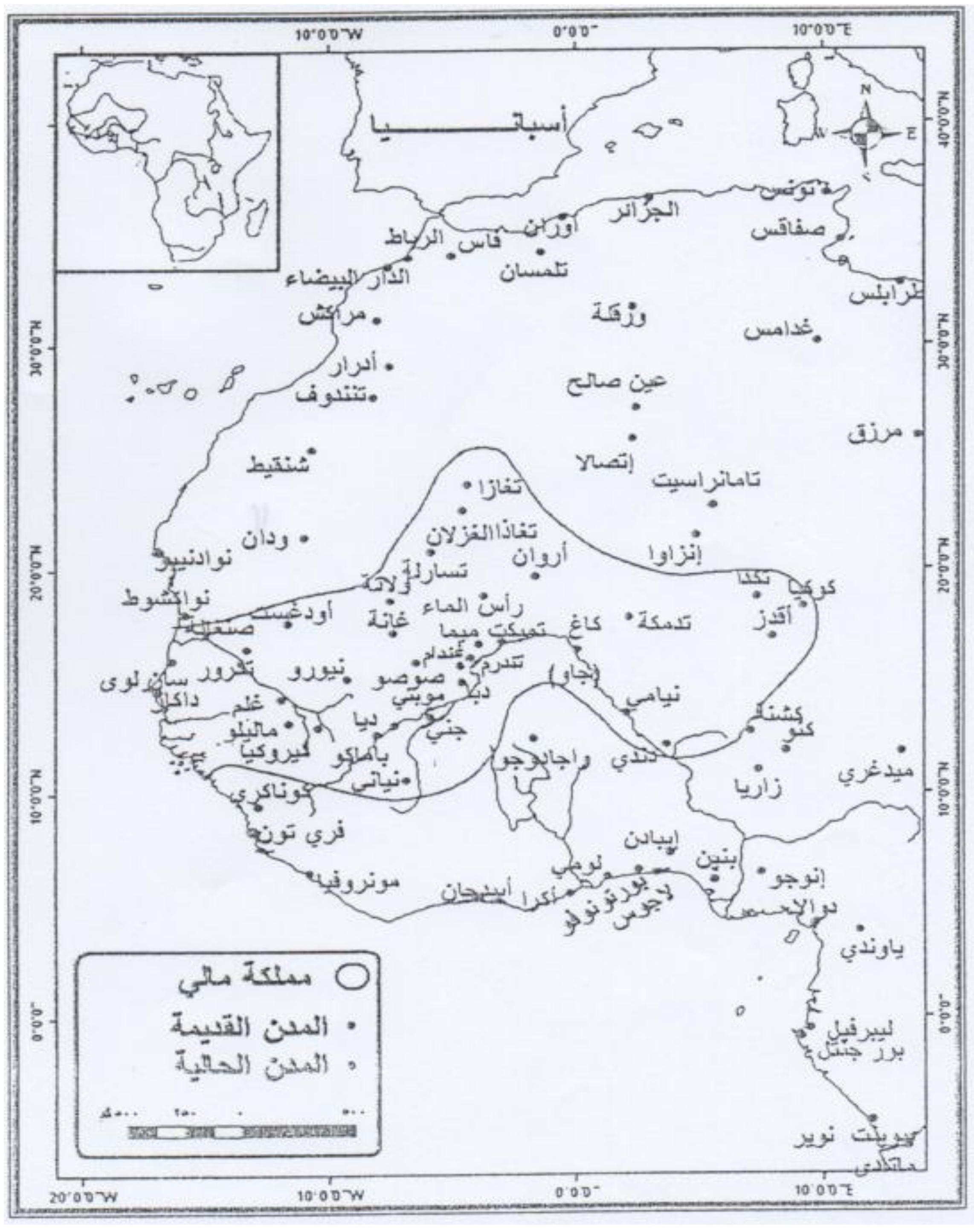


مماليك السودان الغربي

المرجع الصراع بين العرش والعلماء في سنغاي الفترة (869 .899هـ/1464 ـ 1493م)

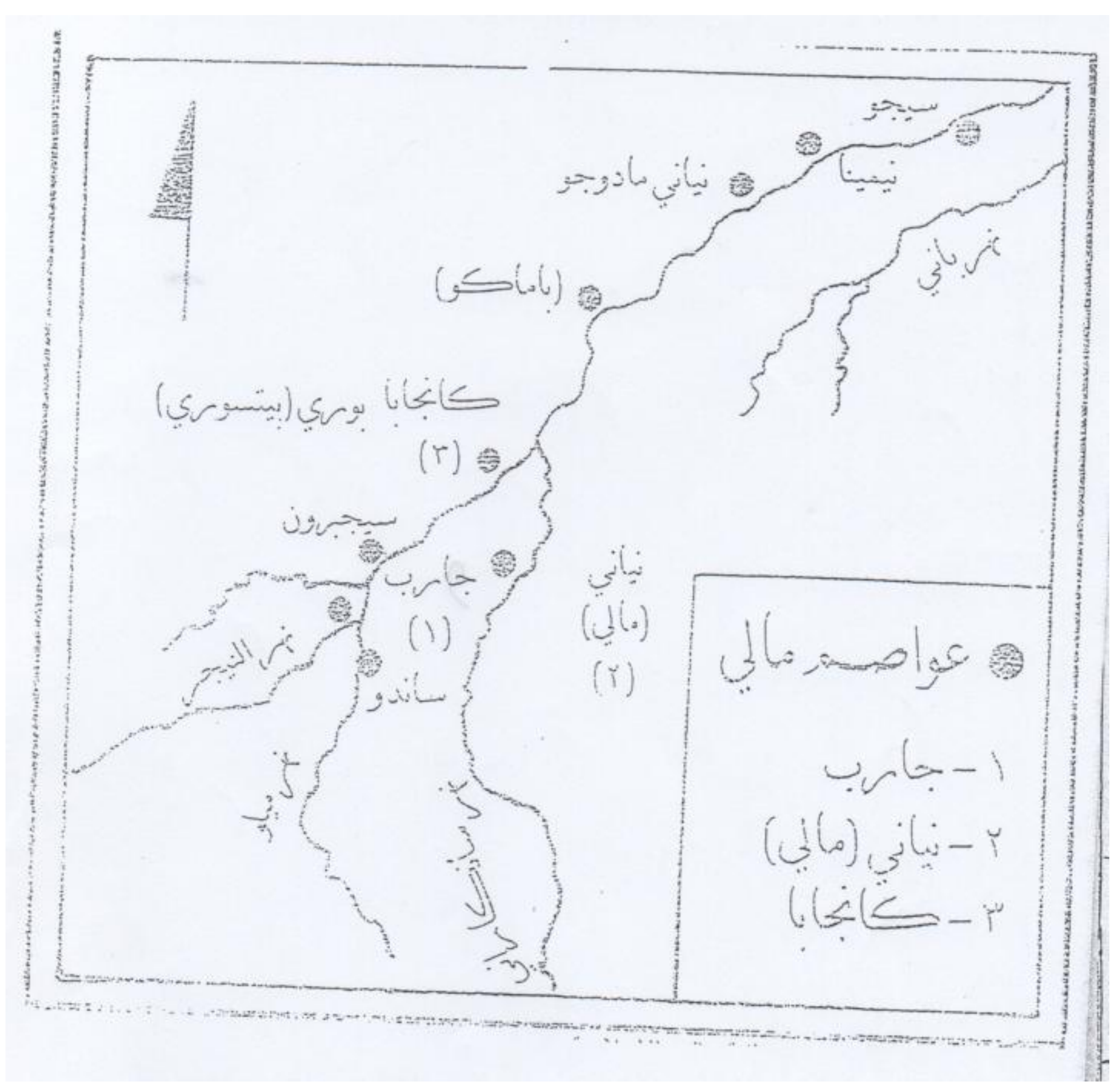
لـ:كرم الصاوي

الملحق رقم : 09



خريطة مملكة ماليالمرجع :تاريخ افريقيا العام ل:جبريل نياني

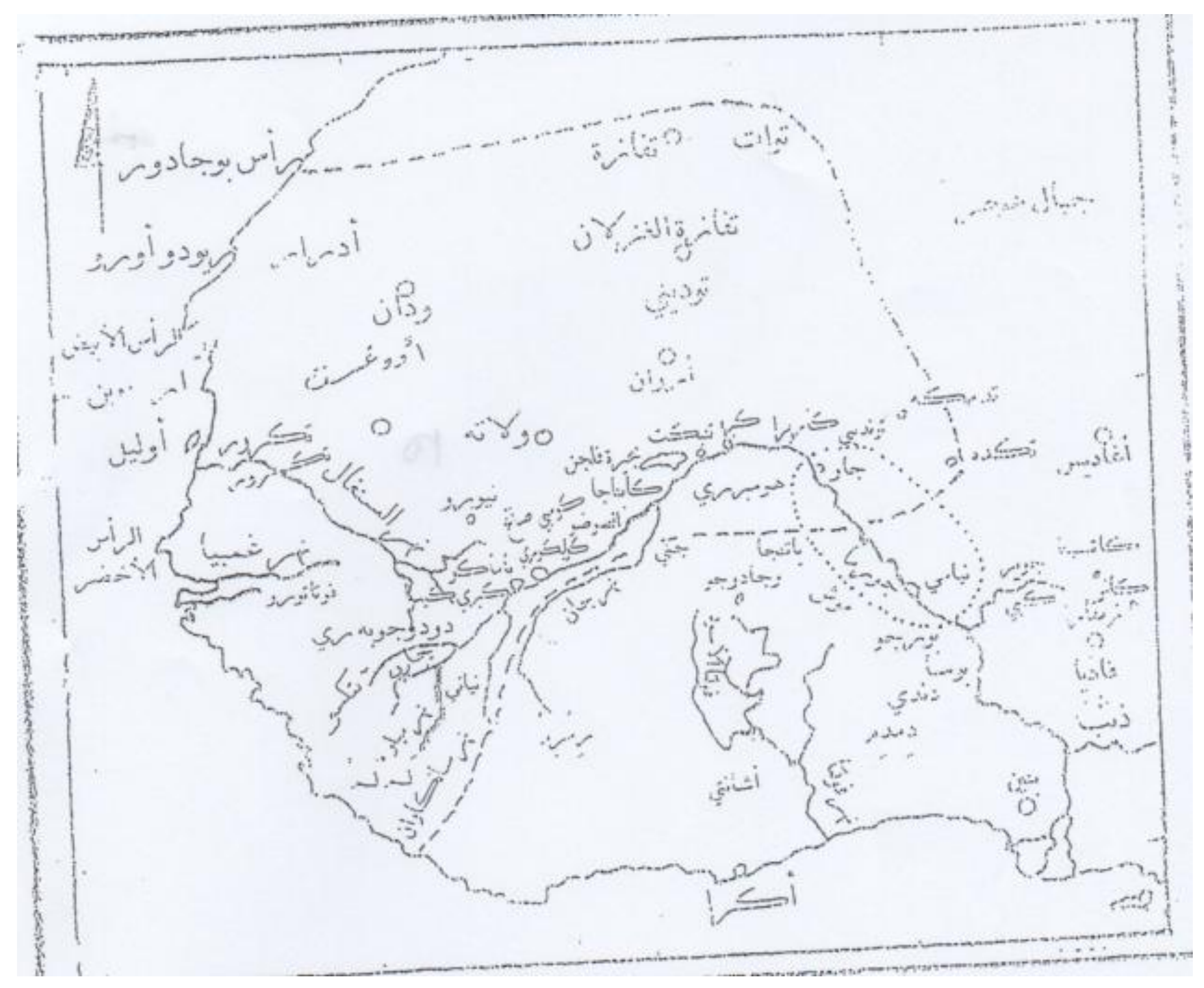
الملحق رقم : 10



عواصم مملكة مالي الاسلامية

المرجع : دولة مالي الاسلامية لـ : طرخان إبراهيم

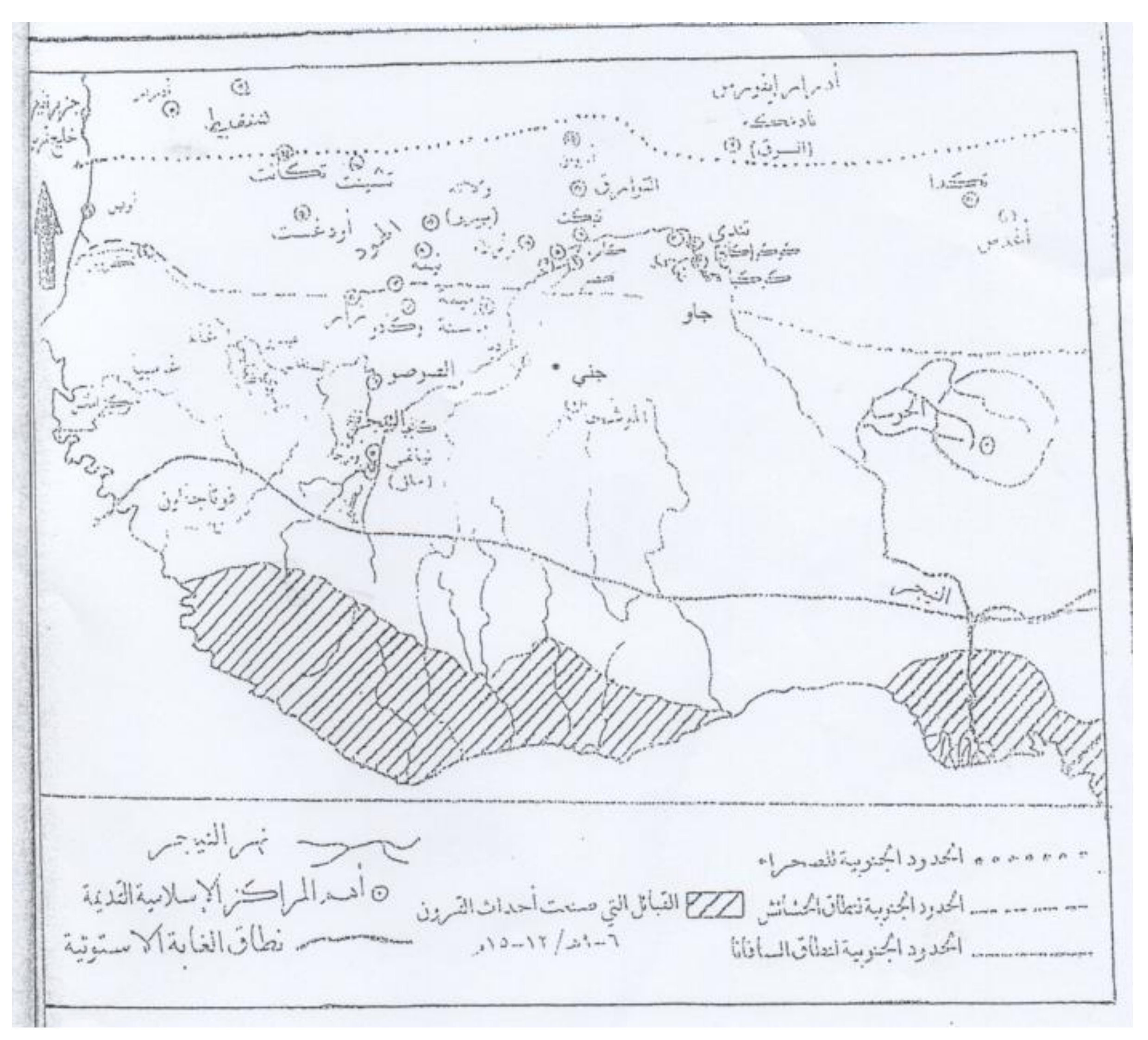
الملحق رقم : 11



مملكة مالي في عصر منسا موسى (712 ـ 738هـ /1312 ـ 1337م)

المرجع : دولة مالي الاسلامية لـ :طرخان إبراهيم

الملحق رقم : 12

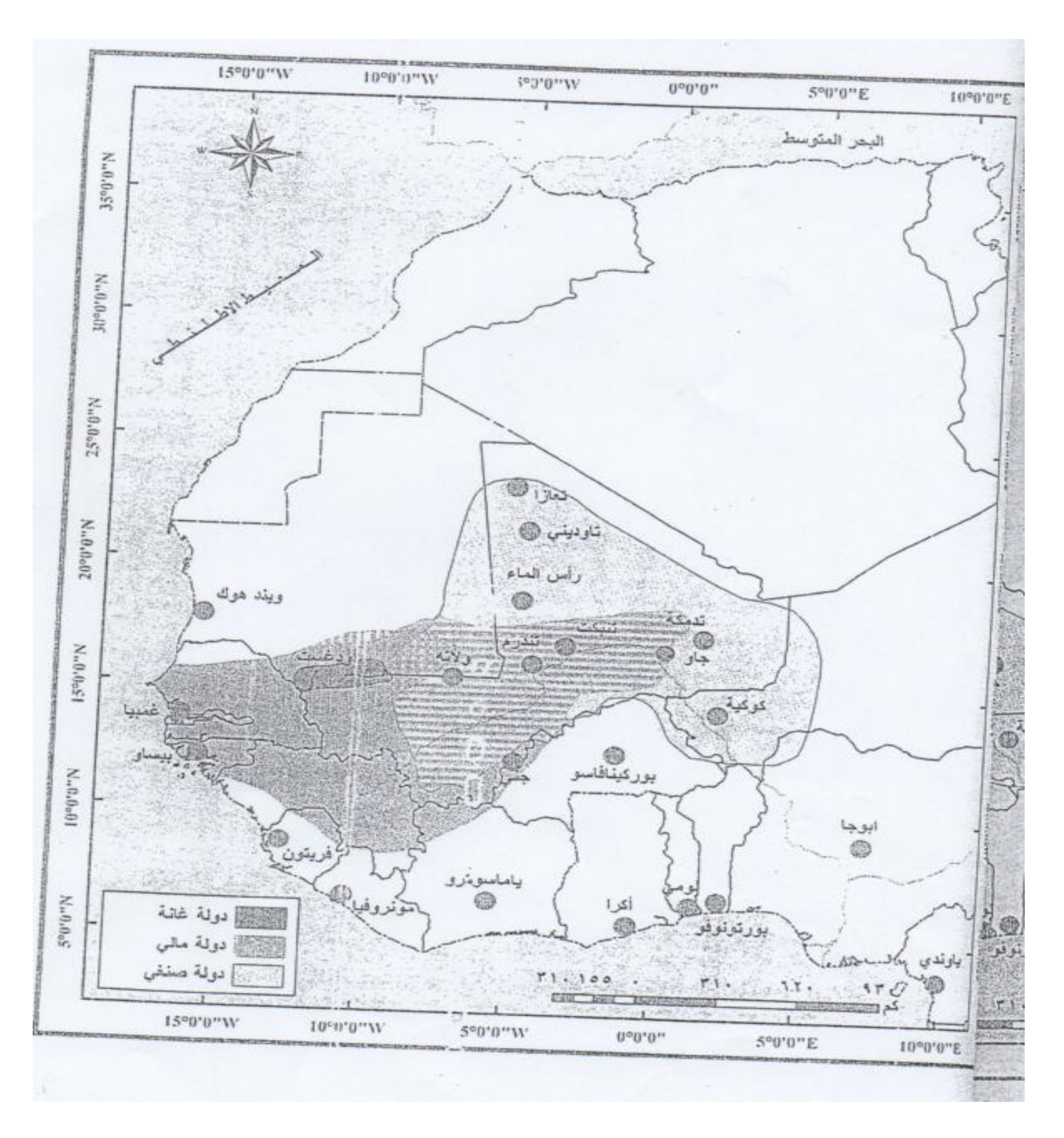


قبائل مملكة مالي الاسلامية

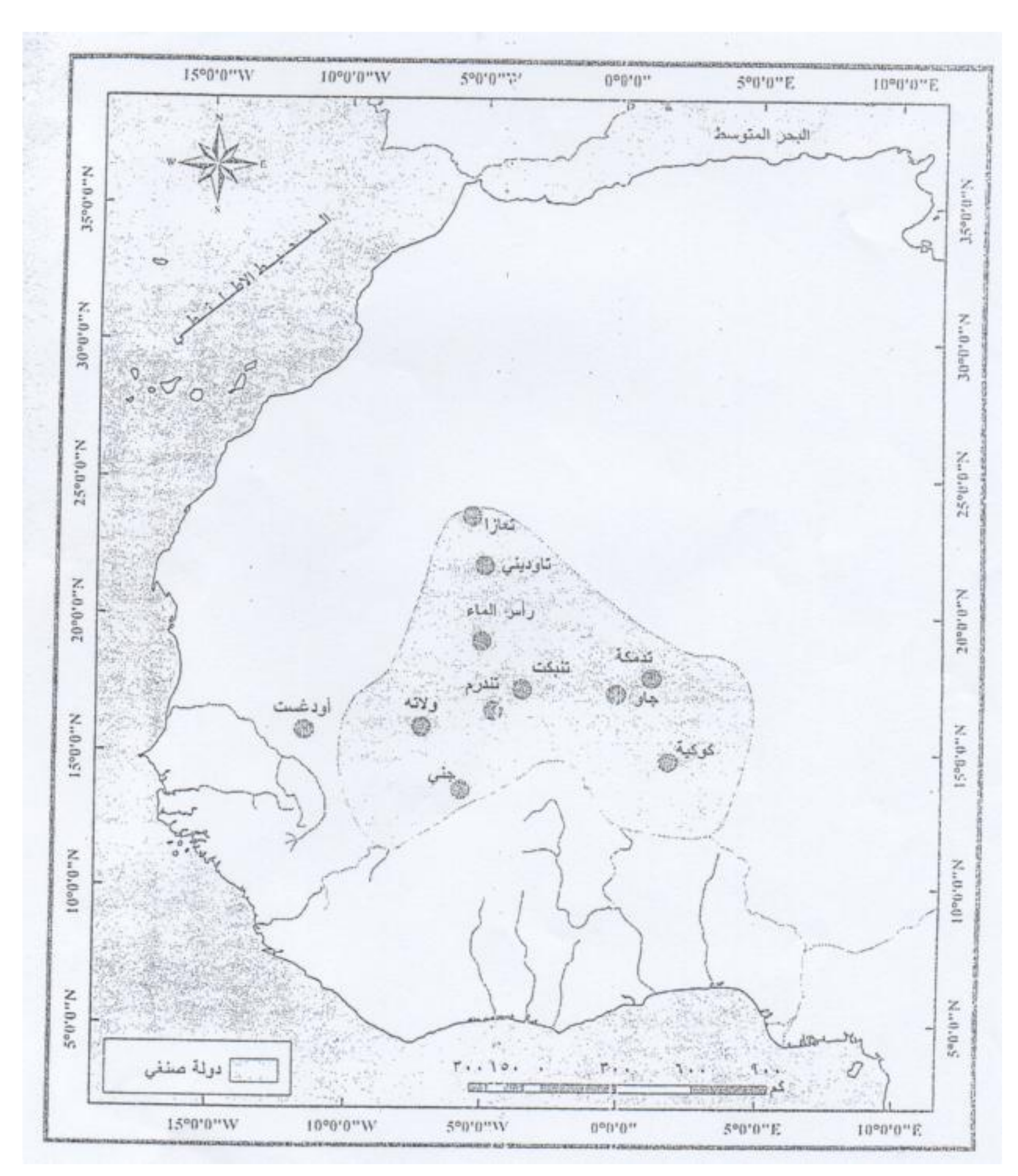
المرجع : الاسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي لـ : أحمد الشكري

الملحق رقم : 13

دولة غانة ومالي وصنغي المرجع :القضاء في دولتي مالي وصنغي ...لـ عبد الشافي س

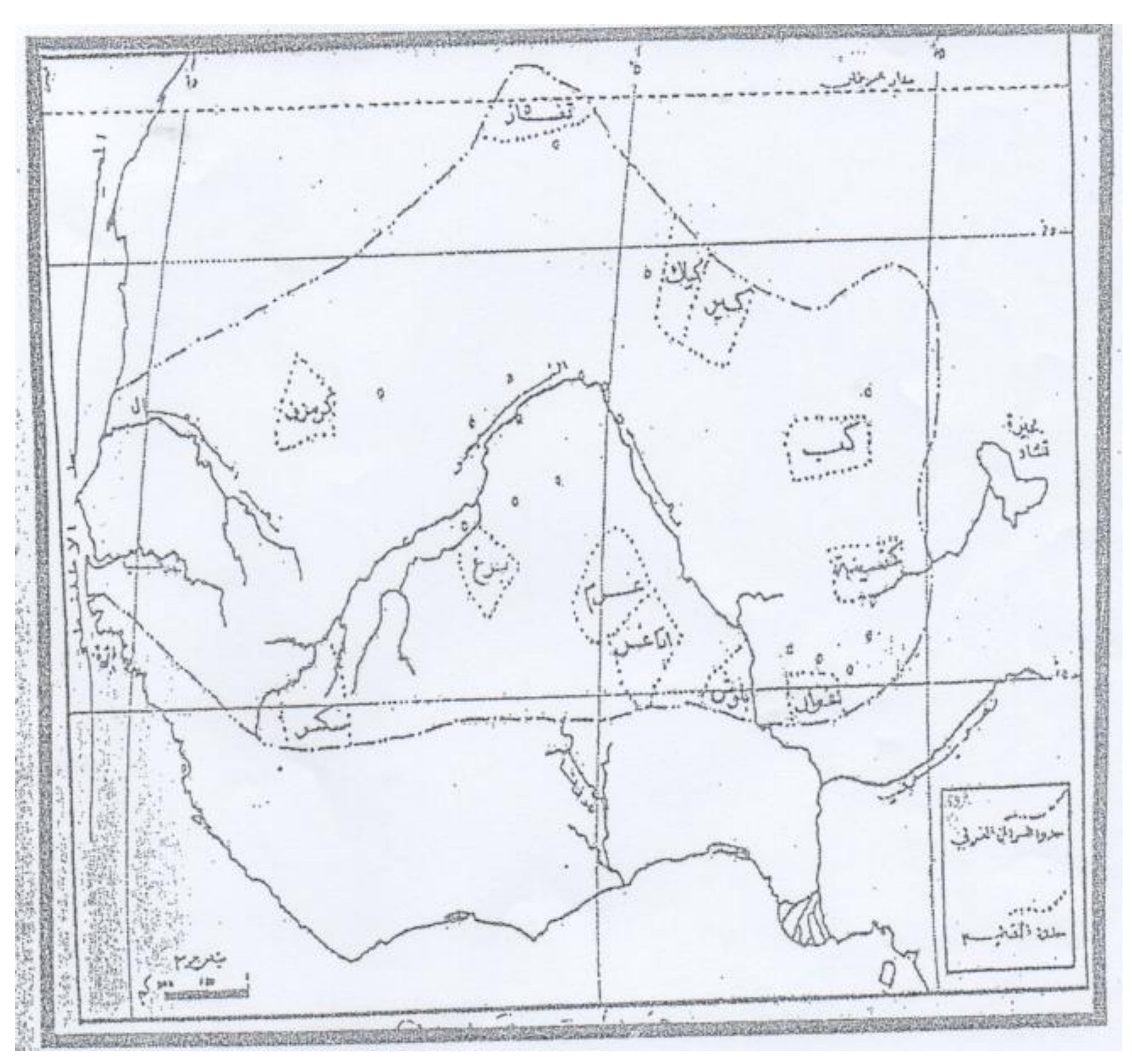


الملحق رقم : 14



خريطة دولة صنغي : المرجع القضاء في دولتي مالي وصنغي المرجع السابق

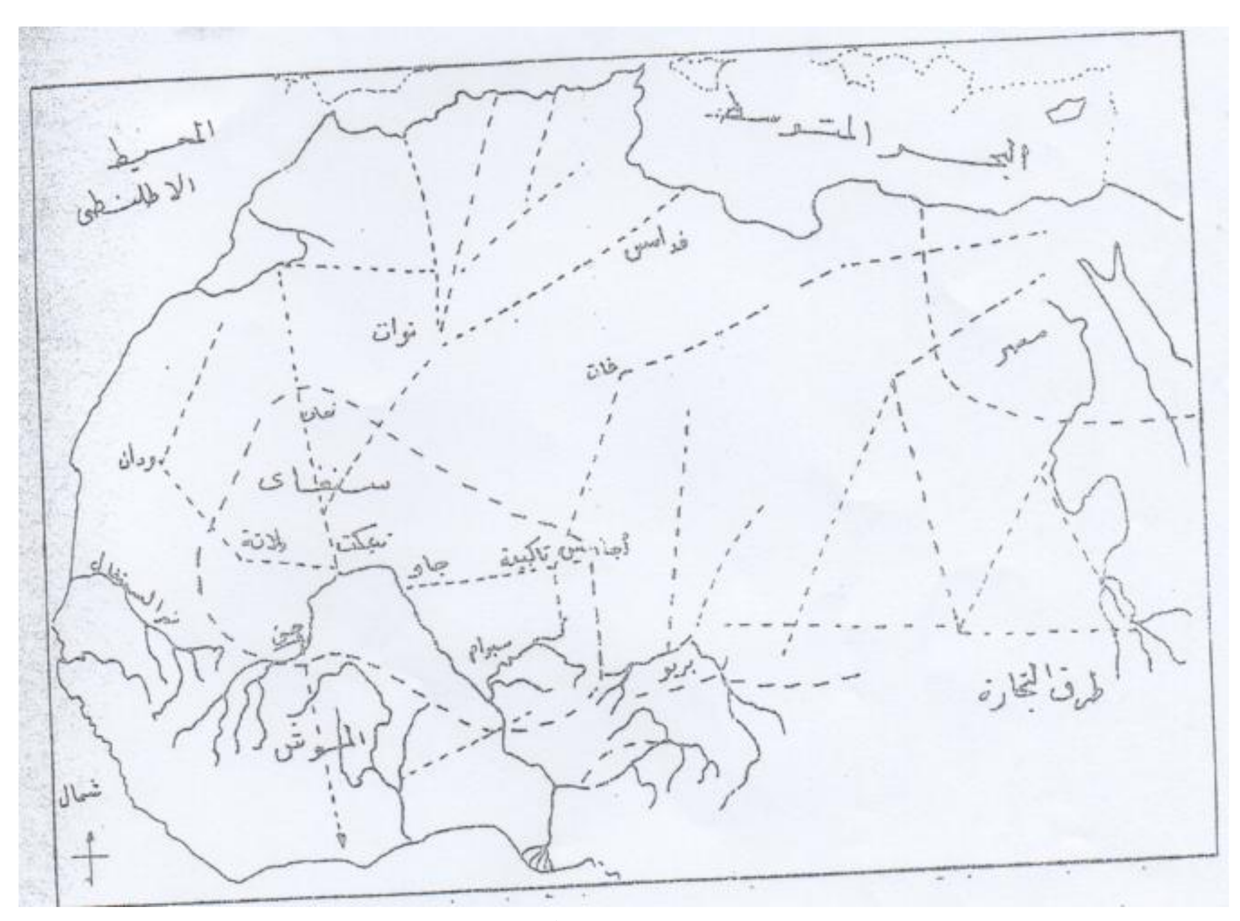
الملحق رقم : 15



أهم المدن في سنغاي

المرجع : تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء لـ :عبد الهادي المبروك الدالي

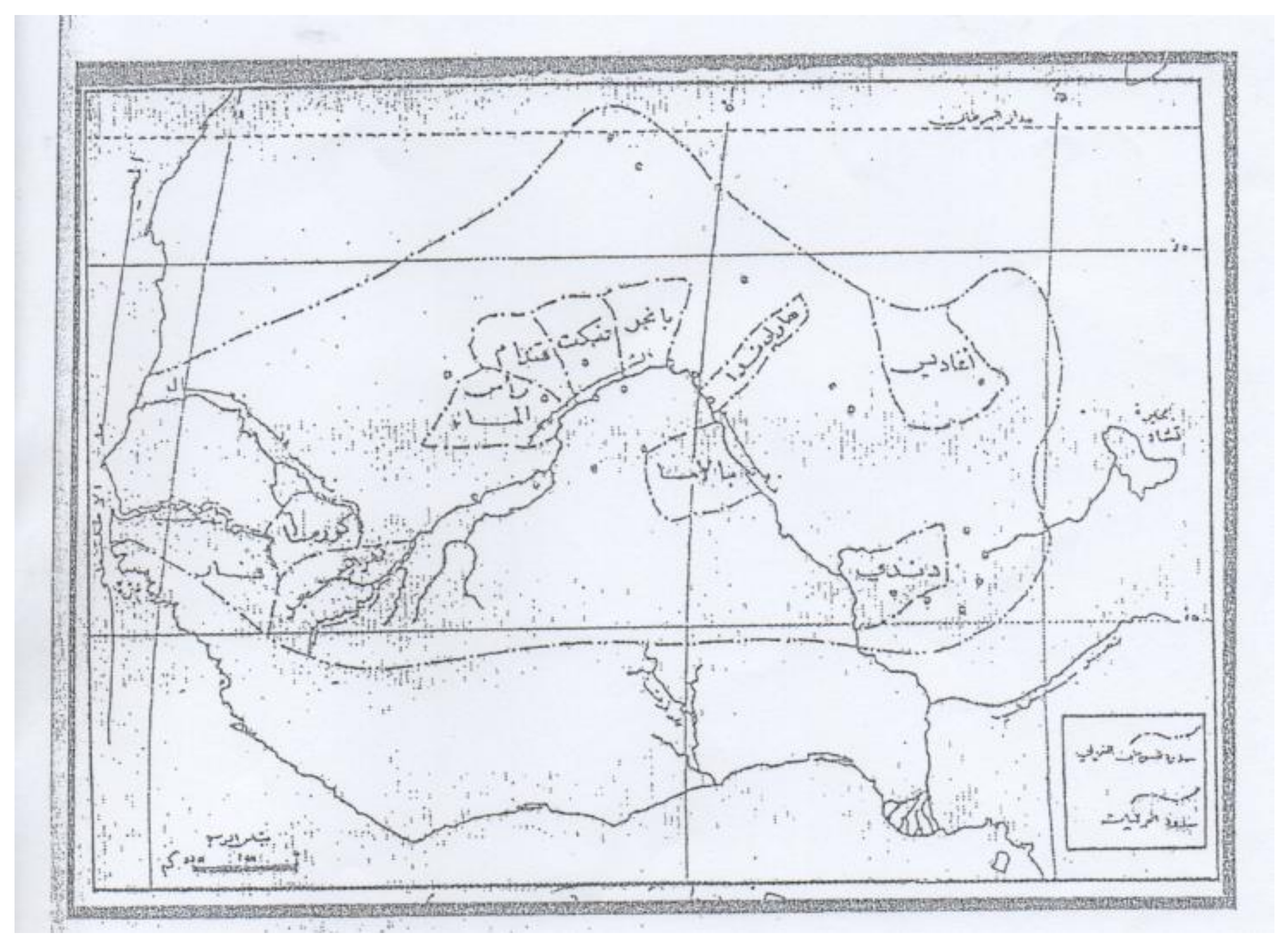
الملحق رقم : 16



أهم المدن الحضارية لإمبراطورية السنغاي زمن الإسكيين نهاية القرن السادس عشر الميلادي

المرجع : تاريخ افريقيا العام لـ : جبريل نياني

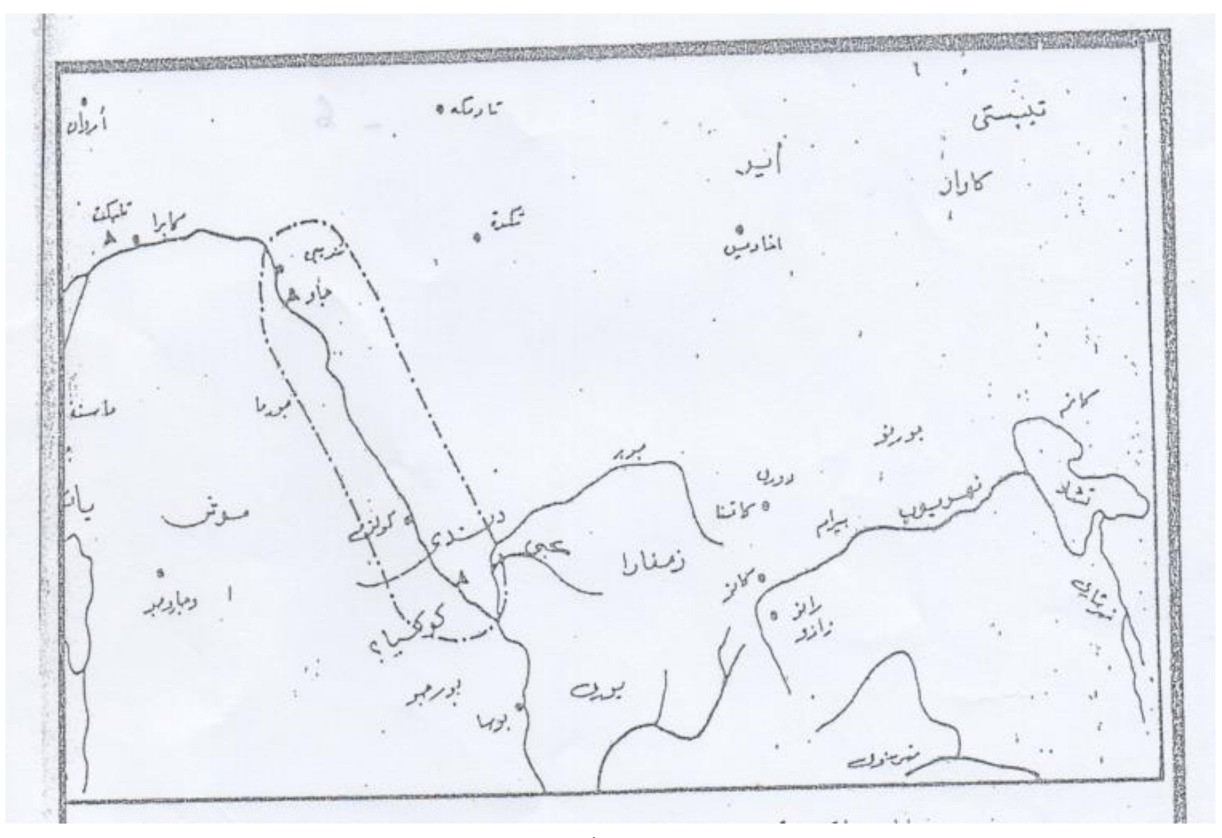
الملحق رقم : 17



الأقاليم الادارية لسنغاي

المرجع : تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء ل :الهادي المبروك الدالي

الملحق رقم : 18



دولة سنغاي الأولى

المرجع : إمبراطورية صنغي لـ : طرخان إبراهيم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصـــــــــــادر

الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد الحمودي.(ت 558هـ)

01ـــ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الإصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت 346هـ):

02ـ المسالك والممالك، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة 1961.

الأرواني، أحمد بابير.(كان حيا خلال القرن الرابع هجري)

03ـ السعادة الأبدية في التعرف بعلماء تنبكت البهية، تحقيق الهادي المبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية، بنغازي، ط1، 2001.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي. (ت 630هـ)

04ـــ أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

البكري، أبو عبد الله عبد العزيز بم محمد.(ت 487هـ)

05. ـــ المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، بغداد، مكتبة المثنى.

ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي.(ت770هـ)

06ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التحرير، القاهرة 1966

بلو، محمد بن عثمان فودي.(ت 1253هـ)

07ـ إنفاق الميسور في تاريخ بلد التكرر، تح بهيجة الشاذلي، الرباط، 1996.

. البرتلي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي.(ت 1219ه)

08 ـ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح محمد حجي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670ه)

09 ـ طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينة، الجزائر.

التكني، أحمد بلعراف.(ت 1375ه)

10 ـ إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تحقيق الهادي المبروك الدالي، طرابلس ،2000،

التنبكتي، أحمد بابا بن عمر آقيت التنبكتي.(ت 1036 ه)

11ـ نيل الابتهاج بتطريز الدباج ،تحقيق علي عمر ، المجلد الثاني ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2004.

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر.(ت 255ه)

12 ـ فخر السودان على البيضان ، من رسائل الجاحظ ، القاهرة ، 1906.

الجزنائي، ابو الحسن علي الجزنائي ، (من أهل القرن 8 ه)

13 ـ زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح مديحة الشرقاوي، ط1، القاهرة، 2001.

ابن حوقل، أبو القاسم بن علي البغدادي النصيبي.(ت 380ه)

14ـ صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

الحموي،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي.(ت 626هـ)

15 ـ معجم البلدان، تح، فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1990.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.(ت 808هـ)

16 ـ المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، 2004.

17ـــ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1968.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ)

18 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه علي بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1999.

السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (ت 1066هـ)

19ـــ تاريخ السودان، دراسة وتعليق و تحقيق، عبد النعيم ضيفي عثمان، دار الرشاد، القاهرة، ط 1، 2010.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي.(ت 685هـ)

20 ـ كتاب الجغرافيا، تح، اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1970.

المسعودي، أبي الحسن بن علي (ت 346هـ)

21 ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر راجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، لبنان بيروت، 2005.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم. (ت 257هـ)

22ــ فتوح مصر و المغرب، تحقيق عبد الله أنيس، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، 1964.

العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى.(ت 749هـ)

23 ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجتمع الثقافي، أبوظبي ،ط 1، 2002.

ابن عذاري، أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي.(ت 695هـ)

24ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مكتبة دار صادر، بيروت، 1950.

ابي الفداء، عماد الدين بن اسماعيل بن أحمد.(ت 732هـ)

25ــ تقويم البلدان، دار صادر، بيروت لبنان.

القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد القزويني. (ت 682هـ)

26ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت ، لبنان.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي.(ت 821هـ)

27ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة.

القرفي، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر المصري. (ت 1008 هـ)

28ـ توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2004.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر. (ت **774** هـ)

29 ـ البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فليج، دار الحديث، القاهرة، 1998.

كعت، محمود بن الحاج المتوكل الكرمنيالوعكري.(ت **955**هـ)

30ـ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، طبعة هوداسودولافوس، باريس، 1962.

المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد. (ت **453**هـ)

31 ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم ، تحقيق البشير البكوش ، دار الغرب بيروت لبنان ط2 ،1994.

مجهول :

32ـالاستبصار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، الكويت، 1985.

المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله. (ت **380**هـ)

33ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ، ط3 ، 1991.

المقري،شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني.(ت **1041**هـ)

34ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ،إحسان عباس ، بيروت ، 1968.

ابن الصغير المالكي، (**عاصر أواخر الدولة الرستمية**)

35 ـ أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1986.

الوزان، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المشهور ب ليون الافريقي. (**ت 960هـ**)

36ـ وصف إفريقيا ، راجعه ، علي عبد الواحد ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2000.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح.(ت 284هـ)

37 ـ كتاب البلدان ، تحقيق دي خوري ، ليدن 1892.

ثانيا:المراجـــــــــــــع

الأحمر أسماء أحمد :

38 ـ الدين والدولة في السودان الغربي، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، ط1، 2008.

الألوري آدم عبد الله :

39 ـ موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة ،بيروت، لبنان، 1965.

أسماء موسى زايد:

40ـ الصلات التجارية بين بلادا لمغرب الأقصى والسودان الغربي في عصر المرابطين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2008.

باري محمد فاضل علي و سعيد إبراهيم كريرية :

41 ـ المسلمون في غرب افريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2007.

بدري محمد فهد

42 ـ أثر انتشار العربية في افريقيا، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر عدد الرابع، 1998.

جرجي زيدان

43 ـ تاريخ أدب اللغة العربية، مكتبة دار الحياة، بيروت ، لبنان.

الهادي المبروك الدالي

44 ـ قبائل الطوارق دراسة وثائقية ،دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،ليبيا ، ط1، 2006.

45 ـ مملكة مالي وعلاقتها مع المغرب وليبيا، شركة الملتقى للطباعة والنشر، ط 1، 1993.

الهادي المبروك الدالي و عمار هلال

46 ـ الإسلام في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب افريقيا 1850ـ1914،دار حنين للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1996.

جميلة محمد التكتيك :

47 ـ مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير، دار الكتب الوطنية، طرابلس، ط1، 1998.

جوا جوزيف :

48 ـ الإسلام في مماليك وامبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويقي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1984.

زبادية عبد القادر:

49 ـ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

50 ـ الحضارة العربية والتأثير الاوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1989.

زكي عبد الرحمن :

51 ـ الإسلام و المسلمون في شرق افريقيا، مطبعة يوسف عبد الرحمن، عمان الاردن، ط 1، 1965.

حجي محمد :

52 ـالحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1067.

حسن ابراهيم حسن :

53 ـ انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1996.

حسن أحمد محمود

54ـ الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر بيروت، 1986.

حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري :

55 ـ السياسة الخارجية لمملكة مالي الاسلامية ، مركز جمعية الماجد الاسلامي، القاهرة ، 2009.

حسين عبيد عبد الظاهر :

56 ـ الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلان من مطلع القرن الثاني عشر حتى التاسع عشر الميلادي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة السعودية، 1981.

يحيى ولد البراء:

57 ـ مجموعة الفتاوى الكبرى، المكتبة الوطنية، نواكشط، 2009.

حركات ابراهيم

58 ـ المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدر البيضاء، المغرب، 2000.

سحر عنتر محمد أحمد مرجان :

59ـ فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط1، 2011.

الشكري أحمد :

60 ـ الإسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط 1، 1999.

الشيخ الأمين محمد عوض الله :

61 ـ العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الاسلاميتين مالي وصنغي ، دار المجمع العلمي، جدة ، 1976.

عبده بدوي

62 ـ حركة الإسلام في إفريقيا، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر،القاهرة،1970.

عبلة محمد سلطان لطيف :

63. ـ العناصر المغربية في السودان الغربي ودورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى دولة صنغاي ، الدواية الافريقية لنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2013.

عثمان برايما باري :

64ـ جذور الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي، دار الأمين للطباعة، القاهرة، ط 1، 2000.

عطية مخزوم الفيتوري :

65ـ دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ،1998.

الفانوس عمار صليح :

66 ـ دور حكام السودان في نشر الاسلام في الغرب الافريقي، كلية الفنون جامعة بغداد، 2002.

فيجي جي دي

67 ـ تاريخ غرب افريقيا، ترجمة وتحقيق وتقديم السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة ، 1982.

فاضل محمد وسعيد إبراهيم .

68 ـ المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2007.

قدوري عبد الرحمن :

69 ـ الوجود المغربي بالسودان الغربي في القرنيين 9، 10 هـ/15، 16م الدوافع والنتائج .

شترة خير الدين:

70 ـ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، دار ابن طفيل، الجزائر، 2012.

محجوب محمد ولد بيه

71 ـ موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنيين 15 و 20 لنشر والتوزيع، نواكشط موريتانيا 2016.

منى محمد عادل حسين :

72 ـ الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا ، معهد الدراسات الإفريقية ، القاهرة ، 2009.

مسعود عمر محمد علي:

73 ـ تأثير الشمال الافريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي بين القرنيين الثامن والعاشر الهجريين، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، ط1، 2003.

مطير سعد غيث أحمد :

74 ـ الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي ليبيا ، ط1، 2005 .

ميقا عبد الرحمن محمد :

75 ـ الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 الى القرن 13الهجري ،مطبع البيضاوي ، المملكة المغربية ، 2011.

ميقا أبو بكر إسماعيل :

76 ـ الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي ،مكتبة التوبة، الرياض، ط 1، 1997.

مهدي رزق الله أحمد:

77 ـ حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض، ط 1، 1998.

زاهر رياض :

78ـ المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ،مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1968.

زمان عبيد وناس:

79 ـ تاريخ مدينة كاو :منذ نشأتها حتى سقوط امبراطورية السونغاي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ،دار الأيام للنشر والتوزيع ،الأردن ،عمان ،2015.

الغربي محمد

80 ـ بدية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، ط 1، 1982.

ثانياً : الرسائل الجامعية

أحمد السيد الباز .

81 ـ الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (638 ـ 999هـ /1240 ـ 1591م)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1994.

إبراهيم علي يوسف الشامي.

82 ـ الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي (636 ـ1000هـ /1283 ـ1591م)، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة . 2006.

إصلاح محمد البخاري حمودة .

83 ـ انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء .(تنبكت ـ غدامس) نموذجا 7 ـ11هـ /13 ـ 17م. رسالة ماجستير، جامعة العقد الفريد، طرابلس، ليبيا، 2003.

حسن جلال الدين محمد علي

84 ـ مملكة مالي الإسلامية وأهم مظاهر الحضارة بها، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي، جامعة القاهرة، 1978.

عائشة مسعود المليان

85 ـ الدور الديني والسياسي لقبائل الفولاني في السودان الغربي خلال الفترة من القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، مدرسة العلوم الإنسانية، طرابلس، 2007.

عبد الباقي محمد أحمد كبير

86 ـ الدول الإسلامية في غرب إفريقيا في القرن العاشر الهجري إلى السادس العاشر، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، جامعة الأزهر.1998.

عبد المنعم عثمان عبد النعيم

87 ـ رسوم ونظم دولة الأسكين في فترة 898 ـ 1000هـ /1492ـ 1591م، رسالة دكتوراه معهد الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2009.

عبد اللطيف علي دندش

88 ـ دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1975.

نبيلة حسن محمد

89 ـ انتشار الإسلام في السوان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1971.

نعمة عبد السلام الحسين

90 ـ علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب منذ الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الفاطمي، أطروحة دكتوره في التاريخ، جامعة أم درمان السودان 1999.

محمد أنور توفيق

91 ـ دولة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1977.

محمد السنوسي العمراوي

92 ـ نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي (899 ـ 1000هـ / 1493ـ 1591م)، رسالة دكتوراه معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة 2011.

محمد فتوح عابدين

93 ـ الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنيين السادس عشر والسابع عشر تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة 1989.

شعبان غرياني

94 ـ العامة في صنغي (869 ـ 1000هـ/ 1464 ـ 1591م)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة 2011.

فاطمة محمود مبروك

95 ـ العمائر الإسلامية في امبراطورية السنغاي زمن الأسكين (898 ـ 1000هـ/ 1591.1492م)، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات الإفريقية، القاهرة 2008.

الشيخيحسنإبراهيم

96ــتأثيرالإسلاموثقافتهفيالسودانالغربيمنذالقرنالحاديعشرإلىالقرنالسادسعشرميلادي،أطروحةدكتورهفيالت اريخوالحضارةالاسلامية،جامعةأمدرمان،السودان، 2008.

ثالثاً : المجـــــلات

محمد محمد أمين

97 ـ علاقات دولة مالي وسنغاي في عصر سلاطين المماليك (1250ـ 1517م)، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الرابع، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة 1975.

محمد بركات البيلي

98 ـ مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثاني، جانفي 1979.

إبراهيم طرخان

99 ـ امبراطورية صنغي الاسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، السعودية، العدد 08، 1981.

رابعاً : الندوات

عثمان بن فودي (دان فوديو).

الندوة العالمية التي عقدتها جامعة افريقيا العلمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيكو)، احتفاء بذكراه، الخرطوم 26 ـ 28 جمادي الأخر 1316هـ الموافق ل 19. 21 نوفمبر 1995م .

فهرس الموضوعات

ملخص

تأتي هذه الدراسة لإبراز الدور السياسي والثقافي للدارس العلمية زمن دولة مالي وسنغاي (628 ــ 100ه / 1230 ــ 1591 م) حيث كان لهذه المدارس دورا مهما في منطقة السودان الغربي أيام دولة مالي وسنغاي وخصوصا في الميدان السياسي والثقافي. والجدير بالذكر أن تناول هذه المدارس من خلال مفهومها، أو بالأحرى هل المدارس التي نقصدها هي تلك المدارس التي عرفتها بعض أقطار العالم الإسلامي، أم هي شيء أشمل يمكن أن نتحدث عنه من خلال الخصوصية التاريخية والحضارية للمنطقة. و بالتالي يمكن أن نعرف المدرسة على أنها تلك المؤسسة التعليمية ذات المستوى العالي الذي يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية معينة ذات مستوى معين على أيدي معلمين مخصوصين. وإذا كانت البلاد الإسلامية شهدت المرحلية والتخصص والاستقلال في بناء المدارس، فإن بلاد السودان الغربي عرفت المدارس بشمولية واسعة لمجموعة من المحددات جعلت من الحركة العلمية تنطبع بمستوى التخصص تارة في المساجد وأخرى في المكاتب ومرة في الساحات العامة مما أعطى رمزية المدرسة كانطباع على جوانب معينة، والمنهج المتبع لمجموعة من العلماء يشتركون في اجازات واحدة أو سند واحد، أو تتلمذوا على أساتذة مشتركين إضافة إلى ذلك التباين بين الحواضر العلمية التي شكلت مفهوم المدرسة ككيان رمزي وليس كحضور فعلي من حيث التقليد المتبع والخصوصية الدراسية.

الكلمات المفتاحية:

السودان الغربي؛ مملكة مالي؛ مملكة سنغاي؛ إفريقيا؛ منسا موسى؛ الأسكيا محمد الكبير؛ عبد الكريم المغيلي؛ السعدي؛ تاريخ الفتاش؛ المدارس العلمية؛ الحياة الثقافية.

نوقشت يوم 08 يناير 2019